كَشْفُ الأَسْرَارِ عَمَّا خَفِيَ عَنِ الأَفْكَارِ



(حِكْمَةُ التشريع ... في سؤالٍ وجوابٍ)

تأليف

العَلّامة شهاب الدين أحمد بن عماد الأَقْفَهْسِي

المتوفى سنة ٨٠٨هـ

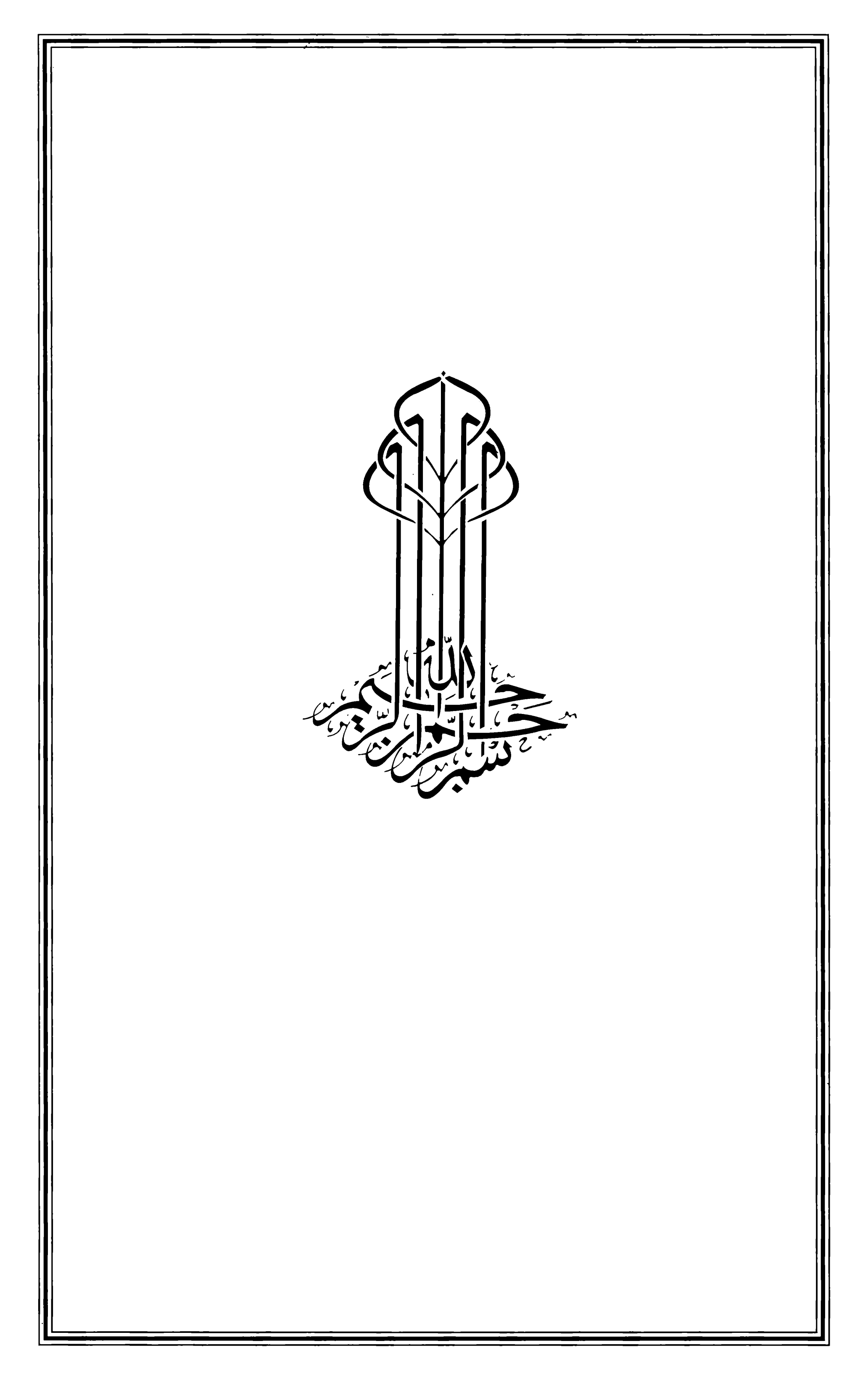
تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

كشف الأسرار
عمّا خفي عن الأفكار

(حكمة التشريع ... في سؤال وجواب)


بسم الله الرحمن الرحيم



(حكمة التشريع ... في سؤال وجواب)

تأليف

العلامة شهاب الدين أحمد بن عماد الأقفهسي

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

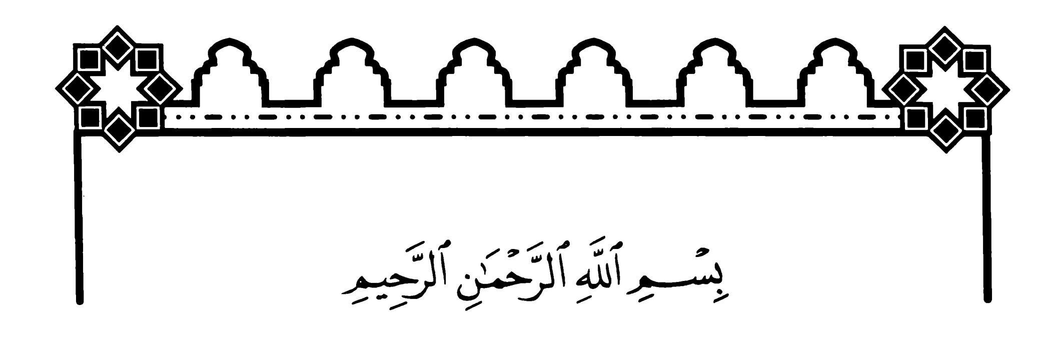
الطَّبعَةُ الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-072-9

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



مقدِّمة التحقيق

الحمدُ لله العليمِ الحكيم، والصلاةُ والسلامُ على معلِّم العلماءِ وسيِّد المرسلين، وعلى آلِهِ وصحبهِ أهلِ العلمِ والفقهِ والتمكين، وبعد:

فإنَّ المتتبِّعَ لمؤلَّفاتِ العلاّمةِ شهابِ الدين ابن العمادِ الأقفهسي، يلحظُ اهتمامَهُ بالموضوعاتِ الجديدة، والنادرة، والردِّ على أخطاء وتجاوزات، والموضوعاتِ الصعبةِ والغامضةِ المشكلة، أو التي لم تُعْطَ حقَّها من البحثِ والتحقيقِ والتمحيص.

فهو صاحبُ «توقيف الحكّام على غوامض الأحكام»، و«التعقيبات على المهمات»، و«تنوير الدياجير بمعرفة أحكام المحاجير»، و«الذريعة إلى معرفة الأعداد الواردة في الشريعة»، و«القول التمام في آداب دخول الحمّام» (وهو في أحكام دور الاستحمام في الفقه الإسلامي)، و«كشف الأسرار فيما تسلَّط به الدوادار يشبك على الأسئلة لكثير من الفهقاء»، و«نيل مصر»، و«آداب الطعام»، و«أحكام الحيوان»، و«الأواني والظروف وأحكامها وما فيها من المظروف»، و«البيان التقريري في تخطئة الكمال الدميري».

وقد لا يُستبعدُ هذا من عالم كثيرِ الاطِّلاعِ والتصانيف، مهرَ وتقدَّمَ في الفقهِ خاصَّةً واتَّسعَ نظرهُ فيه، وكان من العلماءِ الأخيارِ المستحضرين، ومن نبهائهم العارفين، كما يقولُ الحافظُ ابنُ حجر في ترجمته.

قالوا: وكان نعمَ الشيخُ هو، كثيرَ الفوائدِ في فنونٍ عديدة، حسنَ الصحبة، دمثَ الأخلاق.

وكتابه هذا «كشف الأسرار عمّا خفي عن الأفكار» ينخرطُ ضمن اهتماماته المذكورةِ سابقاً. وقد قال فيه بإيجاز في آخر مقدِّمته: «هذا كتابٌ أذكرُ فيه أجوبةً عن مسائلَ مشكلة، وخفيّاتٍ عن إدراكِ حواس القلوبِ مقفلة، تتحيَّرُ فيها أفكارُ العلماء، وتقفُ عندها عقولُ الحكماء».

أما الداعي إلى خوضهِ في هذه المشكلات، فهو كما قال في آخر الكتاب: «وكان سببُ جمعي هذا، أني سمعتُ عن جماعةٍ تخليطاً كثيراً في ذلك؛ لعدمِ هدايتهم ومعرفتهم بذلك».

نعم، لقد خاضَ المؤلِّفُ في مسائلَ وبحوثٍ عديدة، تناولتِ العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، وتفريعاتٍ عديدةً مما سبق، من إلهيات، وسيرة، وعلم كلام، والدارِ الآخرة، وقصصِ الأنبياء، وأحكامٍ فقهيةٍ وحديثية، وتصوُّف.

وقد وُفِّقَ في كثيرٍ ممّا كتب، فأمعنَ وحلَّلَ وبرهن، واستشهدَ وفسَّرَ وبيَّنَ، وأوردَ الأقوالَ والآثارَ في كلِّ مسألةٍ تقريباً، واجتهدَ هو فاختارَ منها أحياناً، أو أبدىٰ رأيَهُ ونقدَ ما سبقَ أحياناً أُخر، أو سكتَ في أحايين.

والذي يُؤخَذُ عليه ـ رحمَهُ الله ـ أنه أوردَ في المسألةِ الأقوالَ الضعيفة. وإذا كان هذا دأبَ علماء كثيرين ممن يحشدونَ للمسألةِ ما قويَ وما وهنَ من الأدلَّةِ والبراهين، فإن هناك أقوالاً شاذَّةً ومنكرةً ومردودةً لا يحسنُ إيرادها، بل يُستحىٰ من ذكرها «علمياً»، فيُعيَّرُ بها مُوردها ولو لم يكن هو قائلها، فليس كلَّ ما يُسمعُ يُقال، وليس كلُّ ما يُقرأ يُكتب، وليس التأليفُ مثلَ كلامٍ يُقال، بل يُختارُ منه ما يَنْفَعُ ويَثْبُت.

ويتأكَّدُ هذا إذا أوردها المؤلِّفُ ولم يردَّ عليها. وهذا ما صاحبَ عملَهُ هنا، في مواضع عديدة.

ثم تأتي تفسيراتُ الأحداثِ الطبيعيَّةِ والعلميَّةِ لحركةِ الكون، التي بحثَ

المؤلِّفُ مسائلَ منها، فلم يوفَّقْ في عددٍ منها، ذكرَ ما يوردهُ بعضُ المفسِّرينَ من تعليلاتٍ لا توافقُ الأخبارَ الصحيحة، ولا التأويلاتِ المقبولة، ولا التفسيرات العلمية.

ومنها الإسرائيلياتُ التي لم تثبت، فأوردها وكأنها هي الموجودةُ والمعوَّلُ عليها، والحقُّ أنها بعيدةٌ عن الدينِ والواقع.

فكان خطأهُ أن ينقلَ أو يذكرَ أن هذا هو الموضوعُ المطروحُ في الدين، وأن هذا هو تعليله.

وعذرهُ أن هذه النظرياتِ هي التي كانت مطروحةً في عصره، وفي كتبِ البحثِ عنده.

وإذا كان أوردَ فقهَ أحاديثَ فأحسنَ وأبدع، وأتى بما خفيَ وغابَ عن الأذهان، فإن خطأهُ هنا تمثَّلَ في عدَّةِ جهات، منها إيرادهُ أحاديثَ موضوعةً وضعيفةً جدّاً، ثم إيرادهُ تساؤلاتٍ حول معناها والحكمةِ منها. ولو عملَ على تخريجها وعلمَ أنها باطلة، لما احتاجَ إلى تكلُّفِ البحثِ في موضوعها أصلاً!

وباطِّلاعِ القارئ على فِهرسِ الأحاديثِ يلاحظُ أنها كثيرةٌ جدّاً، ولكن بالتمعُّنِ في ألفَاظها والبحثِ عن مصادرِ تخريجها ومقارنتها، يلاحظُ أن المؤلف أوردَ كثيراً منها بمعناها على أن هذا هو لفظها، ولم يشرْ إلى ذلك كما هو دأبُ العلماءِ الأثباتِ المحافظين على حديثِ رسولِ الله ﷺ متناً ومعنىً.

وقد أوقعَهُ هذا الأسلوبُ ـ غيرُ المرغوب ـ في التأليفِ إلى خلطِ أحاديثَ بعضها ببعض، وإيرادِ آثارٍ لعلماءَ على أنها أحاديثُ شريفة. ولصقِ ألفاظٍ بها ومعانٍ ليست منها، فهو لا يرجعُ إلى مصادرها الأصليةِ لينقلها كما هي، بل يوردها من حفظهِ أو ينقلها من حفظِ الآخرين! وهو لا يخرِّجها ولا يوردُ الحكمَ عليها، ولم أرَ بعضها في عشراتِ المصادر التي رجعتُ إليها! على الرغم من أنه قرأ علومَ الحديثِ على أعلام عصره، وعرف أصول البحثِ والشرحِ فيها، ولكنه لم يطبِّقْ ذلك علمياً في هذا الكتاب كلِّه.

وإذا كان الخطأ يُذكرُ هنا ليُنَبَّهَ إليه ويُتجَنَّب، وأنه لا مجالَ لقبولهِ في مجالِ الدينِ خاصَّة، فإنني أشيرُ إلى أن المؤلِّفَ بحثَ ـ أكثرَ ما بحث ـ في أمورٍ يدورُ حولها أسئلةٌ واستفسارات، وأن كثيراً منها أُجيبَ عليها بأكثرَ من جواب، فكان دأبهُ أن يوردَ هذه الأقوالَ الصحيحةَ والضعيفة، وقد يختارُ منها الصحيحَ أو يتركها هكذا، حائراً، ومحيِّراً غيره.

ولذلك شعرتُ أن هذا الكتابَ يحتاجُ إلى دراسةٍ وتعليقٍ وليس تحقيقٍ فقط، أعني اختيارَ الأجوبةِ الصحيحةِ ونبذَ ما هو ضعيفٌ ومرفوض، فيما وردَ فيه نصٌّ أو اختارَهُ علماءُ أثباتٌ على الأقل، وهذا ما لا يتأتَّى في وقتٍ قريب، ولستُ من فرسانِ هذا الميدان، ولذلك أعتذرُ للقارئ الكريم من تقديمِ هذا العملِ ناقصاً في جانبٍ مهمٍّ له.

وإذا ركزتُ على جانبِ النقدِ فأحسبُ أنه من جانبِ الغيرةِ على الدين، وأنه ينبغي أن يقدَّمَ في صورةٍ صحيحةٍ صافية سالمةٍ من الشوائب.

وصارَ جانبُ النقدِ هو المتبادرُ من الأعمال، الذي يبادرُ إليه قبل إبرازِ الحسنات، وإلا فإن المؤلفَ الجليلَ قد أورد مسائلَ يعجزُ عن الخوضِ فيها فطاحلُ العلماء، ومن لهم قدمٌ راسخةٌ في العلم. ولهذه المسائلِ والخوضِ فيها وذكرِ تفريعاتها والحكمةِ منها أنصارٌ محبُّون، وهم ممن يتعمَّقونَ ويتشعَّبونَ في السؤالِ والاستسفار، حتى ينتهي بهم الأمرُ إلى مواقفَ معضلة، وجوانبَ لا قدرةَ للإنسانِ على الإجابةِ عليها، أو لا أدلَّة ولا أثرَ فيها ظاهر.

والذي يجمعُ هذا الجانبَ وذاكَ من عملِ المؤلف، وأنه قد يُعْذَرُ في جوانبَ منه، هو أنه عملٌ جديدٌ يخوضُ فيه، أعني إفرادَهُ في كتاب. أما بحثُ مسائلُ خاصَّةٍ منه في ثنايا كتبٍ فكثيرٌ لا يُحصى، ولعل أبرزها «التفسيرُ الكبير» للإمام فخر الدين الرازي، رحمه الله.

وقد يندرجُ عملُ المؤلفِ هذا في المؤلَّفاتِ التي تبحثُ في «حكمةِ التشريع» القليلةِ جدّاً في تاريخنا الإسلاميِّ السابقِ والمعاصر، وهو وإن لم يكن فقهاً وتشريعاً كله، إلا أنه في معظمهِ ومدلوله كذلك.

لكنه ليس هو أوَّلَ من ألَّف فيه، فقد سبقَهُ إلى هذا عالمٌ عارفٌ آخرُ يسمَّى «النيسابوري»، وقد نقل منه في أكثر من (٦٠) موضعاً في هذا الكتاب. ولم يذكرْهُ سوى بهذه النسبةِ إلى بلده. وقد أشارَ إلى هذا الحافظُ السخاويُّ في ترجمته، مبيِّناً سبقَ النيسابوري كما قلت، ولم يذكرْ هو الآخرُ اسمَهُ، ولا كتابَهُ الذي ألَّفَ فيه.

وظننتُ أنني أمسكتُ بأوَّلِ الخيطِ الذي يوصلني إليه عندما نقلَ من كتاب «اللطائف والحِكم» لـ «النيسابوري» في الفقرة رقم (٢١٠)، ثم ذكرَهُ في الرقم (٢١٧) بعنوان «المعاني والحِكم». وبعد البحثِ والتنقيبِ في مصادرَ عديدة، عامَّةٍ وخاصَّة، وقفتُ ـ فقط على كتاب «لطائف الحِكم» في كشف الظنون، وأنه «للشيخ الإمام... النيسابوري المتوفى...». فلم يروِ هو الآخر غليلاً، ولا شفى عليلاً.

ولم يبقَ سوى الاستنتاج، بمطالعةِ سيرةِ الأعلامِ النيسابوريين، وقراءةِ عناوين كتبهم مما يكون أقرب إلى اهتمامِ المؤلفِ بمثلِ هذا الموضوع، فرجَّحتُ أن يكونَ الأقربُ في هذا هو نجمُ الدين أبو القاسم محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوري القزويني الشهير ببيان الحق، المفسِّرُ الفقيه، المتوفَّى سنة ٥٥٠هـ، ذكر ياقوت الحموي أن له تصانيفَ ادَّعى فيها الإعجاز!

ومن مؤلفاته: الأسئلة الرائعة والأجوبة الصارعة، حلبة البيان وحلية الإحسان، إيجاز البيان عن معاني القرآن (يشتمل على عشرة آلاف فائدة)، باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن، جمل الغرائب في الحديث، درر الكلمات على غرر الآيات الموهمة للتعارض والشبهات، شوارد الشواهد وقلائد القصائد.

وقد نصلُ إلى نتيجةٍ أن هذا الكتابَ إن لم يكنِ الأوَّلَ في موضوعِهِ، فإنه قد يكونُ أوَّلَ كتابٍ تراثيٍّ يطبعُ في هذا الموضوع.

وقد يكون سببُ انتشارِهِ وكثرةِ نُسخه هو لأنه الوحيدُ في موضوعِهِ الموجودِ بين أيدي طلبةِ العلمِ والعلماء.

هذا، وعلى الرغم من المسائلِ الصعبةِ والمشكلةِ التي خاضَ فيها المؤلف، إلا أنه أوردهاَ بأسلوبٍ مشوِّق، وجعلها كلَّها في هيئةِ سؤالٍ وجواب، وأوجزَ القولَ في أجوبتها، فإذا أفاضَ شردَ وأفاد.

وقد استفدتُ من منهجِ المؤلفِ في جعلِ مسائلِ الكتابِ في أسئلةٍ وأجوبة، فوضعتُ لكلِّ سؤالٍ رقماً متسلسلاً، وانتظمَ جميعها في (**٢٤٦**) سؤال، وقسمتُ الكتابَ كله أو جلَّهُ إلى فقراتٍ موضوعية، وجعلتُ لها عناوين، هي التي يراها القارىءُ بين معقوفتين. وصنعتُ له فهارسَ فنيَّةً متبوعةً بتلك الأرقامِ المتسلسلة. وحقَّقتُ ما قدرتُ عليه، وعلقتُ ووثقتُ القليلَ منها، وركَّزتُ على تخريجِ الأحاديث الشريفة.

وقد تحدَّثتُ على جوانبَ من **حياةِ المؤلفِ** وبعضِ مؤلَّفاته في أولِ هذه المقدمة، وأسهبتُ في ذلك بعضَ الشيءِ في مقدِّمةِ الكتابِ الذي حقَّقتهُ له سابقاً «القول التمام في آداب دخول الحمام» وذكرت مصادر ترجمته هناك.

وهو شهاب الدين أحمد بن عماد الأَقْفَهْسي الشافعي، أحدُ أئمَّةِ الشافعيَّةِ في القرن الثامنِ الهجري، يُعرف بابن العماد، ونسبتهُ إلى «أقفهس» بلدٌ من أعمالِ البهنسا بمصر، ثم سكن القاهرة. وهو والدُ «محمد» الفقيهِ أيضاً، المعروفِ بابن العماد أيضاً.

قرأ علومَ الشريعةِ على شيوخٍ أعلام، ودرَّسَ وصنَّف، وتتلمذَ عليه غيرُ واحد.

توفي سنة (٨٠٨هـ) قبل أن يبلغَ الستينَ من عمره.

ولهذا الكتابِ **نسخٌ خطيَّةٌ** عديدة، وقفتُ على نحو (**٣٠**) منها عن طريقِ مركز الملك فيصل للبحوث والدراساتِ الإسلامية بالرياض، قد يكونُ بعضها تصويراً، وهذا يدلُّ على أهميته، فإن كثرةَ نسخِ الكتابِ دليلٌ على أهميته.

وقد اعتمدتُ من بينها على ثلاثِ منها، هي:

١ ـ النسخة الأولى (أ): محفوظة في جامعة برنستون برقم (٤٧٧) من مجموعة يهودا، وتقع في (٦٥) ورقة، في كل وجه (١٩) سطراً، بعضها دقيق جداً.

وعليها ملصقٌ يبيِّنُ أنها بخطِّ المؤلفِ نفسه، وهكذا هو في بياناتِ المكتبةِ التي قدمتْ فهرساً له، وقد أغراني هذا بالإسراع في تحقيقهِ واتخاذهِ أصلاً، ثم تبيَّنَ أنه غير صحيح، ففي هذه النسخةِ من الأخطاءِ النحويةِ والإملائيةِ وسقطِ كلماتٍ وجملٍ، مع تصحيف وتحريف لا يقعُ فيها طلبةُ علم صغار، فضلاً عن علماءَ راسخين، وقد أشرتُ إلى بعضها في الهوامش. ثم قارنتُ بين خطِّ هذه النسخةِ وخطِّ المؤلفِ كما أوردَ صورةً منه صاحب «الأعلام»، فتبيَّنَ اختلافهُ عنه، وأخيراً فقد أوردَ شهرته خطأً في أوَّلِ الكتابِ وآخره، حيث كتب «الأفقهسي»، كما يرى القارئ صورته في آخرِ مقدمةِ هذا الكتاب.

ولعل الذين أودى بهم إلى هذا القول هو عدم ذكرِ اسمِ الناسخِ في آخره، حيث يتوقفُ فيه الكلام بخاتمةِ المؤلف وحده. وقد يكون أقدم النسخِ الثلاث.

٢ ـ النسخة الثانية (ب): وهي الأخرى من جامعة برنستون برقم (٨٥٤)، في كلِّ وجه (٢١) سطراً، كتبت بخط واضح وجميل. وهي التي يوجد فيها لفظ «الجواب» الذي يأتي بعد السؤال، دون سائر النسخ، إلا ما ندر. ولم يذكر ناسخها كذلك، ولا سنة نسخها. وقد يعود إلى حدود القرن العاشر الهجري. والله أعلم.

٣ ـ النسخة الثالثة (ج): وهي النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض برقم (٢٦٨)، وتقع في (١٤٤) ورقة، في كلِّ وجه (١٣) سطراً. كاتبه علي بن حسن بن علي بن أحمد الأزهري الشافعي، المعروف بالسروي الخطيب، في سنة ٨٩١هـ. وهي بخط واضح، ولا بأس بها، كتبَ بعد وفاة المؤلفِ بنحو قرن من الزمان.

وبين هذه النسخِ اختلافات، اهتممتُ بها أوَّلاً، فلمّا زادتْ تركتها،

ولم أدوِّنْ منها سوى ما يتعلقُ بأمرٍ علمي، أو بقيمةِ النسخ، ونحو ذلك.

ولم أجعلْ أيّاً منها أصلاً، فاخترتُ من بينها المناسبَ السليمَ إذا اختلفت.

وأخيراً، فقد اجتهدتُ أن أقدِّمَ هذا الكتابَ في شكلٍ مقبول، بعد تحقيقهِ وتخريجِ أحاديثهِ خاصَّة، دون التعليقِ عليه والإشارة إلى دلائلهِ الصحيحةِ ومسائلهِ المقبولة.

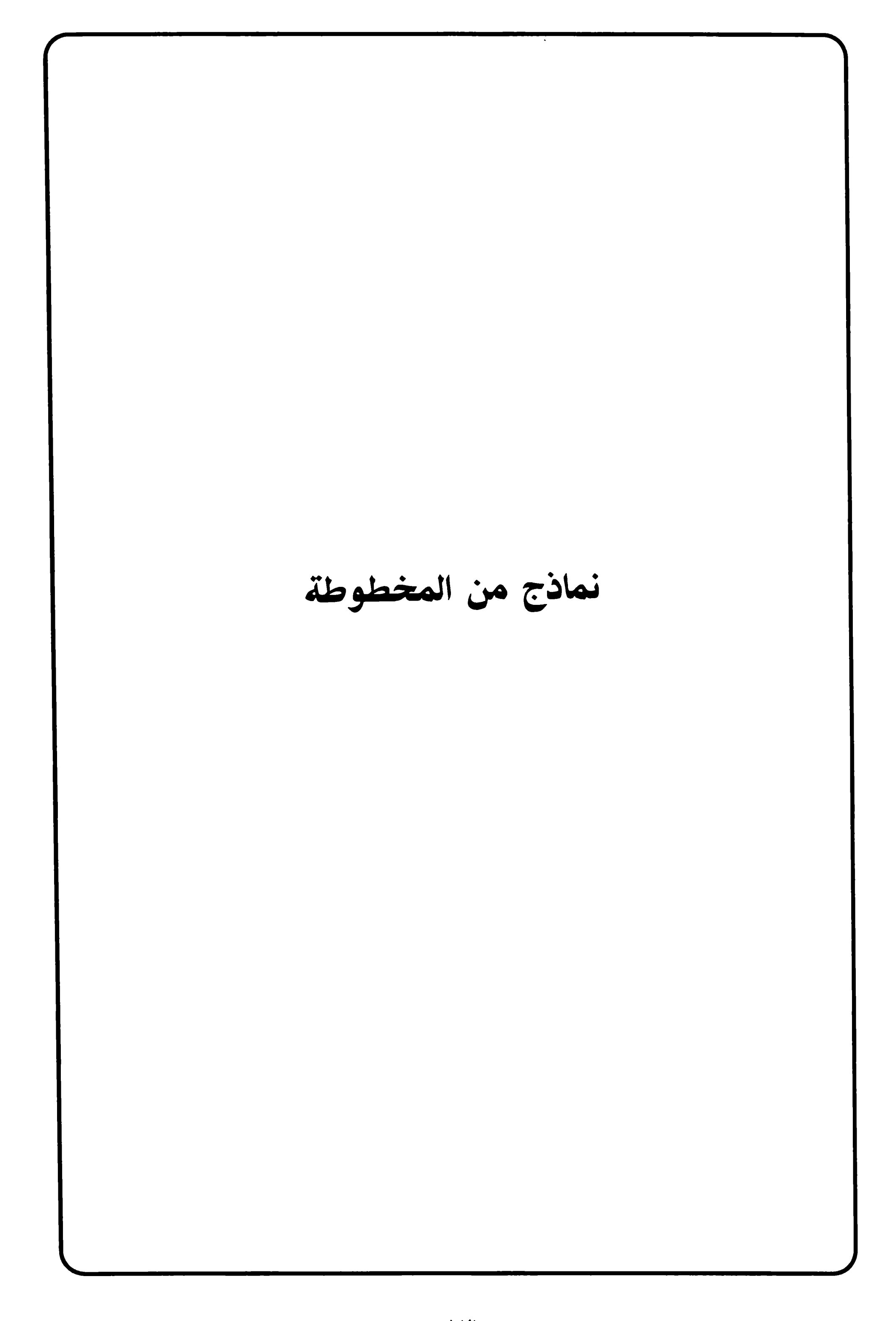
وأنبِّهُ القارئَ الكريمَ مرَّةً أخرى إلى أن بعضَ التفسيراتِ العلميةِ وغيرها التي أوردها المؤلف، إن لم تكنْ مقبولةً لديه الآن، فقد كانت هي المطروحةُ آنذاك.

ثم إن هذا من أوائلِ الكتبِ التي أُفردتْ لبحثِ المسائلِ الشائكة، التي لا يوجدُ للعلماءِ فيها قولٌ قاطع، ولا بدَّ أن تكونَ الأعمالُ الأولى تحت النظر، حتى تكتملَ من بعدُ بجهودِ العلماءِ الآخرين.

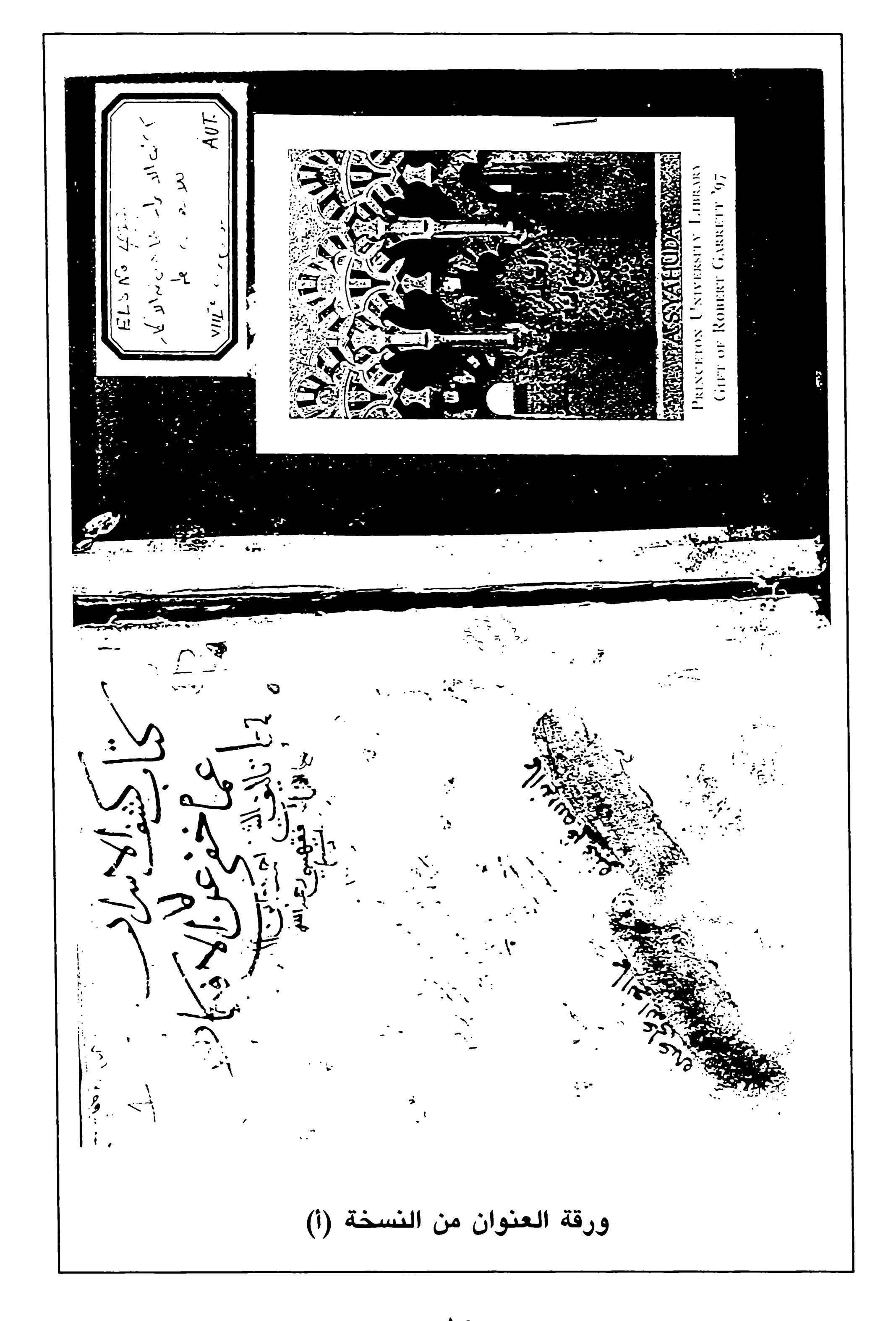
وعلى الله التكلان، وهو حسبي ونِعم الوكيل، والحمدُ له وحده، وصلَّى الله وسلَّم وباركَ على نبيِّهِ محمد، وعلى آلهِ وصحبه.

محمد خير يوسف

١٤٢٥/٦/١٤هـ



نماذج من المخطوطة



ورقة العنوان من النسخة (أ)

بني ادم ويسلمون عليهم قال وأما المفطنة فلا زموا الانسان يدخلون
معه هذه الاماكن فمن كان عنا كلب او صورة حرم تسليم ملايكة الرحمة
لان من يسلموا عليه عقل له وكان يحرم بركته لانهم تحرم بركة مرافقتهم ومجالستهم
وبالله التوفيق قال جامعه لعه من العماد الانتهى

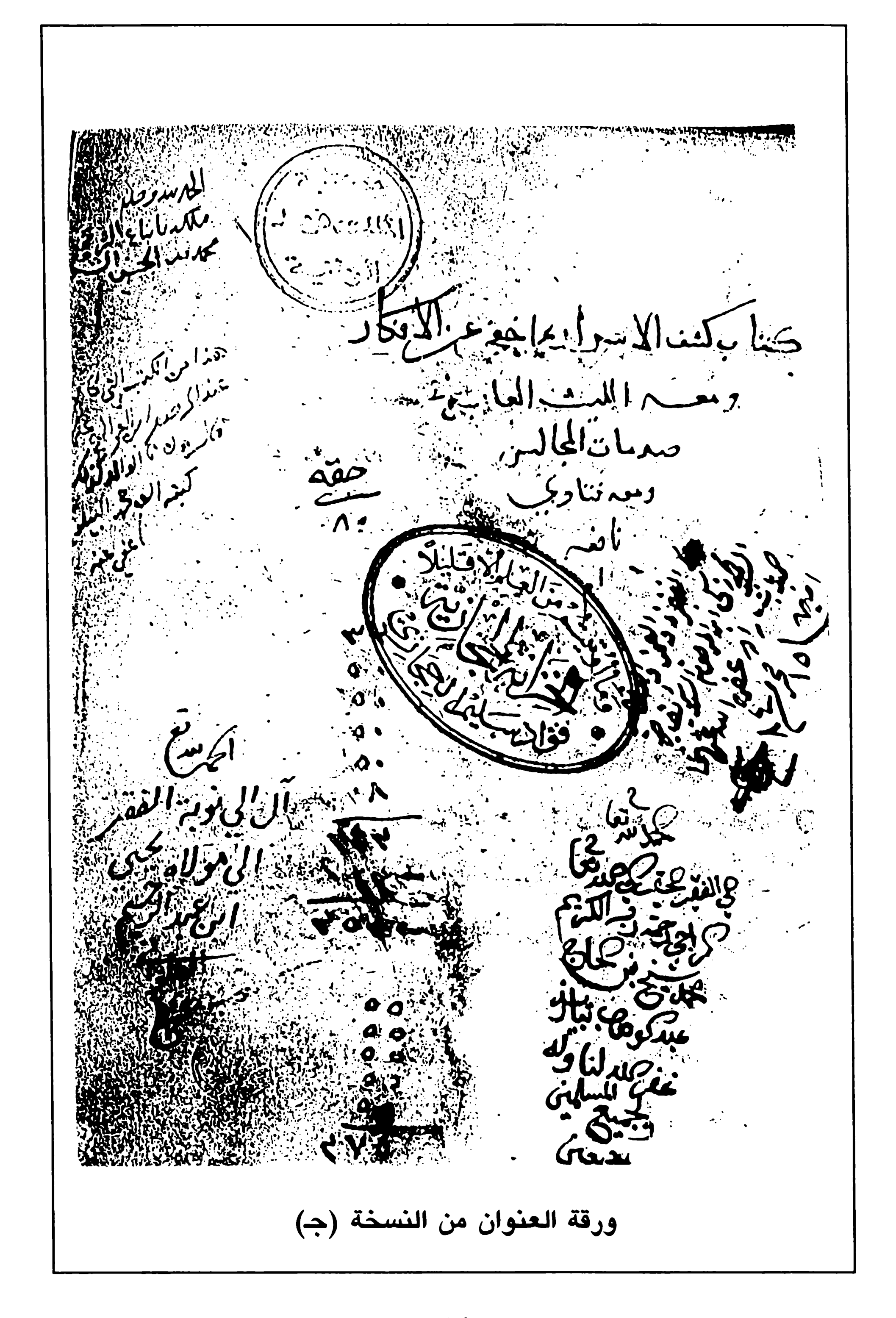
وكان سبب جمعي هذا ان سمعت جماعة
تخلطوا كثيرا في ذلك لعدم
هدايتهم ومعرفتهم
بذلك والله اسال
ذلك وصلى الله على نبيه
وخيرته من خلقه وعلى
اله وازواجه وذريته
والال والصحابة
اجمعين

الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



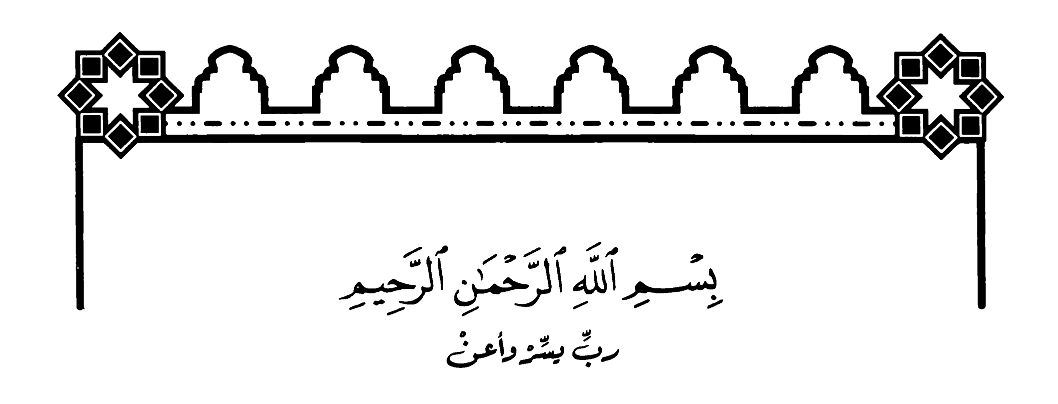
ورقة العنوان من النسخة (ب)

الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



ورقة العنوان من النسخة (جـ)

الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



ربِّ يسِّرْ وأعنْ

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، الموجدِ للأشياءِ بلا مُعين، الذي ﴿خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٧ ـ ٨]، وأبرزَهُ إلى الوجودِ بعد أن كان نطفةً في قرارٍ مكين، وصوَّرَهُ فأحسنَ صورتَهُ ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وعلَّمَهُ بكرمهِ ما لم يكنْ يعلم، وبيَّن له طريقَ الرشدِ من الغيِّ ليسلم، ونصبَ له الدلالةَ على وحدانيته، وعلى دوامهِ وسرمديته، وعلى إلهيتهِ وصمديته، وعلى حياته وعالِميته، وعلى كمالهِ واستغنائهِ في أزليَّته، وعلى حكمتهِ وإرادتهِ وقادريته، ونبَّهَ على أسمائهِ بقولهِ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وعلى صفاتهِ بقولهِ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٢][1]، وعلى أقوالهِ بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]، وعلى أفعالهِ بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]، وعلى نعتهِ بقولهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وعلى ذاتهِ بقولهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فسبحانَ مَنْ لا يُدرَكُ بالحواسّ، ولا يُقاسُ بالقياس، ولا يُشبَّهُ بالناس. مشهورٌ بالآيات، منعوتٌ بالعلامات، عدلٌ، لا يجورُ ولا

(١) الآيتان الأوليان من سورة الإخلاص لم تردا في ج.

يحيف[1]، تراهُ القلوبُ بحقائقِ الأنوار، وتستدلُّ عليه بواضحاتِ الآثار، وتعرفُ[2] نفوذَ إرادتهِ بنقصِ العزماتِ والتدبير، وتعرفُ إتقانَ صنعتهِ بحسنِ التصوير.

قيل لبعضهم: كيف عرفتَ ربَّك؟

قال: بخروجِ الجنينِ مصوَّراً على صورةٍ غيرِ مُرادةٍ للأبوين[3]، فعلمتُ أنه ليس من طبعٍ ولا نجم.

ودخلَ الشعبيُّ[4] على الحجّاجِ فقال: واحدٌ من واحد، وواحدٌ كواحد، وواحدٌ في واحد، أيُّهم تعبد؟

فقال: لا أعبدُ واحداً في واحدٍ من طريقِ العدد، ولا الواحدَ من الواحدِ كالولدِ من الوالد، بل أعبدُ الواحدَ الذي ليس بعددٍ ولا بجسد، ولا بوالدٍ ولا بولد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً تورثُ قائلَها غُرَفَ الجِنان، وتقيهِ لفحاتِ النيران.

وأشهدُ أنَّ محمداً ﷺ عبدهُ ورسوله، أفضلُ الأنبياءِ والإنسِ والجانّ. صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبهِ السادةِ الأعيان، **وبعد**:

فهذا كتابٌ أذكرُ فيه أجوبةً عن مسائلَ مُشكلة، وخفياتٍ عن إدراكِ حواسِّ القلوبِ مقفلة[5]، تتحيَّرُ فيها أفكارُ العلماء، وتقفُ عندها عقولُ الحكماء، وسمَّيتهُ كتاب «**كشف الأستار عمّا خفي عن الأفكار**»، واللَّهُ المستعان، وعليه الاعتمادُ والتكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللَّه العليِّ العظيم.

---

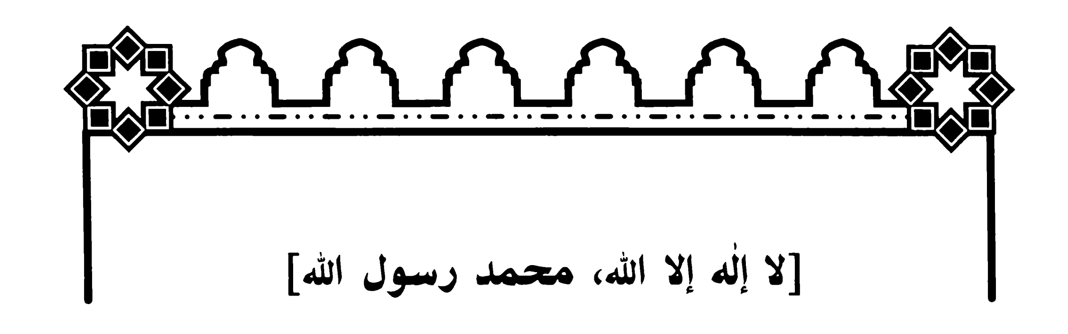
(١) في أ: لا يحوف ولا يحيف؟ والحيف والجور: الظلم.

(٢) في أ: وتعرفت.

(٣) في أ: مراد الأبوين، وفي ج: مرادة لأبويه.

(٤) الإمام الراوية المعروف عامر بن شراحيل الشعبي، كان عالم زمانه. ت١٠٤هـ. العبر ٩٦/١.

(٥) في ب: المقفلة.



[لا إله إلا الله، محمد رسول الله]

١ ـ سؤال: لمَ كانت «لا إله إلا الله، محمدٌ رسولُ الله» سبعَ كلمات؟

ولمَ كانت أربعةَ وعشرينَ[١] حرفاً؟

ولمَ كانت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] تسعةَ عشرَ حرفاً؟.

ولمَ كان الأذانُ تسعَ عشرةَ كلمة؟

الجواب: إنما كانت «لا إله إلا الله، محمدٌ رسولُ الله» سبعَ كلمات؛ لتكونَ بعددِ أبوابِ جهنَّم[٢]، فمن قالها كُفيَ شرَّ أبوابِ جهنَّمَ السبعة، أعاذنا الله منها[٣].

قال الإمام فخر الدين[٤]: إنما كانتْ أربعةَ وعشرين حرفاً لتكونَ بعددِ

---

(١) في النسختين «عشرون» هنا وفيما يأتي، مما محلُّه النصب.

(٢) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

(٣) في هامش ب: قال الإمام فخر الدين الرازي في «أسرار التنزيل»: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء وثلاثمائة... [ولجهنم] سبعة أعضاء، فكلُّ كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق باباً من الأبواب السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة.

(٤) العلامة المفسِّر فخر الدين محمد بن عمر الرازي الطبرستاني الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة. ت٦٠٦هـ. العبر ١٤٢/٣.

ساعاتِ اليومِ والليلة، إذ هي أربعٌ[١] وعشرونَ ساعة، فمن قالها كُتِبَ له بكلِّ حرفٍ عبادةُ ساعة، وغُفِرَ له ذنوبُ ساعاتِ اليومِ والليلة، إذ هي أربعٌ وعشرونَ ساعةً[٢] أجمع.

وإنما كان الأذانُ تسعَ عشرةَ كلمةً[٣]، و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تسعةَ عشرَ حرفاً، قيل: لأن الله تعالى خلقَ رؤساءَ الزبانيةِ على جهنَّمَ تسعةَ عشرَ ملكاً، كما قال الله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠]، وأتباعُهم لا يُحصيهم إلا الله تعالى. فمن قرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كفاهُ الله بكلِّ حرفٍ منها واحداً من الزبانيةِ[٤] التسعةَ عشر، ولم يسلِّطهمْ عليه ببركةِ ذكرِ اسمِ الله تعالى.

وكذلك الأذانُ يكفيهِ بكلِّ كلمةٍ منه واحداً منهم.

***

٢ ـ سؤال: لِمَ كانت النفيُ مقدَّماً[٥] على الإثباتِ في «لا إلٰه إلا الله»؟ وهلَّا قُدِّمَ الإثباتُ على النفيِ فقيل: الله لا إلٰه إلا هو؟

الجواب: قيلَ عنه جوابان:

الأول: أنه إنما بُدِئ[٦] بالنفي ردّاً على زاعمِ التشريكِ[٧] ومدَّعيه، لأن المناسبَ في اللسانِ أن يُجابَ مدَّعي الإثباتِ بالنفي، ومدَّعي النفي بالإثبات.

---

(١) في جميع النسخ: أربعة.
(٢) من قوله: «فمن قالها» حتى هنا لم يرد في ج، ومن «إذ هي» حتى هنا لم يرد في أ.
(٣) في هامش ج: أي عند الشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وأما عند مالك فسبع عشرة ـ بتقديم السين ـ جعل التكبير مرتين لا أربعاً.
(٤) من قوله: «على جهنم» حتى هنا لم يرد في ج.
(٥) في ب: مقدم، وفي أ: متقدماً.
(٦) في أ، ج: بدأ.
(٧) في ب: راداً على زاعم الشريك.

الثاني: إنما قُدِّمَ النفيُ على الإثباتِ ليفرِّغَ الموحِّدُ قلبَهُ مما سوى الله تعالى بلسانه كما فرَّغَهُ بقلبه؛ ليواطئَ اللسانُ القلب، فإذا فرَّغَهُ أثبتَ فيه اللّهَ تعالى حتى لا يكونَ مع الله غيرُه، ولا يكونَ مشغولاً بشيءٍ غيره. ومتى شغلَ قلبَهُ بشيءٍ غيره[1] لم يصحَّ توحيده، لأنه ليس لله شريك، والقلبُ المشغولُ بغيرِ الله لا يصحُّ شغلهُ بالله في حالِ شغلهُ بغيرِ الله[2]، إذ المشغولُ لا يُشْغَل.

❋ ❋ ❋

٣ ـ سؤال: فلمَ كانت «لا إله إلا الله» أربعَ كلمات؟

فيظهرُ في **الجواب**: أنه لمّا كان النهارُ نصفين[3] والليلُ نصفين، كانتِ الأنصافُ أربعة؛ فكانتِ الكلماتُ بعددِ هذه الأنصافِ؛ ليكونَ مَنْ قالها في اليومِ والليلةِ مغفوراً له ذنوبَ ما عمل فيها.

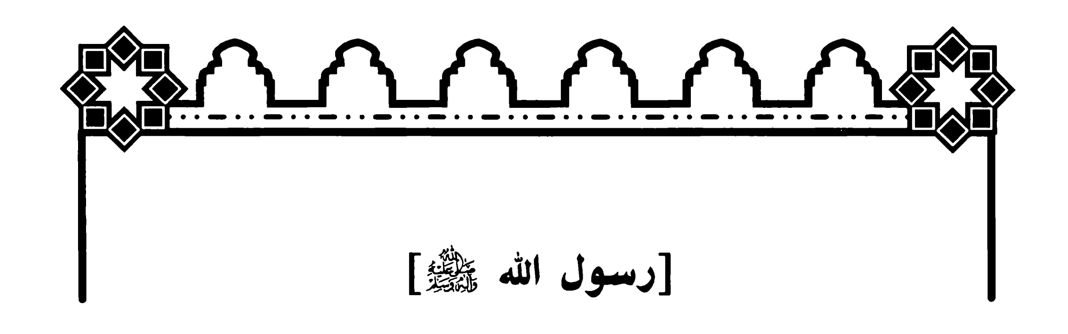
قال السمرقندي في كتاب «الأربعين»: ويُقال: من قال: «لا إله إلا الله» هُدِمَتْ عنه أربعةُ آلافِ سيِّئة، كلُّ كلمةٍ تكفِّرُ ألفَ سيِّئة.



(١) في ب: بغيره.

(٢) فيه تكرير لا لزوم له.

(٣) في أ، ب: «نصفان»، هنا وفيما يأتي.



[رسول الله ﷺ]

٤ ـ سؤال:

أ ـ لِمَ كان اسمُ «محمد» رسولِ الله أربعةَ أحرف؟

ب ـ ولِمَ كان (م ح م د)[١]؟

جـ ـ ولِمَ كانَ على هذا الترتيبِ والشكلِ الخاصّ؟

د ـ ولِمَ سُمِّيَ «سراجاً» في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[٢] [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] ولم يقل: «قمراً منيراً»؟.

هـ ـ ولِمَ كان يؤمُّ ولا يؤذِّن؟

و ـ ولِمَ سُمِّيَ حبيباً ولم يُسَمَّ خليلاً؟ وهل بين الحبيب والخليلِ فرقٌ أم لا؟

ز ـ ولِمَ أُمرنا بالصلاةِ عليه من غيرِ احتياجٍ له إلينا؟

ح ـ ولِمَ كان لا يَشْعُرُ[٣] ولا يكتب؟

ط ـ ولِمَ حُرِّمتْ أزواجهُ علينا؟

---

(١) في ج: محمداً فرح فرد.

(٢) لم ترد الكمات الأربع التالية في ج.

(٣) أي لا يقول الشعر.

ي ـ ولَمَ قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ولم يقل: «أبا أحدٍ منكم»؟

ك ـ ولَمَ حرمتِ الصدقةُ عليه؟

ل ـ ولَمَ جعلَهُ اللّهُ يتيماً لا مالَ له في الصِّغَر؟

م ـ ولَمَ سمَّىٰ اللّهُ نساءَهُ أمَّهاتٍ ولم يسمِّهِ أباً ﷺ؟

الجواب:

أ ـ أما **الأول**: وهو أن جعلَ اسمَهُ أربعةَ أحرف، فقال النيسابوري[1]: لأنَّ اسم الله تعالى أربعةُ أحرف، فجعل اسمَهُ أربعةَ أحرف ليوافقَ[2] اسمَ الله تعالى، وقد قرنَ اللّهُ تعالى اسمَ محمَّدٍ باسمهِ تعالى في الشهادتين.

وقيل في قولهِ تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤]: أي: لا أُذكَرُ إلا وتُذكَرُ معي[3].

وقال حسان في هذا المعنى يمدحهُ ﷺ:

أغرُّ، عليه للنبوَّةِ خاتَمٌ ... من اللّه مشهودٌ يلوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمهِ ... إذا قال في الخمسِ المؤذِّنُ اشهدُ
وشقَّ له من اسمهِ ليجلَّهُ ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمَّدُ[4]

ب ـ حروفُ اسمهِ ومعانيها: قال قوم: إن معنى الميم: مَحْقُ الكفرِ

---

(١) لعله محمود بن أبي الحسن [علي؟] بن الحسين النيسابوري الغزنوي، المفسر اللغوي، ذكر ياقوت الحموي أن له تصانيف ادعى فيها الإعجاز! منها: إيجاز البيان عن معاني القرآن (يشتمل على ١٠٠٠٠ فائدة، مطبوع)، الأسئلة الرائعة والأجوبة الصادعة (في التفسير)، التذكرة والتبصرة في مسائل الفقه (١٠٠٠ نكتة)، جمل الغرائب (في غريب الحديث ومشكله). مات نحو سنة ٥٥٠هـ.

(٢) في أ: موافقة.

(٣) هو قول مجاهد والحسن وغيرهما، ويبدو أنه قول جمهور المفسرين. ينظر الدر المنثور للسيوطي ٦/٦١٤ ـ ٦١٦.

(٤) لم يرد البيت الثاني في أ. وهي في «ديوان حسان بن ثابت الأنصاري» ص٨٢.

بالإسلام[1]، أو محوُ السيِّئاتِ عمَّن اتبعه. وقيل: الميمُ مَنُّ اللّهِ على المؤمنينَ بمحمَّدٍ ﷺ، دلَّ عليه قولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقيل: الميمُ مُنذر ومبشِّر. وقيل: الميمُ مَلِكُ أمَّته. وقيل: المقامُ المحمود.

وأما الحاءُ فقيل: حكمةُ بين الخلقِ[2] بحكم الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. وقيل: حياةُ أمَّتهِ به.

وأما الميم الثانية: فمغفرةُ اللّهِ لأمَّته. وقيل: الميمُ الثانية مُنادي الموحِّدين. وقيل: ملكَ أمتَهُ به[3].

وأما الدال: فهو الداعي إلى الله. قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فهو دليلُ الخلقِ في الدنيا، ودليلهم في الآخرةِ إلى الجنة. ذكره النيسابوري.

جـ - وأما وقوعُ الأحرفِ على الترتيبِ والشكلِ الخاص، فقيل: لأن الله تعالى خلقَ الخلقَ على صورةِ (محمد)، فالميمُ بصورةِ رأسِ الإنسان، والحاءُ بمنزلةِ اليدين، وباطنُ الحاءِ كالبطن، وظهرُها[4] كالظَّهر، والميمُ مجمعُ الأليتين والمخرج، وطرفا الدالِ كالرجلين. ومما أنشدَ بعضهم[5]:

لـه اسمٌ صـوَّرَ الـرحـمٰـنُ ربِّـي … خـلائـقَـهُ عـلـيـه كـمـا تـراهُ
لـه رِجْـلٌ وفـوق الـرجـلِ ظـهـرٌ … وتـحـت الـرأسِ قـد خُـلـقـتْ يـداهُ

---

(١) في ج: بالإيمان.
(٢) في أ: خلقه.
(٣) الجملة الأخيرة لم ترد في أ.
(٤) في ج: وظاهرها.
(٥) في ب: شعر، وفي ج: وفيه شعر.

وفي[1] اسمهِ عشرُ خصائص:

الأول: أضافَ الله تعالى اسمَهُ إلى نفسه.

الثاني: تخليقهُ الخلقَ على صورةِ اسمه.

الثالث: قرنَ اسمَهُ مع اسمه.

الرابع: كتبَ اسمَه على ساقِ العرش. ويروىٰ أن الله تعالى لما خلقَ العرشَ اضطرب، فلما كتبَ عليه اسمُ «محمد» ﷺ سكن[2]. وفيه تنبيهٌ على أن هذا المخلوقَ الأكبرَ لم يسكنْ حتى كُتبَ عليه اسمُ هذا المخلوقِ الأكبر.

الخامس: اشتقاقُ اسمه من اسمهِ المحمود.

السادس: جرتْ سفينة نوحٍ باسمه[3].

السابع: موافقةُ اسمهِ اسمَ الله تعالى في عددِ الحروف.

الثامن: سُخِّرتِ الشياطين لسليمانَ بذكرِ اسمه[4].

التاسع: تابَ الله تعالى على آدمَ باسمهِ، في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]. رُويَ أن آدمَ لـمّا رأى اسمَ محمدٍ مكتوباً في العرشِ قال: اللهم إني أسألُكَ بحقِّ محمدٍ أن تتوبَ عليّ، فتاب عليه[5].

---

(١) في أ: قال وفي...

(٢) في كتابة اسمه ﷺ على العرش ينظر الحديث التالي في الهامش.

(٣) بل جرت باسم الله وحده، كما قال ربنا في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾ [هود: ٤١].

(٤) وهذا مثل سابقه، وإنما يذكر اسمُ الله تعالى على الأشياء.

(٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لـمَا أذنب آدمُ الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فأوحى الله إليه: وما محمد، ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لمّا خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقلت: إنه ليس أحد=

العاشر: كُنِّيَ آدمُ بأبي محمد دون سائرِ أولاده، والوالدُ يُكنىٰ بأشرفِ بنيه[١].

قال النيسابوري رحمه الله: وأما أسماؤهُ **فخمسةٌ وسبعونَ** اسماً[٢]: محمد، وأحمد، والنبيّ، والرسول، وخاتم، والأميّ، والأمين[٣]، والرؤوف، والرحيم، والبشير، والمبشِّر، والنذير، والشاهد، والداعي، والسراج، والمنير، والصاحب، والعبد، والكريم، والوليّ، والعزيز، والرحمة، والنور، والفضل[٤]، والشهيد، والهادي، والمبين[٥]، والمرسَل، والمزَّمِّل، والمدَّثِّر، والصادق، والحاكم، والقاضي، وطه، ويس، والسلام، والشمس، والقمر، والنجم[٦]، والفجر، والعالم، والمستقيم، والسلام[٧]، والشاكر، والمصطفى، والمُجتبىٰ، والمختار، والورع، والمتوكِّل، والحاشر، والناشر، والعاقب، والمتقي، والماحي، والفارق، ونبيُّ الرحمة، ونبيُّ التوبة[٨]، ونبيُّ الملحمة، ومحمود، وحامد، وحماد، وطاب طاب، وإمامُ الرسل، وسيِّدُ ولدِ آدم، وذو الحوضِ المورود، والمقامِ المحمود، والأولُ، والآخر، والظاهر، والباطن، وفاتح[٩].

= أعظمَ عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: يا آدم، إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخرُ الأمم من ذريتك، ولولا هؤلاء يا آدم ما خلقتك».
رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٤٩٨) وقال: . . . لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد. وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم. مجمع الزوائد ٨/٢٥٣. وذكر السيوطي من رواته: الحاكم وأبا نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر. الدر المنثور ١/١١٦.

(١) أخرج ابن عساكر عن غالب بن عبد الله العقيلي قال: كنية آدم في الدنيا أبو البشر، وفي الجنة أبو محمد. الدر المنثور ١/١٥٠. والله أعلم بصحة ذلك.

(٢) وردت هنا (٧٣) اسماً.

(٣) ورد في ج فقط.

(٤) في أ: الفضيل.

(٥) في أ: المنير.

(٦) لم يرد في أ.

(٧) لم يرد في أ، ج.

(٨) لم يرد في أ، وفي ج: وفواتح.

(٩) في ب: فواتح النور.

ومن أسمائهِ ﷺ: الضحّاك، وقُثَم.

والضحّاكُ هو الذي يُسيلُ دمَ العدوِّ[١] في الحرب، وهو الشجاع.

وأما قُثَم فبضمِّ القاف وفتحِ الثاءِ المثلثة معناهُ الجامعُ للخير.

د ـ وأما تسميتهُ «سراجاً» فقيل: سراجاً للمؤمنينَ في الدنيا و«منيراً» للمذنبينَ يومَ القيامةِ بالشفاعة[٢].

وسمِّيَ سراجاً لأن السراجَ الواحدَ يُوقَدُ منه ألفُ سراجٍ ولا ينقصُ من نورهِ شيئاً، كذلك خلقَ الله جميعَ الأنبياءِ من نورِ محمدٍ ﷺ ولم ينقصْ من نورهِ شيئاً[٣].

ولم يُسَمَّ قمراً ولا شمساً لأنهما لا يُستضاءُ من نورهما، ولأنهما لا تنالهما الأيدي.

وسمَّىٰ اللّهُ تعالى الشمسَ سراجاً لأنها تُضيءُ لأهلِ الدنيا وأهلِ السماءِ كلِّهم، كذلك نورهُ ﷺ يُضيءُ لأمَّتهِ كلِّهم.

وقيل: سمّاهُ سراجاً لأن نورَ السراجِ يُضيءُ من الفوق، كذلك فضلُ النبيِّ ﷺ إلى الفوق[٤].

وقيل: «سراجاً» لأن السراجَ فيه حرارةٌ وسكون، كذلك هو ﷺ.

وقيل: لأن السراجَ يضيءُ من ستةِ جوانب، كذلك هو ﷺ.

قال النيسابوري: والسُّرُجُ خمسة: واحدٌ في الدنيا، وواحدٌ في الدِّين، وواحدٌ في السماء، وواحدٌ في الجنَّة، وواحدٌ في القلب.

---

(١) في أ: دماء الأعادي.
(٢) من أول هذه الفقرة حتى هنا لم يرد في ج.
(٣) لا أعرف دليلاً على هذا، الملائكة هي التي خُلقت من نور.
(٤) هذه الفقرة لم ترد في أ. وهكذا ورد «الفوق» في جميع النسخ.

ففي الدنيا: النار، وفي الدين: المصطفى، وفي السماء: الشمس، وفي الجنة: **«عمر سراجُ أهل الجنة»**[1]، وفي القلب: المعرفة.

هـ - وأما أنه ﷺ كان يؤمُّ ولا يؤذِّن، فقال النيسابوري وغيره: لأنه لو أذَّنَ لكانَ كلُّ من تخلَّفَ عن الإجابةِ يكونُ كافراً.

قال النيسابوري: ولأنه كان داعياً، فلم يَجُزْ أن يشهدَ لنفسه[2].

وقال غيره: لو أذَّنَ وقال: وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله، لتُوُهِّمَ أن ثَمَّ نبيٌّ غيره.

وقيل: لأن الأذانَ رآهُ غيرهُ في المنام، فوكَّلَهُ إلى غيره.

وأيضاً: كان لا يتفرَّغُ إليه من أشغاله.

وأيضاً: قال عليه الصلاةُ والسلام: **«الإمامُ ضامنٌ والمؤذِّنُ أمين»**[3]. فدفعَ الأمانةَ إلى غيره.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[4]: إنما لم يؤذِّنْ لأنه كان إذا عملَ عملاً أثبته، أي جعلَهُ دِيْمة، وهو كان لا يتفرَّغُ لذلك؛ لاشتغالِهِ بتبليغِ الرسالة، وهذا كما قال عمر رضي الله عنه: لولا الخلافةُ لأذَّنت.

---

(١) هذا يروى حديثاً، وممن رواه ابن عدي في الضعفاء في ترجمة عبد الله بن إبراهيم الغفاري، وذكر أن عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه. الكامل في الضعفاء ١٩٠/٤، ١٩٢، وحكم عليه الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير (٣٨٠٦)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٧٤/٩.

(٢) فماذا كان يقول في تشهده في الصلاة ﷺ؟

(٣) رواه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الإمام ضامن (٢٠٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٢٨)، وصححه في صحيح الجامع (٢٧٨٦).

(٤) سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي الدمشقي الشافعي، برع في الفقه والأصول والعربية، درَّس وأفتى وصنَّف وبلغ رتبة الاجتهاد، مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين. توفي سنة ٦٦٠هـ. العبر للذهبي ٢٩٩/٣.

قال: وأما من قال إنه امتنعَ لئلا يُعتقدَ أن الرسولَ غيره؛ فخطأ، لأنه ﷺ كان يقولُ في خطبته: وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله.

و ـ وأما الفرقُ بين الحبيبِ والخليل، فذكرَ النيسابوري أن الخليلَ الذي امتحنَهُ ثم أحبَّه، والحبيبَ الذي أحبَّهُ ابتداءَ تفضُّلاً.

والخليلُ الذي جعلَ ما يملكهُ فداءَ خليله، والحبيبُ جعلَ اللّهُ مملكتَهُ فداءه.

والخليلُ من اختارَهُ اللّهُ على كلِّ شيء[1].

ووجدَ إبراهيمُ الخُلَّةَ ولم يجدْها أحدٌ غيرهُ[2] بسببه[3].

ووجدَ محمَّدٌ المحبَّةَ، ووجدها أمَّتهُ بسببه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. والمحبَّةُ اسمٌ جامعٌ يجمعُ الخُلَّةَ وغيرها، والعامُّ أكثرُ من الخاصّ.

وذكرَ بعضهم أن الخليلَ من تخلَّلتِ المحبَّةُ أجزاءَ بدنه. وهذا هو اللائق.

---

(١) في أ: والخليل من اختار الله على كل شيء، والحبيب من اختاره الله على كل شيء.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ.

(٣) بل وجدها نبينا محمد ﷺ أيضاً، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عزَّ وجلَّ صاحبكم خليلاً». صحيح مسلم ـ في عدة روايات ـ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٣).
وذهب غير واحد إلى أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] من باب الاستعارة التمثيلية، لتنزهه تعالى عن صاحب وخليل، والمراد: اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله... روح المعاني ٢٢٦/٥.
وقال ابن كثير: هو من باب الترغيب في اتباعه، لأنه إمام يُقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرَّب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخُلَّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه... تفسير القرآن العظيم ٥٥٩/١.

وقال النيسابوري: مشتقٌ من الخليل، حيث نظرَ إلى غيره وولده[1].

وفيه نظر، فإنه إن كان بمعنى الصداقةِ ـ وهو المرادُ هنا ـ فهو مشتقٌ من الخُلَّة ـ بضمِّ الخاء ـ وهي الصداقة والمحبَّةُ الكاملة، وإن كان بمعنى الحاجةِ فهو مشتقٌ من الخَلَّة ـ بفتح الخاء ـ وهي الحاجةُ والفاقة، كما قال الشاعر:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولا جرمُ[2]

ز ـ وأما أمرنا بالصلاةِ عليه، فقيل: لأنه ينتفعُ بدعائنا.

قال النيسابوري: ألا ترى إلى قولهِ ﷺ: «**سلوا لي من الله الوسيلة**»[3]، ليُعلمَ أن الغنيَّ في الحقيقةِ هو الله تعالى.

وقال الحَليمي[4]: يجوزُ أنَّ الله تعالى جعلَ إعطاءَ الوسيلةِ له موقوفاً على دعائنا، وكذلك الشفاعة.

وقيل: إنْ لم يكنْ محتاجاً إلى دعائنا فنحن محتاجونَ إلى شفاعته، فأُمرنا بالصلاةِ عليه لحظِّنا؛ ليشفعَ لنا بها. ألا ترىٰ أنه أمرنا بمدحهِ وبالاستغفارِ لأصحابهِ من غيرِ حاجةٍ لهم إليها؟

ويُقال: أمركَ بالصلاةِ عليه لأنَّ الله تعالى أرادَ[5] أن يمنَّ به عليك، وبكَ عليه.

---

(١) في ج: مشتق من الخلل حيث نظر إلى غير ولده.

(٢) في أ: ولا جرم.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن (٣٨٤) وهو بلفظ: «سلوا الله لي الوسيلة».

(٤) القاضي الجليل أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي البخاري، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف، كان إماماً متقناً، صاحب وجه في المذهب. ت٤٠٣هـ. العبر ٢/٢٠٥.

(٥) في أ: أمرك بالصلاة عليه ليشفع لنا ولأنه أراد...
والأمر بالصلاة عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قيل: وإنما جُعلتِ الصلاةُ عليه مُحالةً على اللّهِ تعالى[1] وإنْ كانتْ صلاتُنا عليه مدحاً له، لأنّا لا نستطيعُ القيامَ بحقيقةِ مدحهِ ﷺ، فطلبنا من الله أن يصليَ عليه، فمعنى قولنا: «اللهمَّ صلِّ على محمَّد»: اللهمَّ أنزلْ صلاتكَ عليه. وأيضاً معناه: كما أجبتَ دعوةَ إبراهيمَ في ذرِّيتهِ فاستجبْ دعوةَ محمَّدٍ في أُمَّته؛ فهذا معنى قولنا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ كما صليتَ على إبراهيم. ذكرَهُ النيسابوري.

ح ـ وأما أنه كان لا يَشْعُر، فقيل: لأن الشِّعرَ مدحٌ أو هجاء، والمدحُ لا ينبغي للأنبياء، وهو أجلُّ من أن يهجو.

وأيضاً قال: الصادقُ الشِّعرِ أرفعُ ما في الخسيس، وأوضعُ ما في النفيس.

وأيضاً: لئلا يُتَّهمَ في القرآنِ أنه شعر.

وأما قوله ﷺ:

«هل أنتِ إلا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللّه ما لَقِيتِ»[2]

وكذلك:

«ستبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ»[3]

مما وردَ موردَهُ، فليس بشعر، لأنه وقعَ من غيرِ قصد، ولا بدَّ في الشعرِ أن يقصدَهُ الشاعر، كما نُقل عن الخليل بن أحمد.

ورُوي أنه قال في المصرعِ الثاني: **«ويأتيكَ مَنْ لم تزوَّدْ بالأخبار»**.

(١) أي أحيلت إليه، بمعنى طلبنا منه ذلك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ١٠٧/٧، قاله صلوات الله وسلامه عليه عندما كان يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه.

(٣) الشطر الثاني منه رواه الترمذي عن ابن عباس رفعه، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر (٢٨٤٨) وقال: حديث حسن صحيح، وكذا أحمد في مسنده ٣١/٦، ١٣٨، ١٥٦، ٢٢٢.

فقال له أبو بكر رضيَ الله عنه: ما هكذا الشعرُ يا رسولَ الله[(١)].

وإنما لم يكتبْ، لأنه لو كتبَ لقيلَ إنه قرأ القرآن من صحفِ الأوَّلين. وقد نبَّهَ اللّهُ بقوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال النيسابوري: إنما لم يكتب ولم يَحْسُبْ لأنه إذا كتبَ أو عَقَدَ بالخِنْصِرِ يقعُ ظلُّ إصبعهِ وقلمهِ على اسمهِ تعالى وذِكْرِهِ، فلمّا لم يفعلْ ذلك[(٢)] قال الله تعالى: لا جرمَ بعدما لم تردْ أن يكونَ قلمُكَ فوق اسمي ولم تردْ أن يكونَ ظلُّ القلم على اسمي[(٣)]، أمرتُ الناسَ أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك، ولا أدَعُ ظلَّكَ يقعُ على الأرض.

وذكرَ القاضي عياض: **إنما لم يقعْ له ظلٌّ على الأرضِ** إذا مشىٰ في الشمس، لأنَّ نورَهُ يغلبُ على نورِ الشمس.

وقال بعضُ الناس: إنما لم يقعْ ظلُّهُ على الأرضِ[(٤)] صيانةً له أن يُوْطَأَ ظلُّهُ بالأقدام.

قال النيسابوري: وإنما لم يكتبْ لئلا يشتغلَ بالكتابةِ عن الحفظ.

وأيضاً: لو كتبَ لكان ينظرُ إلى الأسفلِ عند القراءةِ والكتابةِ، فقال: لا تكتب، ليكونَ نظرُكَ أبداً علوياً.

ط ـ وأما تحريمُ نسائهِ علينا، فإنهنَّ لو تزوَّجنَ لكان في ذلك إيذاءٌ للنبيِّ ﷺ وتركٌ[(٥)] لمراعاةِ حرمته، وقد قال الله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فلو تزوَّجْنَ لكنَّ كسائرِ النساء.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن قتادة من سؤاله عائشة رضي الله عنه... الدر المنثور ٧١/٧.
ونقل صاحب «أسنى المطالب» رقم ١٠٥٠ عن الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح.

(٢) في أ: فلما لم يعقد قال...، وفي ج: فلما كان ذلك قال.

(٣) الجملة الأخيرة لم ترد في أ، وسقط «لم» من أول الجملة السابقة.

(٤) من قوله: «له ظل» حتى هنا، سقط من ج.

(٥) في النسخ: تركاً.

وأيضاً: قال النبيُّ ﷺ: «**شارطتُ ربِّي أنْ لا أتزوَّجَ إلا مَنْ تكونُ معي في الجنَّة**»(١). فلو تزوَّجْنَ لم يكنَّ معه في الجنَّة، بل كنَّ مع أزواجهنَّ.

ي ـ وإنما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ولم يقلْ «منكم» لأجلِ فاطمةَ والحسنِ والحسين؛ لأنه أبوهم.

قال النيسابوري(٢): وإنما سمَّىٰ نساءَهُ أمَّهاتٍ ولم يسمِّهِ أباً؛ لأنه لو سمّاهُ أباً لكان يحرمُ عليه نكاحُ أولاده.

ك ـ وإنما حرمتْ الصدقةُ عليه(٣) ليوافقَ نعتهُ سائرَ الكتب؛ لأن في سائرِ الكتب من صفته ونعتهِ أن الصدقةَ محرَّمةٌ عليه(٤).

وأيضاً: الصدقةُ من أوساخ الناس(٥)، فلم يردْ أن يأكلها.

وأيضاً: الصدقةُ تنشأ عن رحمةِ الدافعِ لمن يتصدَّقُ عليه، فلم يُردِ اللّهُ أن يكونَ نبيُّهُ ﷺ مرحومَ غيره.

وأيضاً: لأنه كان يأمرُ بالصدقة، فلو قبلها ربما حصلتِ التهمةُ، فيقالُ: إنه كان يأمرُ بها لأجلِ نفسه، فأبعدَهُ الله عن موضعِ التُّهَم ﷺ.

---

(١) هكذا أورد لفظه المؤلف، وهو عند الطبراني من حديث عبد الله بن عمر: «إني سألت ربي أن لا أتزوَّج إلى أحد ولا يتزوج إليَّ أحد إلا كان معي في الجنة، فأعطاني ذلك»، وباللفظ نفسه دون أن يسبقه «إني» من رواية عبد الله بن أبي أوفى، كلاهما في المعجم الأوسط (٣٨٥٦، ٥٧٥٨)، ورواه الحاكم في المستدرك أيضاً ١٣٧/٣، وهو ضعيف كما أفاده الألباني، ضعيف الجامع (٣٢٢١)، وكذا للشيرازي في الألقاب، الرقم الذي يليه.

(٢) في أ: قاله النيسابوري (للجملة السابقة).

(٣) قال رسول الله ﷺ لسبطه الحسن رضي الله عنه: «أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة»؟ صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من تكلم بالفارسية والرطانة (٣٠٧٢).

(٤) قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه: واختلف هل كان تحريم الصدقة من خصائصه دون الأنبياء، أو كلُّهم سواء في ذلك؟ فتح الباري ١٢٢/٤.

(٥) قال نبي الله عليه الصلاة والسلام: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة (١٠٧٢).

ل ـ وإنما ربّاهُ يتيماً لأنْ أساسَ كلِّ كبيرٍ صغيرٌ، وعُقبىٰ كلِّ حقيرٍ خطير[1].

وأيضاً: لينظرَ ﷺ إذا وصلَ إلى مدارجِ عزِّهِ إلى أوائلِ أمره، فيعلمَ أن العزيزَ مَنْ أعزَّهُ الله، وأن قوَّتَهُ ليستْ مِن الآباءِ والأمَّهات، ولا من المال، بل قوَّتهُ من الله تعالى.

وأيضاً: ليرحمَ الفقراءَ والأيتام؛ دلَّ عليه قولهُ تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٦ ـ ١٠].

م ـ وإنما سمَّى نساءَهُ أمَّهاتِ المؤمنين؛ لأنه يحرمُ نكاحهُنَّ[2] على المؤمنين؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فهنَّ أمَّهاتٌ لحرمةِ نكاحهنَّ.

وإنما لم يسمِّهِ أباً؛ لأنه لو سمّاهُ أباً لكان يحرمُ عليه أن يتزوَّجَ من نساءِ أمَّتهِ كما يحرمُ على الأبِ أن يتزوَّجَ بابنته[3]؛ وذلك ليس بحرامٍ عليه.

وقد قُرِئَ شاذّاً: «وأزواجهُ أمّهاتُهمْ وهو أبٌ لهم» لكنه نُسخ[4]؛ فلا يحلّ.



(١) في أ: كل خطير حقير!
(٢) في أ: نكاحه. وفي ب: لأنهن يحرمن نكاحهن.
(٣) في أ: أن يتزوج الأب بابنته.
(٤) هذه زيادة في قراءة ابن مسعود، كما ذكره النيسابوري في غرائب القرآن ٨٤/٢١ بهامش تفسير الطبري، قال: إلا أن يراد الأبوة والشفقة في الدين كما قال مجاهد: كل نبي فهو أبو أمته، ولذلك صار المؤمنون إخوة.
وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].



[الإسراء والمعراج]

٥ - سؤال: لمَ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ولم يقل «بنبيِّه»؟

الجواب: قيل: لئلا يتوهَّمَ فيه أيضاً أنه ابنٌ كما توهَّموا[(١)] عيسى بن مريم.

❋ ❋ ❋

٦ - سؤال: لمَ تُعُجِّبَ بعروجهِ ولم يُتَعَجَّبْ بنزوله، لأن «سبحان» كلمة تعجُّب؟

الجواب: قلنا: لأنه لمّا عَرَجَ[(٢)] كان مقصدهُ الحقّ، ولمّا نزلَ كان مقصدهُ الخَلْق.

وأيضاً: فإن عروجَهُ أعجبُ من نزوله؛ لأن عروجَ الكثيفِ إلى العلوِّ من العجائب، مع أنه إنْ تُعُجِّبَ بعروجهِ فقد أُقسمَ بنزوله، بقولهِ تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١][(٣)] ليكونَ عروجهُ ونزولهُ بين تأكيدين.

---

(١) في أ: اتهموا.

(٢) عَرَجَ ـ بفتح الثلاثة ـ ارتفع وعلا، فهو عريج، وعَرِجَ ـ بكسر الراء ـ: كان في رجله عرج.

(٣) قال العلامة الآلوسي رحمه الله: أظهر الأقوال القول بأن المراد بالنجم جنس النجم المعروف، فإن أصله اسم جنس لكل كوكب، وعلى القول بالتعيين فالأظهر القول بأنه الثريا. ووراء هذين القولين القول بأن المراد به المقدار النازل من القرآن، وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه. .. روح المعاني ٢٧/٧٠.



٧ ـ سؤال: ما الفرقُ بين السخيِّ، والكريم، والبخيل، واللئيم؟

الجواب: قلنا: قال النيسابوري: الذي يجمعُ ويمنع، ولا ينفعُ ولا يشفع؛ هو اللئيم.

والذي يجمعُ ويمنع، ويشفعُ ولا ينفع؛ هو البخيل.

والذي يجمعُ ويمنع، ويشفعُ وينفع؛ هو السخي.

والذي يجمعُ ولا يمنع، وينفعُ ويشفع؛ فهذا هو الكريم.

ولهذا لا يقُالُ لله تعالى «سخيّ»، ويُقالُ له: «كريم، جواد»؛ لأنه فعلَ لينفعَ غيره.





[أول شيء خلقه الله تعالى]

٨ ـ سؤال: أيُّ شيءٍ خلقَهُ الله أولاً؟

الجواب: قال النيسابوري: قال بعضهم: خلقَ الله تعالى أولاً زُمُرُّدَةَ خضراء.

ويقال: اللوحَ والقلم.

ويقال: الوقتَ والزمان.

ويقال: العرشَ والكرسيّ.

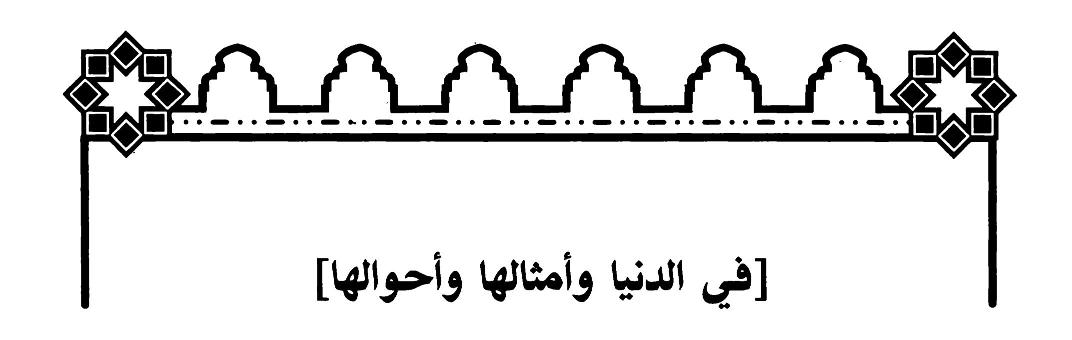
ويقال: خلقَ أولاً عاقلاً؛ لأنه أرادَ أن ينتفعَ بعقلهِ غيره.

ويقال: خلقَ جوهراً متغيِّراً من الألوان والأطباعِ والهيئات، ثم خلقَ الهيئاتِ فركَّبها من الأطباعِ والألوان؛ فصارتْ بسيطةً مؤَلَّفةً مطبوعة.

ويقال: خلقَ أولاً نقطةً، ثم نظرَ إليها بالهيبةِ فتضعضعَتْ وتمايلت، فصيَّرها الله تعالى ألفاً[1].

---

(١) ورد في الحديث الصحيح: «**إن أول ما خلق الله القلم**». رواه الترمذي (**٢١٥٥، ٣٣١٩**) وصححه في صحيح الجامع (٢٠/٧). ونقل ابن كثير قول الجمهور أن العرش مخلوق قبل ذلك، بدليل أحاديث أخرى، وأن حديث القلم يُحمل على أنه أول المخلوقات من هذا العالم. ينظر التفصيل في البداية والنهاية ١٣/١.



[في الدنيا وأمثالها وأحوالها]

٩ ـ سؤال: لمَ جعلَ الله تعالى الدنيا مبصرة[١] والآخرةَ غائبةً عن أبصارنا؟

الجواب: قيل: قال أبو محمد السِّجزي[٢]: أرادَ الله أن يعمِّرَ الدنيا، فلو رأوا الآخرةَ لأعجبتهم وتركوا الدنيا فلم يعمِّروها.

وأيضاً: لو رأوها لما جحدها أحد، وارتفعتِ المحنة.

قيل: وسُمِّيتِ الدنيا «دنيا» لدنوِّها قبل الآخرة.

وقيل: لدناءتها، كما حُكي عن عيسى بن مريم عليه السلام، أنه رأى طيراً حسناً عليه من كلِّ لون، ثم نزعَ جلدهُ فصارَ أقبحَ شيء، فقال: من أنت؟ قال: الدنيا!

فإن قيل: لمَ مثَّلها الله تعالى بالماء[٣]؟

قيل: لأن الماءَ ليس له قرار، وكذلك الدنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَـرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

---

(١) «الدنيا مبصرة» لم ترد في أ، ج.

(٢) الذي وقفت عليه بهذه الكنية هو دَعْلج بن أحمد السجزي البغدادي، الفقيه المحدث التاجر، كان يفتي على مذهب ابن خزيمة. ت٣٥١هـ. ومن تصانيفه المسند الكبير. سير أعلام النبلاء ١٦/٣٠.

(٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ...﴾ [يونس: ٢٤].

وأيضاً: فالماءُ قليلهُ فيه الكفاية، وكثيرهُ مضرّ، كذلك الدنيا، قليلُها يكفي، وكثيرها يطغي ولا يُغني، وتركُ القليلِ والكثيرِ يورثُ القناعة، ثم الولاية، ثم القُربة، ثم الوصلة، ثم الرؤية على بساطِ الإبانة[١].

وأيضاً: الماءُ إنْ أمسكتَهُ بتغيَّرُ وينتنُ ويصيرُ بليَّة، فكذلك الدنيا تصيرُ لمن يُمسكها بليَّة.

وأيضاً: بالماءِ تظهرُ[٢] الأرضُ الطيبةُ التي تنبتُ من الأرضِ[٣] التي لا تنبت[٤]، كذلك بالمالِ يتبيَّنُ الكريمُ من اللئيم.

وأيضاً: الماءُ يأتي قطرةً قطرةً ويذهبُ دفعةً واحدة، كذلك المال[٥].

وأيضاً: الماءُ يسترُ الأرض، كذلك المالُ يغطِّي عيبَ الرجل[٦].

وأيضاً: الماءُ ينزلُ من السماءِ بقدَر، كذلك تقديرُ الدنيا ينزلُ من فوق بقدَر[٧].

وأيضاً: الماءُ لا يبقى، خاصَّةً ماء السماء، كذلك الدنيا.

وأيضاً: الماءُ طبعهُ النقصان، كذلك الدنيا.

وأيضاً: الماءُ يكونُ بموضعٍ قليلاً وبموضعٍ كثيراً[٨]، كذلك الدنيا.

وأيضاً: لا يقدرُ أحدٌ أن يردَّ المطر، كذلك لا يقدرُ أحدٌ أن يردَّ الرزق.

---

(١) في ب، ج: الإنابة.
(٢) في ب، ج: تطهر.
(٣) في ج: بخلاف الأرض.
(٤) في ب: ليتبين، وفي ج: يستبين.
(٥) في أ: الدنيا.
(٦) لم يرد هذا السطر في أ.
(٧) في ب: «تنزل من الفوق». ولم ترد العبارة في أ.
(٨) في أ: بموضع قليل وموضع كثير، وفي ب: لموضع قليل أو لموضع كثير.

وأيضاً: الماءُ قليلهُ دواءٌ للعطشان[1]، وكثيرهُ داء، كذلك المال.

وأيضاً: الزرعُ يفسدُ بالماءِ الكثير، كذلك القلبُ يفسدُ بالمالِ الكثير.

وأيضاً: الماءُ كلّهُ لا يكونُ صافياً، كذلك المالُ يكونُ حراماً وشبهةً وحلالاً[2].

وأيضاً: الماءُ يطهِّرُ النجاسات، كذلك المالُ يطهِّرُ دنسَ الآثام. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأيضاً: الماءُ يصلحُ لزادِ البادية، كذلك المالُ يصلحُ لزادِ القيامة.

ثم قيل: حقيقةُ الدنيا ما قبلَ الموت.

ويُقال: الدنيا ما يُرىٰ من القافِ إلى القافِ إنْ صعدتَ إلى جبل القاف.

ويُقال: الدنيا ما يجوزُ الفناءُ عليه.

قال بعضهم: الدنيا مثلُ ظلِّ الرجل، إنْ طلبتَهُ تباعد، وإنْ تركتَهُ تتابع.

وقال يحيى بن معاذ[3]: الدنيا حانوتُ الشيطان، فمن سرقَ منها شيئاً يجيءُ في طلبهِ فيأخذَه[4].

فإنْ قيل: هل تكونُ الدارُ الواحدةُ[5] سجناً وجنَّةً وهما ضدّان؟

---

(١) في ج: دواء العطشان وكثيره داء له.

(٢) لم يرد السطران السابقان في أ.

(٣) الزاهد العارف يحيى بن معاذ الرازي، حكيم زمانه وواعظ عصره، توفي بنيسابور سنة ٢٥٨هـ. العبر ٣٧١/١.

(٤) إحياء علوم الدين ٢٠٧/٣.

(٥) في أ: فكيف الدار الواحدة.

قلنا: بلى، كانت الجنَّةُ بُستاناً لآدمَ وصارتْ سجناً، والنارُ بستاناً لإبراهيم [وسجناً على الكفارَ][1]، والبحرُ عقوبةً على فرعونَ ورحمةً على موسى، والريحُ رحمةً لهودٍ وعذاباً على عاد، والقبورُ روضةً للمؤمنِ وحفرةً على الكافر.

فإن قيل: ما معنى قولهِ ﷺ: **«الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافر»**[2]؟

قيل: «الدنيا سجن المؤمن» أي سجنُ آدمَ حين وقع في الخطيئة[3]، و«جنَّةُ الكافر» أي إبليس؛ لأن مكافأته[4] النار، فبقاؤهُ في الدنيا جنَّةٌ له إلى الموت.

وأيضاً: المسجونُ يرسلُ كلَّ ما في يدهِ إلى دارهِ وأهله، كذلك ينبغي للمؤمنِ أن يقدِّمَ مالَهُ بين يديه.

وأيضاً: حيلةُ المسجونِ أن يتوسَّلَ بالحاجبِ والوزيرِ إلى الأميرِ ليشفعوا له، كذلك المؤمن، حيلتهُ أن يتوسَّلَ إلى الأنبياءِ والأولياءِ ليدعوا له.

وأيضاً: **المسجونُ** يرفعُ القصَّةَ[5] إلى الأميرِ ليخلص، والمؤمنُ يرفعُ يديهِ إلى الجبّار، ويكثرُ من الاستغفارِ في وقتِ الأسحارِ ليخلصَ من سجنِ النار.

وأيضاً: المسجونُ لا يطمئنُّ قلبهُ إلى السجن، كذلك ينبغي للمؤمنِ أن لا يطمئنَّ إلى الدنيا.

وأيضاً: المسجونُ كلَّ ساعةٍ ينتظرُ رسولَ الملِكِ بالفرَج، وكذلك المؤمنُ ينتظرُ كلَّ ساعةٍ رسولَ الله ـ وهو ملكُ الموت ـ بالفَرج.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في ب، ج.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، الحديث الأول منه رقم (**٢٩٥٦**).

(٣) في ب: حتى وقع في الجنة!

(٤) في ب: مكانته. ومن قوله: «قيل الدنيا..» حتى هنا، سقط من ج.

(٥) في أ: قصته، وهي الورقة التي يكتب فيه طلبه أو مظلمته.

وأيضاً: قال بلالُ بن سعد[1]: لا ينبغي أن يُبكىٰ على ميِّتٍ خرجَ من السجنِ إلى البستان، بل ينبغي أن يُبكىٰ على من خرَج من البستانِ إلى السجن.

فإنْ قيل: لِمَ يبكي العارفونَ على الميِّت؟

قيل: للفراقِ والوحشةِ والخوفِ عليه، فإنهم لا يدرونَ عاقبته، ولو علموا لما بكوا، كما قال بلال[2]: لا تقولي واكرباه[3]، بل قولي: واطرَباه!

❊ ❊ ❊

١٠ ـ سؤال: إن قيل: هل خلقَ الله الدنيا للمؤمنِ أم للكافر؟

الجواب: قال النيسابوري: قال بعضهم: خلقها للكافر، بدليلِ قولهِ تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

ويُقال: خلقها لهما، لقولهِ تعالى: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال: عندي أنه خلقها للمؤمن، والكافرُ طفيليّ. دليلهُ قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولكن الطفيليَّ إذا كان نديماً يكونُ أكثرَ أكلاً من المضيف، مع أن المضيفَ[4] إذا كان كريماً يزيدُ في الإحسانِ إلى الطفيليّ.

---

(١) هو بلال بن سعد بن تميم الأشعري الدمشقي القاص، أبو عمرو. أحد علماء التابعين. كان بالشام مثل الحسن البصري بالعراق. قال الأوزاعي: كان من العبادة على شيء لم نسمع بأحد من الأمة قوي عليه. وكان عقولاً عن الله تعالى، سميعاً، بليغاً في الموعظة ضليعاً. مات في خلافة هشام بن عبد الملك. حلية الأولياء ٥/٢٢١، تهذيب الكمال ٤/٢٩١.

(٢) يعني هنا الصحابي، رضي الله عنه.

(٣) في ب: واحرباه! وورد بصيغة أخرى في «المحتضرين» رقم (٢٩٤) ومصادره.

(٤) «مع أن المضيف» لم يرد في ج.

قال: **فإنْ قيل**: إذا كان خلقها للمؤمن، فلمَ أمرَهُ بالزهدِ فيها؟

قيل: السكَّرُ إذا نُثِرَ على رأسِ الخَتَنِ[(١)] فإنه لا يلتقطه؛ لعلوِّ همَّته، ولو التقطَهُ لكانَ عيباً. والأولياءُ منعوا أنفسهم عن الطعامِ ليستعينوا على وظائفِ الطاعات، وآثروا بدنياهم لرجاءِ رفعِ الدرجات.

قال رسول الله ﷺ: «**جوِّعوا أنفسكمْ لوليمةِ الفردوس**»[(٢)].

والضيفُ إذا كان حكيماً لا يشبعُ من الطعامِ رجاءَ الحلوى، وربما لا يأكلُ من ضيافةٍ رجاءَ ضيافةٍ أخرى خيرٍ منها.

كذلك قيل: **إنَّ النبيَّ ﷺ لم يقبلِ[(٣)] الدنيا حين عُرضتْ عليه**[(٤)]؛ لتقتديَ به أمَّتُه، ولثوابِ الآخرة.

* * *

١١ ـ سؤال: إنْ قيل: لمَ وضعَ اللّهُ المكاسبَ في الدنيا؟

الجواب: قيل لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أرادَ أن يعمِّرَ الآخرةَ فزيَّنها بشرائعِ الآخرة، وأرادَ أن يعمِّرَ الدنيا فزيَّنَها بكسبِ الدنيا؛ لتكونَ الدارانِ عامرتين.

---

(١) الختن هو الصِّهر. ولعله يعني هنا وقت الزفاف.

(٢) لم أجده حديثاً، بل وقفت عليه من قول يحيى بن معاذ الرازي، ولفظه: «معاشر الصديقين جوِّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس، فإن شهوة الطعام على قد تجويع النفس». إحياء علوم الدين ٣/٩١.

(٣) في أ: يرض، وفي ب: يقل!

(٤) كان رسول الله ﷺ زاهداً في الدنيا، يُعرف هذا من سيرته وأحواله وشمائله صلوات الله وسلامه عليه، ويقول: «ما لي وللدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ قال في ظل شجرة في يوم صائف فراح وتركها». رواه الترمذي (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل (١٢٦). ولعل المؤلف يقصد هنا حديث: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً. . .» وهو حديث ضعيف جداً، قاله في ضعيف الجامع (٣٧٠٤).

الثاني: وضعَ الكسبَ بين الطاعةِ والمعصيةِ ليحجبكَ عن المعصية؛ كيلا تقعَ سريعاً في المعصية[1]. وهذه رحمةٌ من الله، حتى لو كسلتَ عن الطاعةِ فتشتغلُ[2] بالرخصة ولا تقعُ في المعصية.

الثالث: لتعتبرَ الأولياء.

ويقولون: إن الدنيا فانيةٌ لا تُدرَكُ إلا بالطلب، فكيف توجدُ الآخرةُ الباقيةُ بغيرِ طلب؟

قال عطية بن بُسْر[3] في قولهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] قال: علَّمَهُ ألفَ حرفة، ثم قال: قلْ لأولادِكَ: إذا أرتمُ الدنيا فاطلبوها بهذه الحِرَف، ولا تطلبوها بالدِّين[4].

وعن الحسن البصري أنه رأى رجلاً يضرطُ للناسِ ويعطونه، فقال: هذا رجلٌ يأخذُ الريحَ بالريح. يعني أن الدنيا ريح.

وروى الإمام أحمد بن حنبل في المسند، عن أُبيٍّ بن كعب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن مطعمَ ابنِ آدم جُعِلَ مثلاً للدنيا وإنْ قزَّحَهُ أو ملَّحه، فانظرْ إلى ما يصير**»[5].

قوله: «قزَّحه» أي طيَّبَهُ بالأبازير[6].

---

(١) «في المعصية» لم ترد في أ.

(٢) من قوله: «وهذه رحمة» حتى هنا، سقط من ج.

(٣) في الأصل: عطية بن بشر، وهو عطية بن بُسر المازني الهلالي، أخو عبد الله. له صحبة ورواية. تهذيب الكمال ١٤٢/٢٠. وقد مات بالمدينة المنورة سنة ٧٢هـ.

(٤) تكملته: . . . فإن الدين لي وحدي خالصاً، ويل لمن طلب الدنيا بالدين، ويل له. الدر المنثور ١٠٠/١.

(٥) المسند ١٣٦/٥. قال الحافظ المنذري: ورواته رواة الصحيح إلا علي بن زيد بن جدعان. الترغيب والترهيب ١٧٤/٤، وصححه في صحيح الجامع (٢١٩٥).

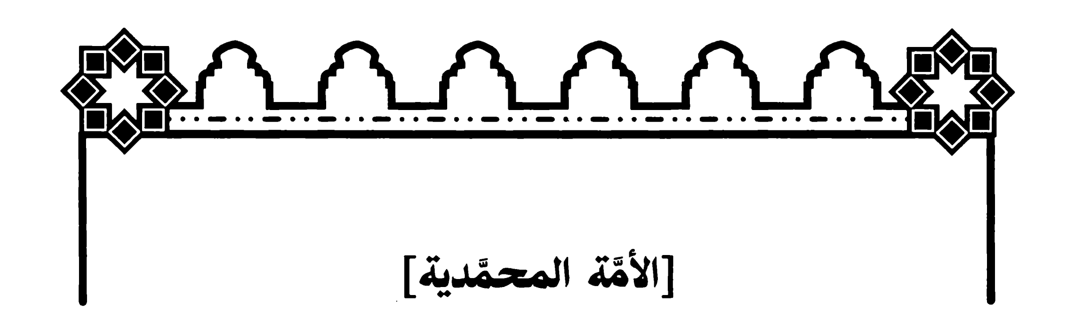
(٦) يعني طيَّبه بالتوابل، والأبازير جمع أبزار، وهي جمع بِزْر، وهو الحَبُّ، مثل حبِّ الكمون والكزبرة.

وعن أُبيٍّ بن كعب قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«بشِّرْ هذه الأمَّةَ بالسَّناءِ والتمكين في البلاد والرفعةِ في الدِّين، ومن عملَ منهم بعملِ الآخرةِ للدنيا فليس له في الآخرةِ نصيب»[1].



(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣٤/٥، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٥/١، ٤٢/٩، والبيهقي في الشعب (٦٨٣٥)، (١٠٣٣٥). وصححه في صحيح الجامع الصغير (٢٨٢٥). ولم يرد الحديث كاملاً في ب.



[الأمّة المحمّدية]

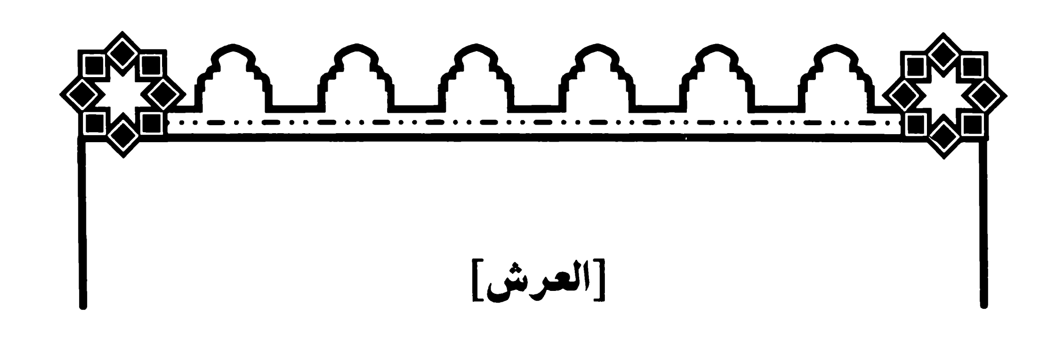
١٢ ـ سؤال: إنْ قيل: لمَ جعلنا آخرَ الأمم؟

الجواب: قيل: الحكمةُ فيه أنَّ كلَّ نبيٍّ كان مقدِّمةَ العقوبة؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. ونبيُّنا كان مقدِّمةَ الرحمة، لقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأرادَ أنْ تكونَ الخاتمةُ على الرحمةِ لا على العقوبة.

وأيضاً: لو قُدِّمْنا لاحتجنا أن ننتظرَ في القبورِ الأممَ الباقية[١]، فجعلهم في انتظارنا تشريفاً لنا.



(١) في ب: ننظر في القبور الأمم الماضية!



[العرش]

١٣ ـ سؤال: إن قيل: لمَ خلقَ العرشَ بعد أن لا حاجةَ له إليه؟

الجواب: قيل: لوجوه:

أحدها: جعلَهُ موضعَ خدمةِ ملائكته؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

والثاني: أرادَ إظهارَ قدرتهِ وعظمته، كما قال مقاتل[١]: السماوات والأرض في عظمِ الكرسيِّ كحلقةٍ ملقاةٍ في فلاة، والكرسيُّ مع السماءِ والأرضِ في عظمِ العرشِ كحلقةٍ كذلك؛ وكلُّها في جنبِ عظمةِ الله كذرَّةٍ في جنبِ الدنيا؛ ليُعلمَ أن خالقَهُ أعظمُ منه[٢].

والثالث: خلقُ العرشِ إشارةٌ لعبادهِ[٣] لطريقِ دعوته، ليدعوهُ من

---

(١) مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن، كبير المفسرين. قال ابن المبارك رحمه الله: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! وقال الذهبي: أجمعوا على تركه. مات بعد ١٥٠هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠١/٧.

(٢) لم يرد قول مقاتل كاملاً في أ. ووردت الجملة الأخيرة في ج: فحلقه كذلك؟ وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر، أنه سأل النبيَّ ﷺ عن الكرسي فقال: «يا أبا ذر، ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة». الدر المنثور ٥٨٠/١. وأورده ابن كثير في البداية ٢٤/١، وضعَّفه محققه.

(٣) كلمة غير واضحة في (أ) رسمها «جاك» بدل «إشارة لعباده».

الفوق[1]؛ لقولهِ تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

والرابع: خلقَهُ لإظهارِ شرفِ محمد ﷺ، وهو قولهُ تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهو مقامٌ تحت العرش.

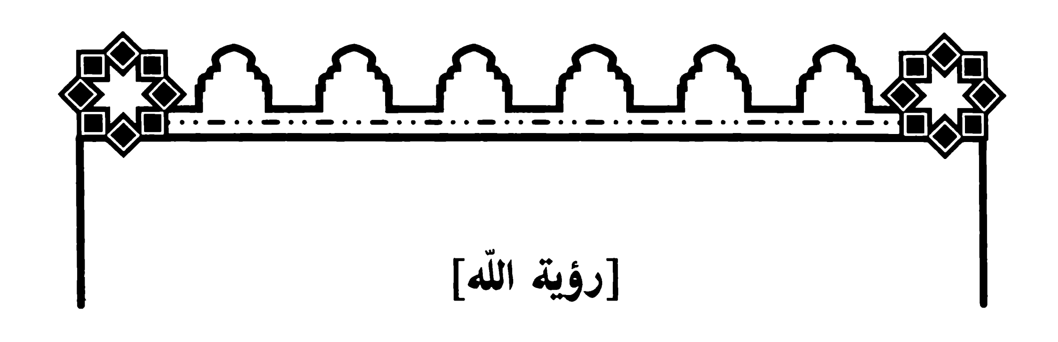
والخامس: معدنُ[2] كتابِ الأبرار؛ لقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

السادس: قيل[3]: هو مرآةُ الملائكة، يرونَ منه الآدميين وأحوالهم كي يشهدوا عليهم في القيامة.

السابع: العرشُ أعلى العالم، وليس شيءٌ[4] بأعلى منه ولا أظهر، ولذلك خُصَّ بالاستواءِ عليه. والاستواءُ الاستيلاءُ عند قوم، فمن استولى على أعظم المخلوقاتِ استولى على ما دونه.



(١) هكذا في الأصول.
(٢) في ج: خلقه معدن.
(٣) لم يرد في أ.
(٤) لم يرد في أ، وفي ب: شيئاً.



[رؤية اللّه]

١٤ ـ سؤال: إنْ قيل: لمَ جعلَ اللّهُ الخَلْقَ في حجابٍ عن نفسه؟

الجواب: قلنا: **لوجوه:**

أحدها: لزيادةِ المحبَّة، كما قيل: سرورُ الأَوْبة على قدرِ طولِ الغربة.

الثاني: لزيادةِ الخشية[(١)].

الثالث: لزيادةِ الهيبة.

الرابع: ليكونَ فضلاً للمستدلِّين على غيرهم.

الخامس: لو كشفَ عنهم الحجابَ حتى يشاهدوهُ في الدنيا لاشتغلوا بالنظرِ إلى جمالهِ عن أنفسهم وعن عمارةِ الدنيا. ألا ترى أن امرأةَ العزيزِ أعطتِ النسوةَ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكيناً وأُتْرُجاً[(٢)] وأمرتهنَّ أن يقطَّعنَ الأُتْرُجَّ، وقالتْ ليوسف: ﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ [يوسف: ٣١]. فلما رأينه دُهِشْنَ من حُسنهِ،

---

(١) الوجه الثاني لم يرد في أ، ورتب ما بعده على هذا الأساس. وهو في ب: «الحَسَنة»؟ أو في رسمها. ولعل الصحيح «الحُسن».

(٢) الأترج شجر ثمره كالليمون الكبار، ذكي الرائحة حامض الماء، لونه ذهبي. وهكذا ورد معنى «متكأ» عند ابن الجوزي لمن سكّن التاء فيها، وإلا فمعناها «الوسائد». تذكرة الأريب ٢٦٢/١. لكن نقل السيوطي هذا المعنى من أعلام التفسير بلفظ «الأترنج» الدر المنثور ٢٨/٤. وفي القاموس المحيط: الأُتْرُجُّ والأترجَّة والتُرنْجَة والتُرُنْج نبات معروف حامضهُ مسكِّن غُلمةِ النساء.

وغِبْنَ عن حواسِّهنَّ حتى قطَّعْنَ أيديهنَّ بالسكاكينِ ولم يعرفْنَ الألم[١].

فإذا كان هذا حصلَ لهنَّ بسببِ نظرهنَّ[٢] إلى جمالِ مخلوق، فما ظنُّكَ بما يحصلُ بالنظرِ إلى جمالِ الخالق؟

واعلمْ أنَّ الله تعالى ليس بمحجوب؛ لأنه لو حجبَهُ شيءٌ لستره، وهو تعالى ليس في جهةٍ ولا مكان، وإنما المحجوبُ أنت.

***

١٥ ـ سؤال: لمَ سمَّى اللّهُ تعالى الرؤية له[٣] «زيادة» في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والمراد: أحسنوا بقولهم: لا إله إلا الله». و«الحُسنى»: الجنة[٤]، و«الزيادة»: النظرُ إلى وجههِ الكريم، والنظرُ إلى وجههِ أكبرُ من الجنة، والزيادةُ في الدنيا تكونُ أكثرَ[٥] من رأسِ المال؟

الجواب: قيل: المرادُ بالزيادةِ في الآية: الزيادةُ على الموعود، والموعودُ الجنة[٦]، والزيادةُ أكثر، والرضوانُ لديهِ أكبر، والنظرُ إلى وجههِ أكبر[٧].

---

(١) في الأصول: بالألم.

(٢) في ب، جـ: فإذا كان هذا حصل لهم بسبب نظرهم.

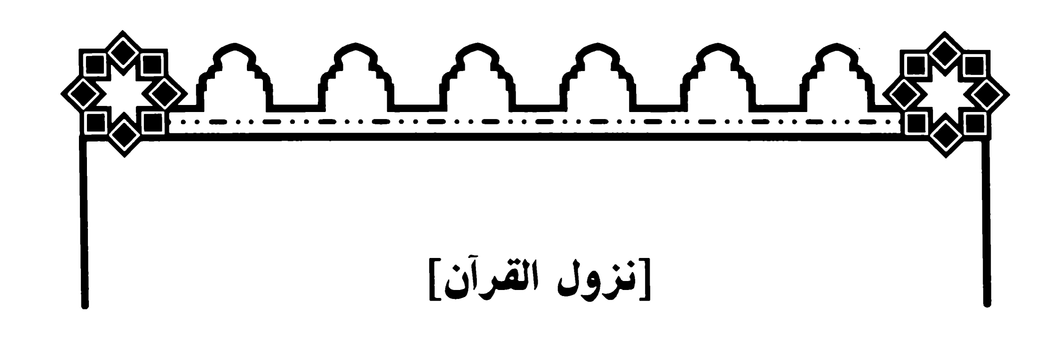
(٣) في ب، جـ: الرؤيا إليه.

(٤) قوله: «والمراد. . .» حتى هنا، لم يرد في أ.

(٥) في جـ: أقل!

(٦) في ب: الزيادة على موعود الجنة، وفي جـ: الزيادة على موجود الجنة.

(٧) ورد في (أ): «أكثر» بدل «أكبر» فيما سبق من الجواب.
وقد تكرر هذا السؤال وجوابه في (ب، جـ) دون (أ) بعد الرقم (٤٠) ولم أورده هناك، لكن يحسن إيراده هنا لأنه ورد بصيغة أخرى، وهو:
سؤال: لمَ أعطى الله الجنة في مقابلة الأعمال، وأعطى النظر إلى وجهه الكريم زيادة، ولم يجعله ثواب العمل، فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. والحسنى: الجنة، والنظر إلى وجهه الكريم الزيادة؟
الجواب: قيل: لأن هذه الزيادة عظيمة، ليس من الأعمال شيء يكون في مقابلتها؛ لأنها أفضلُ من الجنة.



[نزول القرآن]

١٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في إنزالِ القرآنِ متفرِّقاً؟

الجواب: قيل: **لوجوه:**

أحدها: تفضيلاً لنبيِّهِ محمدٍ ﷺ، أرادَ أنْ تكونَ الرسالةُ بينهُ وبين نبيِّهِ متصلةً في كلِّ وقت، ويكونَ الحبيب على علمٍ منه في كلِّ ساعة.

والثاني: لو أنزلَهُ مرَّةً واحدةً لم يقدرْ على حفظه. ألا ترى إلى قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧]؟

الثالث: فيه الناسخُ والمنسوخ، فلو أنزلَهُ دفعةً واحدةً لكان الناسخُ والمنسوخُ في دفعةٍ واحدة، وهو لا يجوز، لفواتِ فائدةِ النسخِ ومراعاةِ المصالحِ بحسبِ الأزمنةِ المتعاقبة.

الرابع: لو أنزلَهُ مرَّةً واحدةً لثقلَ عليهم استعمالُ ما فيه من التكاليفِ كما ثقلَ على قومِ موسى، فأرادَ أن يكونَ عليهم يسيراً؛ كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨][١]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الخامس: أرادَ أن يكونَ معجزةً للنبيِّ ﷺ في أخبارِ الكوائنِ، كلما أرادوا شيئاً نزلَ جبريلُ ببيانهِ وأخبرَ عمّا يكون، فكان كما أخبر[٢].

---

(١) لم ترد الآية في ب، ج.

(٢) عبارته في أ: نزل جبريل بإجابة سؤالهم فيرتفعُ مرادهم.

السادس: لقضاء الحوائجِ وإجابة المسائل[1]، فكلما سألوا شيئاً نزلَ جبريلُ بإجابةِ سؤالهم ليرتفعَ مرادهم[2]، وأيضاً لئلاّ يقنطوا[3] من حياةِ النبيِّ ﷺ ويعلموا أنه باقٍ ما لم يتمَّ القرآن.

السابع: أنزلَهُ متفرِّقاً كيلا يستوحشَ النبيُّ ﷺ، وهذا معنى قولهِ تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] ويكونَ أنيساً له في كلِّ ساعة.

❋ ❋ ❋

١٧ ـ سؤال: فإن قيل: لمَ نزلَ القرآن ليلاً[4]؟

الجواب: قيل: **لوجوه**:

أحدها: أن أكثرَ الكراماتِ تنزلُ ليلاً.

وأيضاً: الأحبّاء يتناجونَ في الليل.

وأيضاً: ليكونَ أهيبَ لقلوبِ سامعيه.

وأيضاً: ليكون أحفظَ للقلوب، لأن القلبَ بالليلِ أفرغ.

وأيضاً: أهلُ الليل يتلذَّذونَ بالمناجاةِ ما لا يتلَّذذون بالنهار.



(١) في أ: السائل.

(٢) «ليرتفع مرادهم» لم يرد في أ.

(٣) في أ، ج: لا تقنطوا، وفي ب: لا يقنطوا.

(٤) سقط السؤال من ج.



[الملائكة والقرآن]

١٨ ـ سؤال: لِمَ صعقت الملائكةُ ليلةَ سمعوا القرآن؟

الجواب: قلنا: **لثلاثةِ أشياء:**

أوَّلها: لأنَّ محمداً ﷺ عندهم من أشراطِ الساعة، والقرآنُ كتابه.

وأيضاً: لهيبةِ كلامه.

وأيضاً: للوعدِ الوعيدِ الذي فيه.

وأيضاً: ذُكرَ أنَّ الله تعالى إذا تكلمَ بالرحمةِ تكلمَ بالفارسية، وإذا تكلمَ بالعذابِ تكلمَ بالعربية[1]، فلما سمعوا كلامَ العربيةِ ظنُّوا أنه عذابٌ فصُعقوا!.



(١) لعل هذا من كلام الشعوبية! وليت المؤلف ـ وهو في مكانته ـ لم يورده.



[السعادة والشقاوة]

١٩ ـ سؤال: لمَ خلقَ الله تعالى الخلقَ سعيداً وشقيّاً؟

الجواب: قيل: قال العالم أبو عمرو[1]: إن الله تعالى علمَ في الأزلِ أن فلاناً يعصي فخلقَهُ[2] شقياً، وعلمَ أن فلاناً يُطيعُ فخلقَهُ سعيداً.

قال النيسابوري: ويُقال: العملُ للثوابِ والعقابِ لا للسعادةِ والشقاء. وقال ﷺ: **«علامةُ الشقاوةِ جمودُ العين، وقساوةُ القلب، وحبُّ الدنيا، وطولُ الأمل»**[3].

وقال ذو النون المصري[4]: علامةُ السعادةِ حبُّ الصالحينَ والدنوُّ منهم، وتلاوةُ القرآن، وسهرُ الليل، ومجالسةُ العلماء، ورقَّةُ القلب.

---

(١) في ج: أبو عمر. ولم أعرف المقصود به.

(٢) في ج: فجعله، هنا وفيما يأتي.

(٣) بلفظ: «أربع [أو أربعة] من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، والحرص، وطول الأمل». رواه أبو نعيم في الحلية ١٧٥/٦، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢٤٨/٣، وغيرهما، واللفظ للأول، وضعفه لهما في ضعيف الجامع الصغير رقم (٧٥٨).

(٤) أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري، أصله من النوبة ونزل مصر. أسند أحاديث عن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وغيرهم. توفي بالجيزة سنة ٢٤٦هـ. صفة الصفوة ٣١٥/٤.

واعلمْ أن الناسَ في الأديانِ على **أربعة** أقسام:

- سعيدٌ بالنفسِ في لباسِ السعادة، وهم الأنبياءُ وأهلُ الطاعة.

- **والثاني**: شقيٌّ بالنفسِ في لباسِ الشقاوة، وهم الكفّار.

- **والثالث**: شقيٌّ بالنفسِ في لباسِ السعادة، مثل: برصيصا، وبلعام بن باعوراء(١)، وإبليس.

- **والرابع**: سعيدٌ بالنفسِ في لباسِ الشقاوة، كبلال، وصهيب، وسلمان.

قال يحيى بن معاذ الرازي: الابتلاءُ أربعةُ أشياء: التقييد، والتكفير(٢)، والتعريف، والتفضيل:

فالتقييدُ تقييدٌ يقيِّدُ عن المعصية، وتكفيرٌ يكفِّرُ السيئة، وتعريفٌ يعرِّفكَ العجزَ والضعف، والتفضيلُ بالتوبة(٣).

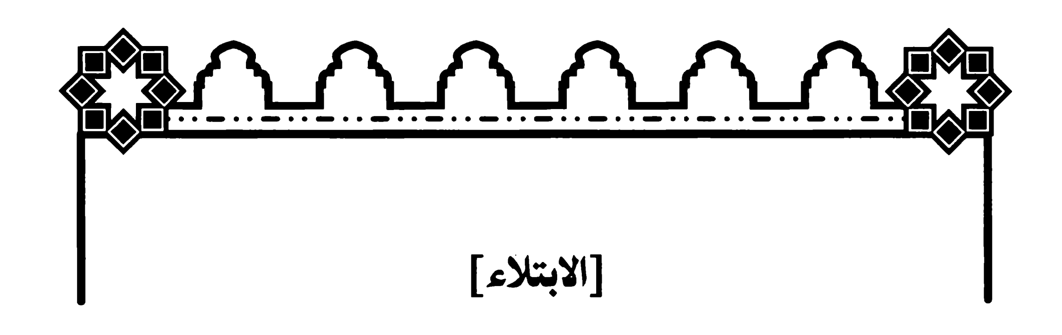


---

(١) برصيصا أحد رهبان بني إسرائيل الذي فُتن فقتل، بعكس قصة جريج الذي عُصم. قصته في البداية والنهاية ٣/٤٤.
وبلعام بن باعوراء هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥]. أخباره في المصدر السابق ٢/٣٣.

(٢) في ب: التقليد والتفكير؟

(٣) وردت العبارة بألفاظ أخرى متقاربة في أ.



[الابتلاء]

٢٠ ـ سؤال: لمَ شدَّد البلاء على الأفاضل؟

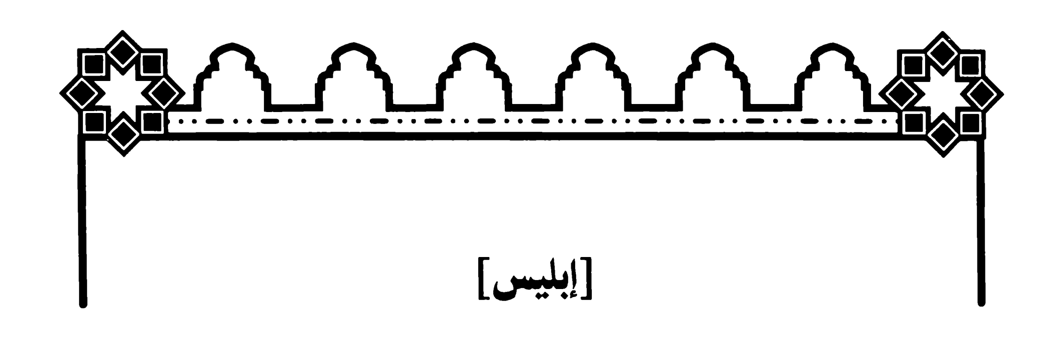
الجواب: قيل: لأنَّ الله تعالى يبغضُ الدنيا، وامتحنَ الأولياءَ فيها كيلا يميلوا إليها وهي مبغوضة.

وأيضاً ليكثرَ الأجرُ لهم.

فإنْ قيل: لمَ حَجبَ عنهم الدنيا؟

قيل: ليتفرَّغوا لطاعتهِ ولا يشتغلوا بها عنه فتحملهم على المعصية، فربما تكونُ النعمةُ سبباً للمعصية؛ لقولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].





[إبليس]

٢١ ـ سؤال: لمَ خُلِقَ إبليس؟ ومن أيِّ شيءٍ خُلق؟ ولأيِّ شيءٍ يعادينا ونُعاديه؟ ولمَ غُيِّرتْ صورتهُ عن صورةِ الملائكة إلى صورةِ الأبالسة؟ ولمَ طُرد؟ ولمَ استجيبَ دعاؤهُ بإنظارهِ إلى يوم الدِّين(١)؟

الجواب:

أ ـ قال بعضهم: إنما خلقَهُ الله ليميِّزَ به الحبيبَ من العدوِّ، فخلقَ الأنبياءَ ليقتديَ بهم الأولياء، وخلقَ إبليسَ ليقتديَ به الأعداء، ويظهرَ الفرقُ بينهما.

فإبليسُ سِمْسارٌ ودلاّلٌ على النار وبضاعتهُ الدنيا(٢)، ولمّا عَرَضَها على الكافرين قيل: ما ثمنها؟ قال: تركُ الدِّين(٣)، فاشتروها بالدِّين. وتركها الزهّادُ وأعرضوا عنها. والراغبونَ لم يخرجْ من قلوبهم حبُّ الدينِ(٤) ولا الدنيا، فقالوا له: أعطنا ذُواقَةً حتى ننظرَ ما هي؟ فقال إبليس: أعطوني

(١) في أ: لانتظاره ليوم القيامة.
وأجاب عن وجهين آخرين لم يذكر سؤاليهما هنا، وهما في آخر الأجوبة، عن الحكمة في تسليطه علينا، وعن كيفية حفظ القلب منه.

(٢) لم ترد الكلمتان في ب.

(٣) في أ: بدل الدين.

(٤) في ب، ج: لم يجدوا من قلوبهم ترك الدين.

رهناً. فأعطوهُ سمعَهُمْ وأبصارَهُمْ وأعطاهم الذواقة[١]، فلم يسمعوا عيبها[٢] ولم يبصروا، فلذلك قيل: حبُّكَ للشيءِ يُعمي ويُصمّ.

قال النيسابوري: ويقال: خلقَهُ ليكونَ المؤمنونَ في كنفِ المولى وحفظِهِ ورعايته؛ لأنه لولا الذئبُ لم يكنْ للغنم راعٍ وكلبٌ ومتعهد وحرز[٣]، كذلك لولاهُ لم يكنِ الرسلُ دعاةً ولا العقلُ قاعدَة[٤].

ويُقال: أرادَ اللّهُ تعالى أن يظهرَ كرامتَهُ على المؤمنين، كما قيلَ عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لو لم يكنْ إبليسُ وجنودهُ لم يهجْ[٥] من القلبِ ريحُ المودَّة، ولا بحارُ الطاعة، ولا نورُ المعرفة؛ فخلقَهُ لتهيجَ بسببِهِ هذه الرياح.

قال أبو تمام[٦]:

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود

وقال: لو أن أحداً يدخلُ المدينةَ بوقرِ مسك، فما يغني عن الناسِ المسك؟ إذاً لاحتاجوا لكنّاس، فإدخالُ الكنّاس إليهم أكثرُ نفعاً من صاحبِ المسكِ. فكذلك القلبُ طيبٌ والنفسُ منتنة[٧]، فخلقَ إبليسَ كنّاساً ليرفعَ النَّتنَ ويحمله[٨].

---

(١) في أ: المذاقة.

(٢) في ج: لم يستمعوا عيبها، وفي ب: فلم يستمعوا عنها.

(٣) في ب: ومعتمد، وكلمة «حرز» لم ترد في أ. وجاءت الكلمات السابقة كلها منصوبة في الأصول.

(٤) في ب، ج: لو لم يكن للرشد رعاة ولا للعقل قائد.

(٥) في ب، ج: وذريته لما هاج.

(٦) الشاعر المعروف، حبيب بن أبي أوس الطائي، ت٢٣١هـ.

(٧) في الأصول: منتن. ولم ترد كلمة «طيب» في أ، ج. وقبله ورد في ج: إذا لاحتاج الناس إلى إدخال الكنايس [الكناسين] إليهم لأنهم أكثر نفعاً. وجاء في آخر الجملة من ب: وليحمله السوار؟

(٨) في أ: ليدفع النتن، ولم ترد الكلمة الأخيرة فيها.

ب ـ وأمّا خَلْقهُ، فقال بعضهم: خلقَهُ من الظلمةِ والخَبث، وطُبعَ ماؤهُ على العداوة؛ ولذلك قيل: الأشياءُ ترجعُ إلى الأصول.

ويُقال: خلقَهُ من اللعنة، فلذلك أخَّرَهُ للَّعنة؛ لقولهِ تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ويُقال: خلقَهُ من النار، كما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢][(١)]. وأصلُ النارِ على الافتراق، فلذلك أورثَهُ الفراقَ من الخلّاق[(٢)].

جـ ـ وأما معاداةُ إبليسَ لنا، فقال بعضهم: لأن طبعَهُ على العداوةِ كطبعِ العقربِ على اللدغ، والليثِ على السَّلْب[(٣)].

ويُقال: معاداته لأجلِ الجهلِ والعجزِ عن بيانِ الأسماءِ التي علَّمها اللّهُ تعالى لآدم؛ ولذلك قيل: من جهلَ شيئاً عاداه.

ويُقال: عداوتهُ للحسد.

ويُقال: عداوتهُ لذهابِ رئاسته بسببنا.

وإنما أُمرنا بمعادتهِ لأنه فعلَ بأبينا ما فعل، والرجلُ يُعادي عدوَّ أبيه.

وأيضاً لأجلِ التكبُّر، ومن تكبَّرَ وضعَهُ الله وأبغضه حتى يبغضهُ الناس[(٤)]، ومن تواضعَ رفعَهُ الله وأحبَّهُ الناس. ومما قيل في المعنى:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يعلو بنفسهِ ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ[(٥)]

ويُقال: لأنه حسود، والناسُ يبغضونَ الحسودَ واللجوجَ والحقود[(٦)].

---

(١) وهذا يغني عن كل الأقوال.
(٢) في جـ: الخلان.
(٣) في أ: والغريب على الكسب؟ وفي جـ: والذئب على السلب.
(٤) «حتى يبغضه الناس» ورد في ب فقط.
(٥) البيتان لم يردا في ب، جـ. وهما في الدرر الكامنة لابن حجر ١٤٣/٦.
(٦) عبارته في أ: ويقال لأنه حسود، والحسود لا يسود.

ويُقال: لأنه غير وافٍ، فمن أطاعَهُ[1] لم ينفعه، ومن عصاهُ لم يضرَّه. ألا ترى إلى برصيصا كيف خذلَهُ وغرَّه؟

ويُقال: أُمرنا بعداوتهِ لأنه عدوٌّ لله، وخيرُ الأعمالِ[2] الحبُّ في اللّهِ والبغضُ في الله.

د ـ وإنما غيَّرهُ عن صورةِ الملائكةِ ليعلمَ الخلقُ أنه لا يصلُ إليه أحدٌ بالعبادةِ إلا بالعناية[3]، ولذلك قيل: ليس الأمرُ بالبكاءِ، ولا بالطلب، ولا بالدعاء، ولا بالسبب، بل هو علمٌ سابق، وقولٌ صادق.

ويُقال: حتى لا يأمنَ أحدٌ من سوءِ[4] العاقبة، لأن الأعمالَ بالخواتيم[5].

ويُقال: لأنه تعالى نظرَ فيه بالهيبةِ فتغيَّرَ عن حاله، كما نظرَ إلى الطورِ فجعلَهُ دكّاً[6]، وإلى الجوِّ فصارَ فضاءً، وإلى الجوهرِ فذابَ وصارَ ماءً[7]، وإلى القمرِ فانشقَّ.

هـ ـ وإنما طردَهُ لعُجبهِ ولنظرهِ إلى نفسه، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

ويُقال: خذلَهُ وطردَهُ ترهيباً للملائكة، كي يحذروا[8] ما لا يرضى الله عنه.

ويُقال: طردَهُ للخلافِ مع الملائكة[9]، والخلافُ شؤم، والوفاقُ بركة.

---

(١) في أ: ويقال: لأنه من أطاعه.
(٢) في أ: وحقيقة الأمر.
(٣) في أ: بعبادته إلا بعنايته.
(٤) في ب: خوف.
(٥) سقط هذا السطر من ج.
(٦) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].
(٧) في أ: رماداً.
(٨) في أ، ج: يحذرون، وفي ب: يجدون.
(٩) في أ: لمخالفته الملائكة.

قال النيسابوري: واختلفوا في سببِ كفره، فقال بعضهم: كفرَ بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ معناه، كأنه يقولُ مخاطباً الله[1]: لستَ بحكيمٍ إذ تأمرُ الأفضلَ بالسجدةِ للمفضول.

ويُقال: كفرهُ إباؤهُ وتركُ السجود[2].

ويُقال: مخالفتهُ للملائكة[3].

وقال محمد بن صابر: كفرهُ في ضمير ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ معناه: ستندمُ على اختيارِ آدمَ ويظهرُ لك ذلك. انتهى.

وقال الكرابيسي[4]: كفرُ إبليسَ لأنه قاسَ في معرضِ النصّ[5]، فقال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ والنارُ تأكلُ الطين، فهي أشرفُ من الطين.

قال العلماء: وأخطأ في هذا القياسِ من **ثلاثةِ أوجه**:

الأول: أنه قاسَ في معرضِ النصِّ.

الثاني: أن الطينَ يُنبتُ الأقوات، وتُتَّخذُ منه المساكنُ وغيرها، والنارُ من شأنها الإحراقُ والإفساد[6].

والثالث: أن الطين من طبعه الرزانةُ والثقل، والنارُ من شأنها الخفَّةُ والطيش، فهي لا تساوي الطين، والطينُ خيرٌ منها.

وقال بعضهم: كفرَ إبليسُ لأنه استنقصَ آدمَ عليه السلام وهو نبيّ، ومن استنقصَ نبيّاً فقد كفر.

---

(١) «كأنه يقول مخاطباً الله تعالى» ورد في (أ) فقط.

(٢) في ج: ويقال ترك السجدة.

(٣) لم ترد هذه الجملة في أ.

(٤) لعله فقيه بغداد الحسين بن علي الكرابيسي صاحب التصانيف، تفقّه بالشافعي، وكان من بحور العلم، ذكياً فطناً. ت٢٤٨هـ. سير أعلام النبلاء **١٢/٧٩**.

(٥) في أ: «النظر» هنا وفيما يأتي.

(٦) في ج: الإحراق والطيش.

قال النيسابوري: وإنما اتَّخذَهُ اللّهُ عدوّاً لتمرُّدِهِ على الله مواجهة[1].

وفي الخبر: أن الله تعالى يُخرجهُ كلَّ مائةِ ألفِ سنةٍ من النار، ويُخرجُ آدمَ من الجنةِ ويأمرهُ بالسجودِ له فيأبى، فيردُّهُ إلى النار، وذلك إلى أبد الآبدين.

ويُقال: أبغضَهُ الله لأنه يدعو إلى الشرّ، والله تعالى يبغضُ من يضرُّ عباده. ولذلك قيل: خيرُ الناسِ من نفعَ الناس. ويُقال: خيرُ الناسِ أنفعهم للناس، وشرُّ الناسِ أضرُّهم به.

و ـ قال النيسابوري: قال بعضهم: وإنما استجابَ دعاءَهُ بإنظارهِ مكافأةً له بعبادتهِ التي مضت؛ ليُعلمَ أنه لا يُضيعُ أجرَ المحسنين.

ويُقال: إنه أرادَ أن لا يقنطَ المؤمنَ بالمعصيةِ من إجابةِ الدعوة، حيث قال: أُجبتُ دعوةَ إبليسَ مع بغضي[2] إيّاه، أفلا أجيبُ دعوتكَ مع حبِّي إياك؟

ويُقال: إن إبليسَ قال: يا ربّ، إن عبادكَ يزعمونَ أنهم يبغضوني وهم يطيعونني، ويزعمون أنهم يحبُّونكَ وهم يعصونك[3].

فقال له الله تعالى: قد وهبتُ عصيانهم[4] لمحبَّتهم إيَّاي، ووهبتُ طاعتهم لكَ لبغضهم إياك.

ز ـ وأمّا الحيلةُ في الخلاصِ منه، فقال بعضهم: الاعتصامُ بالمولى والاستعانةُ به؛ لقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وأيضاً: الحيلةُ أن تَدَعَ ما له حتى يَدَعَ ما لكَ، فَدَعْ دنياهُ يَدَعْ لكَ دينك.

قيل: دخلَ قومٌ على الحسنِ فشكو إليه الشيطانَ، فقال لهم: قد خرجَ من عندي الساعةَ وهو يشكو منكم وقال: قلْ لهم يتركوا دنيايَ حتى أتركَ لهم دينهم!

---

(١) في ب، ج: لتمرده وإبائه مع الله مواجهة.

(٢) في ب، ج: بغضه.

(٣) في ب: ورد في الأصول: يبغضوني.. يطيعوني.. يحبوك.. يعصوك.

(٤) في ب، ج: عصاتهم.

ح ـ قال النيسابوري: وأما الحكمةُ في تسليطهِ علينا، قال بعضهم: كمثلِ الفَراشِ يريدُ أن يُطفئَ نورَ السراج فيُحرقُ نفسه، وكذلك يوسوسُ الشيطانُ فيحرقُ بنورِ العين[١]، وهو نورُ الإيمان، ثم يصيرُ ممنوعاً عن القلبِ كما يصيرُ ممنوعاً من السماء، وإنما يوسوسُ الشيطانُ في الصدور.

ط ـ وحافظُ القلبِ هو الله تعالى، والحافظُ إذا كان منتبهاً لا يقدرُ السارقُ أن يدخلَ خزانته[٢]، مع أن رجلاً شكا إلى النبيِّ ﷺ وسوسةَ الشيطان، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إن السارقَ لا يدخلُ بيتاً ليس فيه شيء**»[٣].

وسئل إبراهيم النخعي[٤] عن الوسوسةِ فقال: كلُّ صلاةٍ لا وسوسةَ فيها فإنها لا تقبل؛ لأن اليهودَ والنصارى لا وسوسةَ لهم!

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الفرقُ بين صلاتنا وصلاةِ أهل الكتابِ وسوسةُ الشيطان؛ لأنه فرغَ من عملِ الكفّار؛ لأنهم وافقوه، والمؤمنونَ خالفوه[٥]، والمحاربةُ تكونُ مع المخالفة.

وقال النبيُّ ﷺ: «**إن الشيطانَ يوسوسُ لكم ما لو تكلمتم به كفرتم، فعليكم بقراءةِ قل هو الله أحد**»[٦].

❋ ❋ ❋

---

(١) في أ: فيحرق نفسه أي يحترق بنور الغير.

(٢) في أ: لا يقدر السارق يدخل فيه.

(٣) يليه في ب، ج: «فذلك من محض الإيمان». ولم أعرف هل هو من تتمة الحديث أم من تعليق المؤلف. ولم أرَ الحديث فيما بين يدي من المراجع.

(٤) إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، الإمام الحافظ، فقيه العراق، أحد الأعلام، أدرك من الصحابة جماعة، مفتي أهل الكوفة، فقيه صالح قليل التكلف، يصوم يوماً ويفطر يوماً. ت٩٦هـ. سير أعلام النبلاء ٤/٥٢٠.

(٥) في ب، ج: والمؤمن يخالفه.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وعند مسلم: عن أبي هريرة قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه»؟ قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان (٢٠٩) وروايات أخرى تالية لها.

٢٢ ـ سؤال: لمَ لُعِنَ إبليسُ بالذنبِ[(١)] ولم يُلْعَنْ آدم؟

الجواب: قال أبو محمد المروزي[(٢)]: لأن آدمَ ندمَ على ذنبهِ ولامَ نفسه، ولم يصرَّ على الذنب، ولم يرَهُ الله أهلاً لذلك، ولم يزلْ يبكي على ذلك مدة طويلة[(٣)]، وإبليسُ شقي، لأنه أذنبَ وأصرَّ ولم يندم، ولم يلمْ نفسه، ولم يبك، ورآهُ الله أهلاً لذلك. هكذا نقله النيسابوري[(٤)].

❋ ❋ ❋

٢٣ ـ سؤال: لمّا ظهرَ النبيُّ ﷺ مُنعتِ الشياطينُ من السماء، فهلّا مُنِعَ إبليسُ عن النبيِّ ﷺ؟

الجواب: قلنا: لأن الله تعالى جعلَ أكثرَ الأشياء كذلك، يمنعُ بها ولا يمنعُ عنها. ألا ترىٰ أن الليلَ يمنعُ النهارَ والنهارَ يمنعَ الليلَ ولا يُمْنَعُ عنهما النورُ والظلمة؟

وكذلك إحياءُ الموتى لعيسى بن مريم، ولم يُمنعْ عنه الموت.

وأيضاً لمّا مُنعَ الشياطينُ من السماءِ ظنوا أنهم لا يقدرونَ على محمد ﷺ، فسلَّطهم عليه، ثم عصمَهُ منهم ليعلموا أنه ليس بأيديهم شيء، **حتى أسلمَ شيطانهُ على يديه[(٥)]، وأخذَهُ مرَّةً وجعلَ رداءَهُ في عنقه[(٦)]**.

---

(١) في ب: بالدنيا!

(٢) لعله عبد الله بن أحمد بن سعيد الرِّباطي المروزي، أبو محمد، صحب أبا تراب النخشبي، وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه. ت٢٩٠هـ. البداية والنهاية ٧٢٢/١٤.

(٣) في ب، جـ: وبكى عليها سنة.

(٤) في هامش جـ جواباً عن السؤال: قلت: لأن إبليس تضمن ذنبه ما لا يليق بخالقه، وأما آدم فمبرّأ من ذلك.

(٥) في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينهُ من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمر إلا بخير». صحيح مسلم (٢٨١٤).

(٦) قوله ﷺ من رواية أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود: «مرَّ عليَّ الشيطان فأخذته فخنقته=

وقال النيسابوري: وأيضاً أرادَ الله أن يُظهرَ لخلقهِ أنَّ غيرَهُ غيرُ معصوم[1]، ولا ظاهرَ إلا الله.

ووقعَ لرسولِ الله ﷺ السهوُ خمسَ مرات[2]:

الأول: السهوُ في عدد الركعات، حين صلى الظهرَ ركعتينِ ثم سلَّم، فقال أبو بكر: صليتَ ركعتين. **فقام وأضاف إليها ركعتين ثم سلّم**[3].

والثاني: سها في الوقت، الذي قال فيه لبلال: «**احرسنا**». فناموا كلُّهم، وما أيقظهم إلا حرُّ الشمس[4].

والثالث: سها في النظرة، حيث قال: «**يا مقلِّب القلوبِ والأبصار**»[5].

والرابع: في التلاوة، حيث قال: «**تلك الغرانيق الأُلى**»[6].

= حتى لأجد برد لسانه في يدي، فقال: أوجعتني أوجعتني». قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد **٢٨٨/١**.

(١) في ب، جـ: «أن غيره غير معيوب وغير معصوم. وفي أ: «أن يظهر لخلقه أن لا معصوم من العيوب إلا هو جل جلاله». ولم ترد الجملة الأخيرة فيها.

(٢) في أ: «وسها رسول الله ﷺ خمس مرات». وليس كل هذا من السهو.

(٣) لعله يعني حديث أبي هريرة، الذي ذكر فيه صلاة رسول الله ﷺ الظهر أو العصر ركعتين، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يتكلما، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله أقُصرت الصلاة أم نسيت... إلخ. صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة (**٥٧٣**).

(٤) أورد المؤلف معناه، وفيه قوله ﷺ: «أخاف أن تناموا عن الصلاة» فقال بلال رضي الله عنه: «أنا أوقظكم»... إلخ. صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت، الحديث الأول من الباب.

(٥) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول **٢٩/٣** وأن ذلك كان عندما وقع نظره على زينب بنت جحش رضي الله عنها عندما كانت تحت زيد بن حارثة، وأنه قال بكفيه على عينيه وتولى وقال: «سبحان مقلب القلوب والأبصار». وبلفظ قريب عند ابن سعد في طبقاته **١٠١/٨**.

(٦) حديث الغرانيق لم يخرِّجه أحد من أهل الصحيح، ولا رواه ثقة بإسناد صحيح، وإنما يورده المولعون بالغرائب والأخبار السقيمة من المفسرين والمؤرخين.
وللمحدِّث الألباني كتاب بعنوان «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»، ولعلي حسن الحلبي: «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق دراية ورواية».

والخامس: في صلاةِ العصرِ يومَ الخندق، حيث قال: «**شغلونا عن صلاةِ العصر، ملأ الله قلوبهم ناراً**»[1].

ويُقال: **سها أيضاً عن الاستثناءِ** في سؤالِ اليهودِ عن الروح، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤][2].



[إمهال العصاة]

٢٤ ـ سؤال: ما الحكمةُ في إمهالِ اللّهِ تعالى العصاة؟

الجواب: قيل: ليرىٰ العبادُ أن العَفْوَ والإحسانَ أحبُّ إليه من الأخذِ والانتقام، وليعلموا غايةَ شفقتهِ وبرِّهِ وكرمه[3].

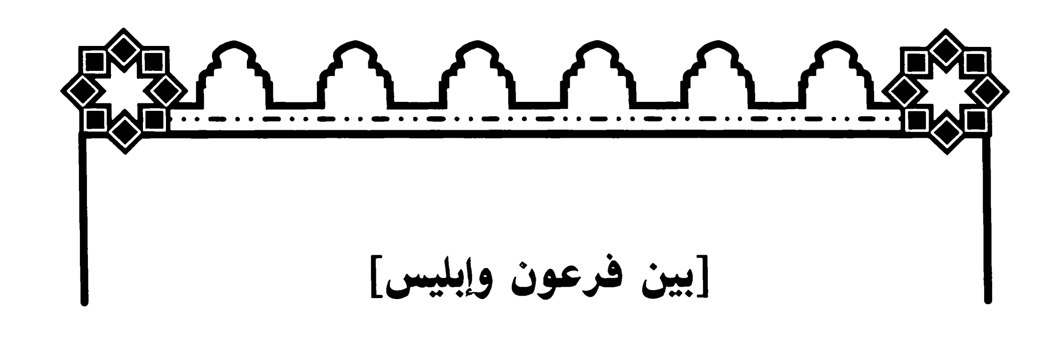


---

(١) قوله ﷺ من رواية علي: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس». صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب التغليظ على تفويت صلاة العصر (٦٢٧).

(٢) أورده الحافظ ابن كثير من رواية ابن إسحاق، وفيه قوله ﷺ لهم: «أخبركم غداً عما سألتم عنه» ولم يستثن، ومكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً... ينظر تفسيره ٧١/٣ ـ ٧٢.

(٣) في أ: وليطلعوا على غاية برّه وكرمه.
والله حليم صبور يمهل عباده العصاة.
حتى يتوبوا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].



[بين فرعون وإبليس]

٢٥ ـ سؤال: لمَ ادَّعىٰ إبليسُ الربوبيةَ فلُعنَ، ولم يُلعنْ فرعونُ وغيرهُ ممن ادَّعىٰ الربوبية؟

الجواب: قيل: لأنَّ نيَّتَهُ شرٌّ من نيَّةِ هؤلاء، ولأنهم ادَّعوا الربوبيةَ بوسوسته.

وأيضاً: أولئك ما واجهوا الرسلَ بالإباء[١]، وهو واجهَ الربَّ بذلك.

وأيضاً: أولئك تضرَّعوا عند اليأس وآمنوا واعترفوا[٢] بذنوبهم، وهو لم يؤمنْ ولم يتضرَّع.

وأيضاً: هو أولُ من سنَّ الكفر، ووزرُهم راجعٌ إليه، وبذلك وجبَ عليه ما وجب[٣].



(١) كيف؟

(٢) في أ: عند الإياس واعترفوا، وفي ج: عند الناس وآمنوا. . .

(٣) الجملة الأخيرة لم ترد في ب، ج.



[الأرزاق.. والجنة]

٣٦ ـ سؤال: رجلٌ مجوسيٌّ سألَ أبا عبد الله مسألةً وقال: لقد سألتُ عنها العلماءَ فلم يجيبوني، فإن أجبتني أنت عنها أسلمت!

فقال: وما هي؟

قال: هل الأرزاقُ مقسومةٌ أم لا؟

قال: نعم، قسمَ الله الكَسلَ[١] والعمل، وهما أيضاً مقسومان[٢].

قال: فأسلم.

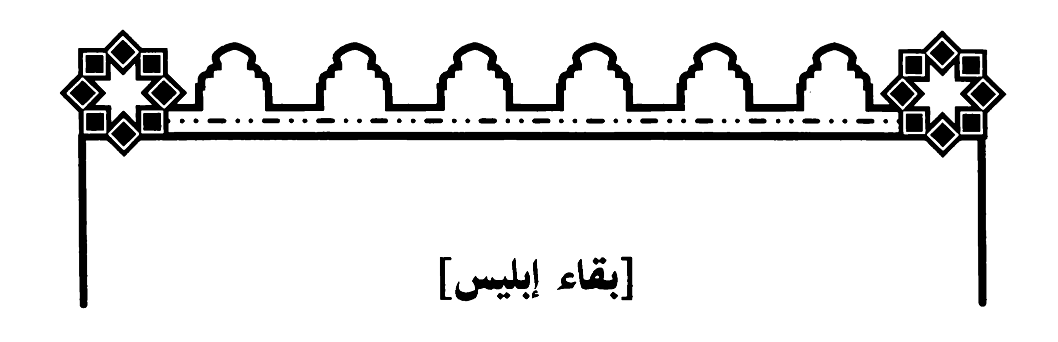
وسألَ مجوسيٌّ أبا محمد السجزي: هل يعلمُ الله للجنَّةِ نهاية؟

وظنَّ أنه يجيبهُ بلا أو نعم، فقال له: يعلمُ الله الجنةَ بلا نهاية[٣]!

فتحيَّرَ السائلُ وبُهت[٤]!



(١) في أ، ج: الكَلّ، وهو العالة على غيره.
(٢) الجملة الأخيرة لم ترد في ج، وفي ب: فقال إنه أيضاً مقسوم.
(٣) للجنة بداية ونهاية، لكن كتب في هامش أ: أي لا نهاية في علمه.
(٤) لم يرد الجواب في ب، ج، ووردت الجملة الأخيرة فقط.



[بقاء إبليس]

٢٧ ـ سؤال: لمَ أهلكَ الله أعداءَ سائرِ الأنبياءِ وأبقىٰ عدوَّ آدم عليه السلام، وهو إبليس؟

الجواب: قيل: لأنَّ إبليسَ لم يكنْ عدوَّ آدمَ فحسب، إنما كان عدوَّ الله، فأبقاهُ إلى آخرِ الدهر.

وأيضاً: فإنَّ الفراعنةَ لم يدعوا بالبقاءِ لأنفسهم، ودعا إبليس(١).

وأيضاً: أبقاهُ الله امتحاناً للخلق، فقال ﷺ: «**لو أرادَ الله أنْ لا يُعصىٰ لما خلقَ إبليس**»(٢).

وأيضاً: بقاؤهُ من جهةٍ عقوبةٌ للكافرينَ ورحمةٌ للمؤمنين، ليضعَ ذنوبَ المؤمنينَ عليه، ويغفرَ لهم برحمته.

وأيضاً: أرادَ الله به شرّاً فأمهلَهُ حتى يزدادَ إثمه(٣).

❋ ❋ ❋

---

(١) عبارته في أ: فإن الفراعنة لم يكن لهم بقاء في أنفسهم؟

(٢) أورد الألباني رحمه الله طرقه ورواياته وشواهده وصححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٦٤٢).

(٣) الفقرتان الأخيرتان لم تردا في أ.

٢٨ ـ سؤال: ما الحكمةُ في إبقاءِ إبليسَ وموتِ نبيِّنا ﷺ[١]؟

الجواب: قيل: لأن الدنيا خيرٌ لإبليس، والآخرةُ خيرٌ لمحمد ﷺ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨][٢].

وأيضاً: فإن إبليسَ دُعي فقال: ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤][٣] فأُجيبتْ دعوته، وقال الرسولُ ﷺ: «**الرفيقَ الأعلى**»[٤] فأُجيب.



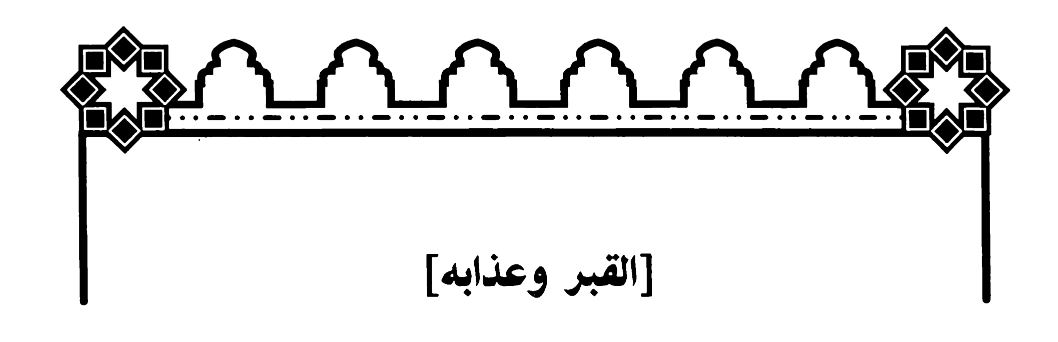
---

(١) صيغة السؤال في ب، جـ: لمَ أبقى الله تعالى إبليس وأمات محمداً ﷺ؟

(٢) وورد بعد هذا في (ب، جـ) نوع جواب آخر، ولعل المؤلف حذفه بعد ذلك، وهو قوله: «وأيضاً فإن الله خليفة محمد يحفظ أمته، ولو أمات إبليس لم تحتج أمته إلى خليفة».

(٣) وورد في جـ: أنظرني إلى يوم دعوته؟

(٤) قاله في سكرات الموت عليه صلوات ربي وسلامه، رواه البخاري في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ من كتاب المغازي، والحاكم في المستدرك ٤/٧ وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣١).



[القبر وعذابه]

٢٩ ـ سؤال[1]: ما الحكمةُ في القبر؟

الجواب: قال بعضهم: سترٌ للمؤمنِ وأحواله؛ لأن سائرَ الأديانِ لا يدفنونَ موتاهم[2]، فيكونُ فيه كشفُ موتاهم.

وأيضاً: يكونُ سجناً للكافرِ وحصناً للمؤمن، فقال [النبيُّ ﷺ]: «**القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ أو حفرةٌ من حُفَرِ النار**»[3].

❁ ❁ ❁

٣٠ ـ سؤال: ما الحكمةُ في سؤالِ منكر ونكير؟

الجواب: قيل: الحكمةُ فيه أن إبرهيمَ [عليه السلام] قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] عياناً، فأراهُ ليزدادَ يقيناً بالإحياء.

وأيضاً: أرادَ أن ينبسطَ العبدُ مع الربِّ، حتى إذا سألَهُ في القيامةِ لا يخاف.

---

(١) هذا السؤال وتاليه وجوابهما لم يردا في أ.

(٢) كيف وهم يدفنونهم؟

(٣) في حديث طويل جاء في آخره: «إنما القبر روضة...» إلخ. رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، الباب (٢٦) رقم (٢٤٦٠) وقال: حديث حسن غريب.
وأوله عند الطبراني كما أورده المؤلف وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا أيوب بن سويد، تفرد به ابنه. المعجم الأوسط (٨٦٠٨)، وفيه محمد بن أيوب بن سويد، وهو ضعيف. قاله في مجمع الزوائد ٤٦/٣.

كما أنه [أمرَ موسى عليه السلام][1] بإلقاءِ عصاهُ فصارتْ حيَّة، فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: ٢١]. كي لا يخافَ عند مناظرتهِ فرعونَ[2] من العصا.

❊ ❊ ❊

٣١ ـ سؤال: ما الحكمةُ في عذابِ القبر؟

الجواب: قيل: تخويفٌ للمؤمنِ حتى يتعوَّذَ[3] بالله منه.

وأيضاً: جعله الله تطهيراً للمؤمن، لأن الله تعالى جعلَ قدَّام المؤمنِ[4] خمسةَ أنهارٍ يغسلهُ فيها[5]:

أولها: الاستغفارُ والصلاةُ على الميت.

والثاني: نهرُ الصدقة على الميت.

والثالث: نهرُ القبر.

والرابع: نهرُ القيامة.

والخامس: نهرُ النارِ ليطهِّرَ بها المؤمن.

وأيضاً: فالماءُ النجسُ إذا سقيتَ به الأرضَ ثم تشربُ صارَ طاهراً بمرورهِ على التراب، كذلك المؤمن، يموتُ ثم يقبرُ فيمتزجُ بالترابِ ليصيرَ طاهراً بمرورهِ على التراب. قالهُ النيسابوري.

ومنه يؤخذُ التصريح بأن الماءَ النجسَ إذا شربتْهُ الأرضُ يكونُ باطنُ

---

(١) في الأصل: أمره. وفي ج: كما أنه. . .(؟) موسى.

(٢) في ب: كفرعون، وفي ج: لفرعون.

(٣) في ج: للمؤمنين حتى يتعوذوا.

(٤) في أ: جعل للمؤمن.

(٥) في ب: يغسله بها، وفي ج: تغسله.

الأرضِ طاهراً؛ لأن الماءَ طَهُرَ بمرورهِ على التراب، كذلك المؤمنُ يموتُ والترابُ يلتقطُ ما في الماءِ من النجاسة.

ويدلُّ عليه أنه لو سُقيَ الزرعُ أو الشجرُ بماءٍ نجسٍ لم يُكرهْ أكلُ الزرع؛ لأنه حينئذٍ لم يشربْ[1] إلا ماءً طاهراً من باطنِ الأرض.



(١) بعدها كلمة غير واضحة في (أ) رسمها «اجساةً»؟



[أجساد الأنبياء]

٣٢ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أنَّ الله تعالى حرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ(١) الأنبياءِ وأجسادَ الشهداء؟

الجواب: قيل: لما سبقَ من أن الترابَ يمرُّ على جسدِ الإنسان فيطهِّره، والأنبياءُ لا ذنوبَ عليهم؛ فلم يحتاجوا إلى تطهيرِ أجسادهم بالتراب.

وكذلك الشهداء؛ ولهذا لم يحتجِ الشهيدُ إلى الصلاةِ عليه؛ لأنه مغفورٌ له.



(١) في أ: لحوم.



[المؤمنون والنار]

٣٣ ـ سؤال: ما الحكمةُ في إدخالِ المؤمنينَ النار؟

الجواب: قيل: ليعرفوا قَدْرَ الجنَّةِ ومقدارَ ما دفعَ الله عنهم من عظيمِ النقمة، لأن تعظيمَ النعمةِ واجبٌ في الحكمة.

وقيل: ليكونَ المؤمنونَ دليلاً للكافرين، كما أن جبريلَ كان دليلاً لفرعونَ في البحر، لأن عبّادَ الصنم يومَ القيامةِ يؤمرون بدخولِ النارِ مع أصنامهم، فيأبَوْن، فيقولُ الله للمؤمنينَ: ادخلوا. فيقولون: لبَّيكَ وسعديكَ إذْ أمرتنا، فذلك قولهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وحينئذٍ يتبيَّنُ للخلقِ أن برَّهُ في النارِ للعارفينَ أكثرَ من برِّهِ في الجنةِ للمطيعين(١).

وقيل: أرادَ الله تعالى أن يطيِّبَ النارُ كما طيَّبَ بطنَ الحوتِ بإلقاءِ يونسَ عليه السلام [فيه]؛ لأن النارَ شكتْ إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ، ما عصيتُك قطُّ، فلمَ جعلتني مأوى المتكبِّرينَ والجبّارين؟ فقال: أريكِ أولاً الأنبياءَ والمطيعين(٢).

وقيل: ليرىٰ المؤمنونَ عياناً ما أخبرهم به من نجاةِ إبراهيمَ من نارِ

---

(١) كلمات «للخلق» و«النار» و«الجنة» لم ترد في ج.

(٢) في أ: والمؤمنين. ويعني قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

النمرود[1]، فقالَ لنارِ إبراهيم: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وقال للمؤمنين: وردتموها وهي خامدة[2].

وقيل: ليرى الكفرةُ جودةَ عَرْضهِ للمؤمنين[3]؛ لأن الجوهرَ الأصليَّ لا تعملُ فيه النارُ ولا تفسده، فكذلك المؤمن.

وقيل: ليظهرَ للخلقِ أنه صانعُ النورِ والظلمة، لأنه هو المُنجي من الظلمةِ والموقعُ فيها.

وقيل: ليرى الخلقُ كمالَ قدرته: فرقةٌ يستغيثونَ من النار، وفرقةٌ تستغيثُ النارُ منهم. وهذا كما جعلَ الماءَ رحمةً على موسى، وعقوبةً على فرعونَ وقومه[4]، وكذلك جعلَ النارَ رحمةً للمؤمنينَ ونقمةً للكافرين.

وقيل: لأن الله تعالى وعدَ النارَ أن يملأها وهي لا تمتلئ بالكفرة، فتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]؛ فيوردُ المؤمنين فيها، فتمتلئ وتقول: «**قَطْ**»[5].

❊ ❊ ❊

٣٤ ـ سؤال: هل يجوزُ أن يَشْمَتَ إبليسُ بإدخالِ المؤمنينَ النار[6]؟

الجواب: قال النيسابوري: إن الله يُدخلُ المؤمنَ النارَ على حالٍ لا يعرفهُ إبليسُ ولا غيرهُ من الكفار؛ وذلك أنَّ النارَ مظلمةٌ سوداء، فإذا أرادَ الله أن يخرجهم منها تصيرُ نوراً[7]، فيقولُ لهم الكفّار[8]: ما أغنى

(١) «من نار النمرود» لم يرد في أ.
(٢) في أ: جامدة، وفي ب: بدون نقط.
(٣) في أ: ليري الكافرين جودة عرض المؤمنين.
(٤) في أ، ب: على قوم فرعون.
(٥) هذه الفقرة لم ترد في أ. ويعني حديث: «يُلقىٰ في النار وتقول: هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول: قط قط». صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة ق (٤٨٤٨) والحديث التالي له. وينظر تخريج روايات أخرى له في الفقرة (١٤٥).
(٦) لم ترد صيغة السؤال في أ.
(٧) في ب، ج: يصير لها نور يتراءى منه.
(٨) في ب، ج: فيقولون، وفي أ: فيقولون لهم الكفار!.

عنكم توحيدكم وأنتم معنا في النار، فيخرجهم منها، فذلك قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢].

وأيضاً: فإن إبليسَ وغيرهُ مشغولٌ بعذابِ النار، فلا يتفرَّغُ للشماتة.

وأيضاً: يدخلُ المؤمنُ النارَ وعلى مقدمِيهِ الأنبياء، وعلى ساقيهِ المطيعون، وهو[1] فيما بين ذلك مستورٌ لا يقفُ على حالهِ أحد.

فإنْ قيل: لَمَ لا تحرمُ[2] النارُ على المؤمنينَ كما حرمتِ الجنَّةُ على الكافرين؟

قيل: لأنَّ التأبيدَ[3] في الحكمةِ واجب.

فإنْ قيل: ما الذي يوجبُ تأبيدَ[4] العذابِ والثواب؟

قال بعضهم: النيّات.

قال الحسن: أخلدَ الجنةَ والنارَ النيَّاتُ[5].

ومعنى قوله ـ والله أعلم ـ أن المؤمنَ لما كانت نيَّتهُ في الدنيا أن يعبدَ الله أبداً ما عاش؛ خُلِّدَ في الجنَّةِ أبداً، ولمّا كانتْ نيَّةُ الكافرِ عبادةُ الصنم أبداً ما عاش؛ خُلِّدَ في جهنَّمَ أبداً. أعاذنا الله منها.

وقيل: لأنَّ الإيمانَ غايةُ الحُسْن؛ فأوجبَ غايةَ الثواب، والكفرُ غايةُ القبح؛ فأوجبَ غايةَ العقاب.



(١) في جـ: وهم.
(٢) في أ: لَمَ لا حرمت، وفي جـ: لَمَ حرمت؟
(٣) في ب، جـ: التأديب.
(٤) في جـ: تأديب. ووردت صيغة السؤال في أ: ما الحكمة التي توجب تأبيد الثواب والعقاب.
(٥) في أ: أحل الجنة والنار النية.



[درجات الجنة.. ودرجات النار]

٣٥ ـ سؤال: لمَ خلق الله النارَ سبعَ دركاتٍ والجنَّةَ ثمانية[١]؟

الجواب: قال النيسابوري: لأنَّ الجنةَ فضلٌ والنارَ عدل، والفضلُ ينبغي أن يكونَ أكثرَ من العدل.

وأيضاً: ليس في النارِ إلا الجزاء، والزيادةُ في العذابِ جَوْر، وفي الثوابِ كرم.

وأيضاً: مدارجُ الخيرِ ثمانية، ومدارجُ الشرِّ سبعة، ولأنَّ في الجنَّةِ دارَ الضيافة، فلذلك جاءتْ ثمانية[٢].

ويُقال: لأنَّ الأذانَ سبعُ كلمات، والإقامةَ ثمانية، كذلك أبوابُ النيرانِ سبعة، وأبوابُ الجنةِ ثمانية[٣]، فمن أذَّنَ وأقامَ غُلِّقتْ عنه أبوابُ النيرانِ، وفتحتْ له أبوابُ الجنان.

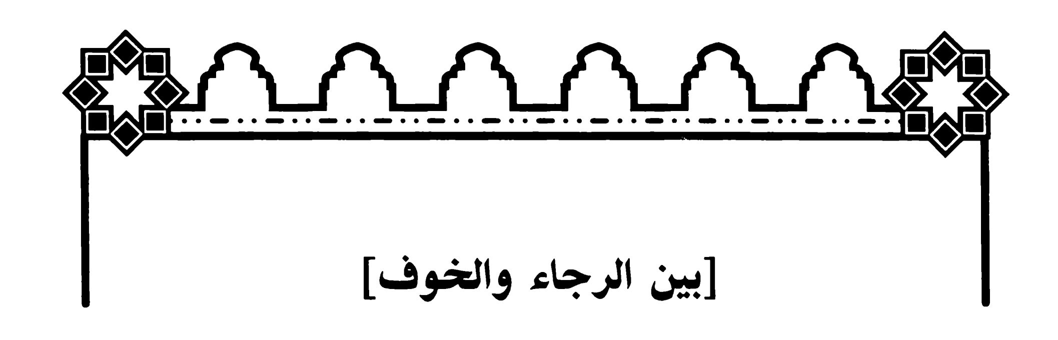
---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

وقوله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمتهُ ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٢٨).

(٢) «مدارج...» حتى هنا، سقط كله من ب.

(٣) «كذلك...» حتى هنا، سقط من أ.



[بين الرجاء والخوف]

٣٦ ـ سؤال: الخوفُ أفضل أم الرجاء؟

الجواب: قال بعضهم: سواء، لا يَفْضُلُ أحدهما على الآخر.

ويُقال: ما دامَ الرجلُ صحيحاً فالخوفُ أفضل، وما دامَ مريضاً فالرجاءُ أفضل.

ويُقال: الخوفُ للعاصي أفضل، والرجاءُ للمطيعِ أفضل[١].

وُيقال: الخوفُ قبل الذنبِ أفضل، والرجاءُ بعد الذنبِ أفضل.

ويُقال: الرجاءُ أفضلُ؛ لأشياءَ أربعة:

أحدها: الرجاءُ إلى فضله[٢]، والخوفُ من عدله، والفضلُ أكرمُ من العدل.

والثاني: الرجاءُ إلى الوعد[٣]، والوعدُ من بحرِ الرحمة[٤]، والخوفُ من الوعدِ والوعيدِ من بحرِ الغضب، ورحمتهُ سبقتْ غضبه.

---

(١) في (أ) جاء هذا السطر تتمة لسابقه، على النحو التالي: ومقام الرجاء للمطيع أفضل، والخوف للعاصي أفضل.

(٢) في أ: لفضله، ولعل الصحيح: من فضله.

(٣) في أ: في الوعد.

(٤) في أ: المعرفة!

الثالث: الرجاءُ بالطاعة، والخوفُ من المعصية، ومن الطاعةِ ما يعلو على المعاصي، كالتوحيد.

والرابع: الرجاءُ بالرحمة[1]، والخوفُ من الذنوب، والذنوبُ ذو نهاية، والرحمةُ لا نهايةَ لها.

ويُقال: الخوفُ أفضلُ منه، لأنه وعدَ بالخوفِ جنتين، ولم يَعِدْ بالرجاء إلا جنةً واحدة[2].

وأيضاً: الخوفُ يمنعُ من الذنوب، وتركُ الذنوبِ أفضلُ من فعلِ الخيرات.

ويُقال: من عبدَ الله بالخوفِ فهو مؤمن، ومن عبد الله بالرضا فهو مرجئ[3]، ومن عبدَ الله بالحبِّ فهو زنديق، ومن عبدَ الله بالثلاثةِ فهو مستقيم!

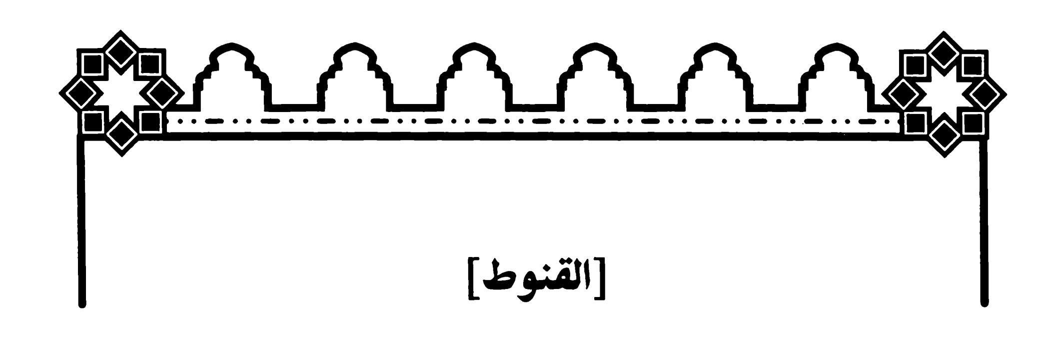


---

(١) في أ: في الرحمة.

(٢) هذه الفقرة لم ترد في أ. ويعني الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]. ثم قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، أو قوله عزَّ شأنه: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

(٣) «من عبد الله بالرضا فهو مرجئ» سقط من ب، ج.



[القنوط]

٣٧ ـ سؤال: لمَ قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]؟

الجواب: قيل: لأنه ليس يَعْظُمُ عليه المغفرة؛ لأنه يغرقُ في بحرِ كرمهِ ذنوبُ عباده.

وأيضاً: فإنه قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ لأنَّ بين أيديكم أربعةَ أشياء: الشهادة، والرحمة، والشفاعة، والمغفرة.

قال النيسابوري: **ويُقال:** ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ لأنَّ الخَلْقَ سبعة، ثلاثةٌ منهم من لا نصيبَ له في الرحمة، وهم الكفار، والمنافقون، وأهلُ البدع، وثلاثةٌ لا حاجةَ[1] لهم في الرحمة، وهم الملائكة، والمطيعون، والتائبون، ويبقى العصاة، فهل الرحمةُ إلا لهم!

وأيضاً: قال: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ بأربعةِ شرائط[2].

ثم ردَّها إلى اثنين؛ لقولهِ تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

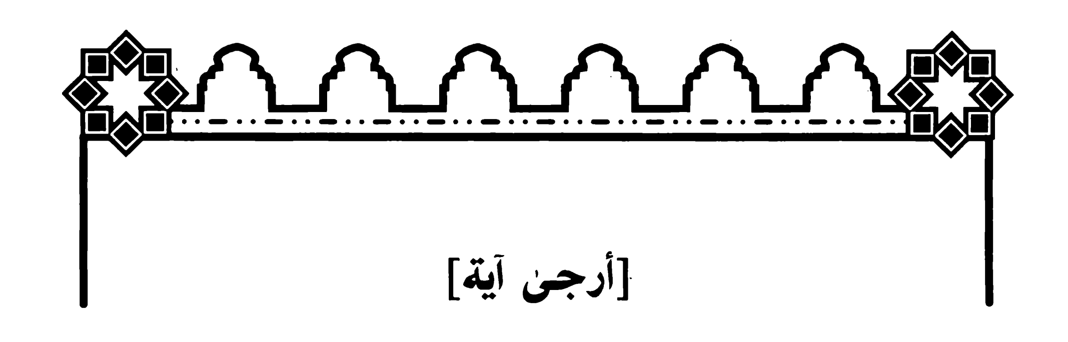
ثم ردَّها إلى اللسان، فقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

ثم ردَّها إلى الرجاء، فقال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) من قوله: «له في الرحمة» حتى هنا، سقط من ب، ج.

(٢) الشروط الأربعة مذكورة في تتمة الآية السابقة، وهي: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].



[أرجى آية]

٣٨ ـ سؤال: أيُّ آيةٍ في القرآنِ أرجى؟

الجواب: قيل: قولهُ تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧][1].

وقيل: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

وقيل: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقيل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقيل: قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

وقيل: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وقيل: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وقيل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢][2].

وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

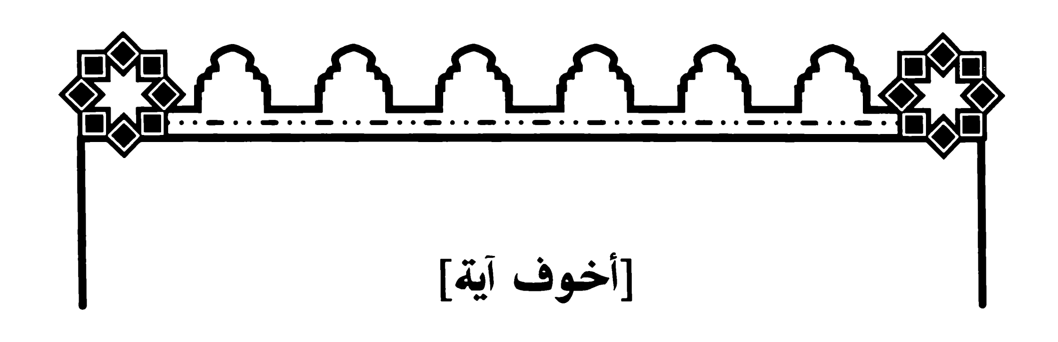
وقيل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].



---

(١) وورد في ب، ج: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(٢) الآيات الثلاث السابقة لم ترد في أ.



[أخوف آية]

٣٩ ـ سؤال: أيُّ آيةٍ في كتابِ الله أخوف؟

الجواب: قيل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقيل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١].

وقيل: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: ٢٦](١).

وقيل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقيل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

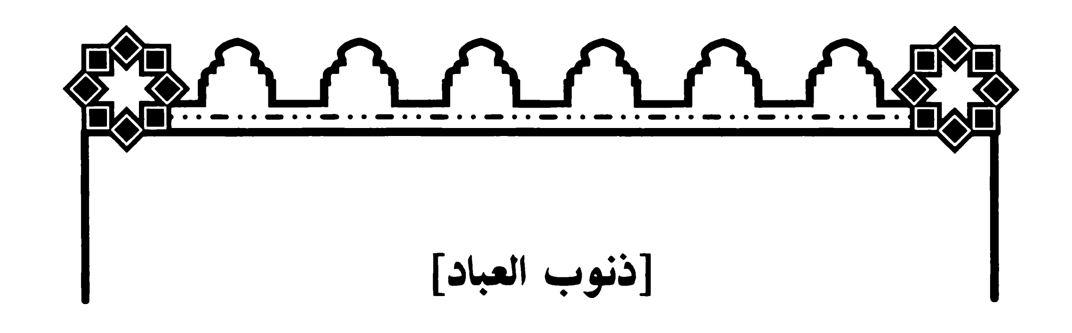
وقيل: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢].

وقيل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١](٢).



---

(١) (٢) لم ترد هاتان الآيتان في أ.



[ذنوب العباد]

٤٠ ـ سؤال: لمَ قدَّرَ الله الذنوبَ على العباد؟

الجواب: قيل: لئلا يعجبوا بأنفسهم[(١)].

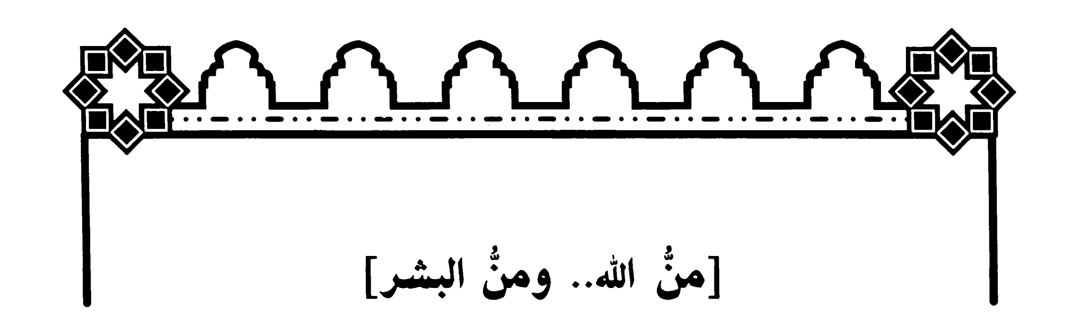
وأيضاً: ليُرغمَ إبليس؛ لأن الصيادَ إذا اصطادَ وذهبَ من الشبكةِ ما اصطادهُ، كان غمُّهُ أكثرَ مما لم يصده.

وأيضاً: لسرورهِ ﷺ بشفاعته.

وأيضاً: قال يحيى بن معاذ الرازي: أوقعهم[(٢)] في الذنوبِ ليعرِّفهم فاقتهم إليه، ثم أنجاهم ليعرِّفهم كرامتَهُ عليهم[(٣)].



(١) في ب، ج زيادة: «وأيضاً ليظهر طهارته»؟.
(٢) في ب، ج: أنقاهم.
(٣) يليه في (ب، ج) سؤال وجوابه سبق في الرقم (١٥) وقد أوردته في الهامش هناك.



[منُّ الله.. ومنُّ البشر]

٤١ ـ سؤال: لِمَ منَّ الله على المؤمنين، ونهانا عن المَنّ(١)؟

الجواب: قيل: لأنَّ العبدَ إذا منَّ داخلَهُ الكفر، لأنه يرىٰ كبرياءَهُ على مَنْ مَنَّ عليه. واللّهُ تعالى إذا منَّ يُري نعمتَهُ على عبدِهِ ويُظهرها، وفي إظهارِ النعمةِ شرفٌ للعبد.

وأيضاً: فإنَّ الله تعالى يعطي من ملكه، والعبدُ لا يعطي من ملكهِ حقيقة(٢).



---

(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

(٢) في ب، ج: لا ملك له حقيقة.



[أكثرية الكفار]

٤٢ ـ سؤال: لمَ جعلَ الله الكفارَ أكثرَ من المؤمنين؟

الجواب: قيل: ليُريَهم أنه مستغنٍ عن طاعتهم؛ لأن أعداءَهُ أكثرُ من أوليائه.

وأيضاً: ليظهرَ عن المؤمنينَ فيما بين ذلك؛ لأن الأشياءَ تُعرفُ بأضدادها، والشيءُ إذا قلَّ وجودهُ عزَّ(١).

وأيضاً: خلقهم كذلك ليحفظهم من أعدائهم ليُريَهم قدرته، أي أني أحفظُ الحبيبَ بين الأعداءِ الكثير، وكذلك أحفظُ النبيَّ ﷺ.

وأيضاً: ليبيِّنَ أن النصرَ من عنده، وأن القليلَ يغلبُ الكثيرَ بعونه وعنايته(٢).



---

(١) (٢) لم ترد هذه الفقرة في أ.



[سؤال في الخَلْق]

٤٣ ـ سؤال[١]: هلاّ خُلقنا في الجنةِ ابتداءً؟

الجواب: قيل: لثلاثةِ أشياء:

أحدها: تعظيمُ النعمةِ واجب، فلو لم تُخلقِ الدنيا قبلها لما عرفوا قدرها.

وليكونوا فيها على الجزاءِ الأعلى ابتداءً[٢] ليأمنوا الزوال.

وليكونَ لهم عزُّ الفَخارِ[٣]لا ذلُّ السؤال[٤].

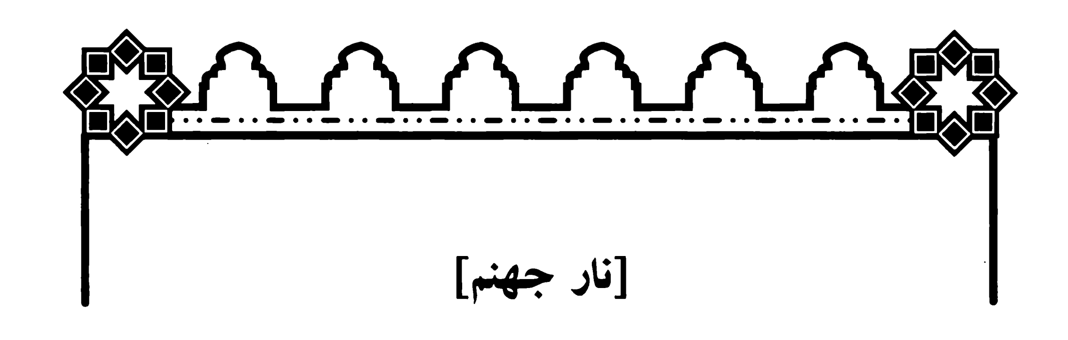


(١) لم يرد هذا السؤال وجوابه في أ.

(٢) في النسختين: الابتداء. وهكذا وردت صياغة الجملة؟

(٣) في ب: النجا.

(٤) جاء في هامش ج: هذا الجواب باطل، إذ لو شاء لوفقهم لتعظيم الجنة وألهمهم أن يعرفوا قدرها وعرَّفهم أن ثمَّ شيء آخر منها [هكذا]. والجواب الصحيح أن لا يُسأل عما يفعل.



[نار جهنم]

٤٤ ـ سؤال: نارُ جهنمَ خيرٌ أم شرّ؟

الجواب: قال أبو جعفر النحاس[١] في «شرح أسماء الله الحسنى»: ليس هي بخيرٍ ولا بشرّ، بل هو عذابٌ وحكمة[٢].

❋ ❋ ❋

٤٥ ـ سؤال: ما الحكمةُ في خلقِ النار؟

الجواب: قال النيسابوري: ليكونَ الخَلْقُ على هيبةٍ وحُرمة؛ **لأن النبيَّ ﷺ علَّقَ السَّوْطَ حيث يراهُ أهلُ البيتِ** لئلا يتركوا الأدب[٣].

ورويَ أن الله تعالى قال لموسىٰ: ما خلقتُ النارَ بخلاً مني، ولكنْ

---

(١) أحمد بن محمد النحاس المصري النحوي. له تصانيف كثيرة. كان يُنْظَر بابن الأنباري ونفطويه ببلده. ت٣٣٨هـ. العبر ٢/٥٤.

(٢) في هامش جـ: بل هي شر؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

(٣) ورد في تفسير السمعاني ٥/٤٧٥: «وفي بعض الغرائب من الأخبار: علق السوط حيث يراه أهلك، يعني بالتأديب». أما رفعه فقد رواه ابن عدي من حديث جابر رفعه: «رحم الله عبداً علق في بيته سوطاً يؤدب به أهله» وذلك في ترجمة عباد بن كثير الثقفي، وقال فيه أخيراً: .... ومقدار ما أمليت مما لا يتابع عليه. الكامل في ضعفاء الرجال ٤/٣٣٦. ورواه الديلمي في الفردوس رقم (٣٢١١). وضعفه الألباني لابن عدي في ضعيف الجامع رقم (٣١٠٦).

أكرهُ أن أجمعَ أعدائي وأوليائي[1] في دارٍ واحدة.

وأيضاً: خلقَ النار حتى إذا نجوا منها علموا قدرَ الجنة؛ لأن من لم يقاسِ البلاء لم يدرِ قدرَ العافية.

وأيضاً: خلقَ النارَ لغلبةِ الشفقةِ وموالاته، كرجلٍ يضيِّفُ الناسَ ثم يقول: من جاءَ إليَّ أكرمته، ومن لم يجئ ضربتهُ وحبسته؛ ليتبيَّن[2] غايةُ كرمه، وهو أكملُ وأتمُّ ممن يقول: ومن لم يجئ لم يضرَّهُ شيءٌ مني. والله تعالى دعا الخلقَ إلى دعوته، وأعطى السيفَ لمحمد ﷺ وقال: من لم يجئ إلى ضيافتي[3] فاقتله!

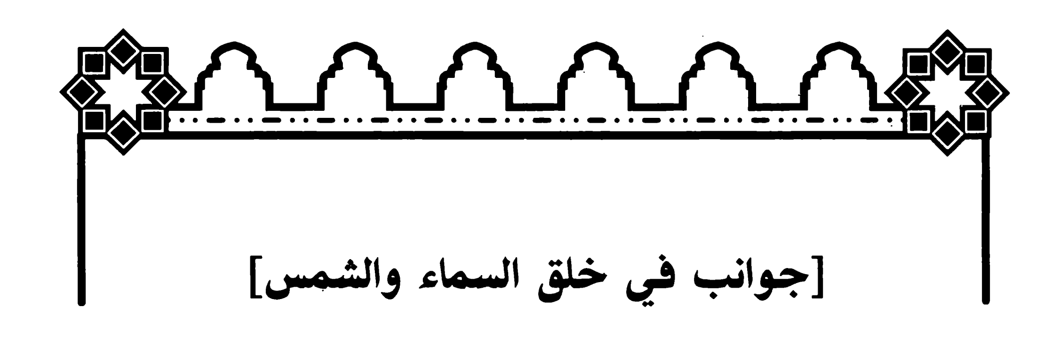


---

(١) في أ: أحبابي وأعدائي.

(٢) في ج: ليبيِّن لهم.

(٣) في ب، ج: من لم يجب ضيافتي.



[جوانب في خلق السماء والشمس]

٤٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في خَلْقِ السماءِ بغيرِ عَمَد، وفي خَلْقِها قبل الأرض؟

الجواب: قال النيسابوري: خلقها قبل الأرضِ ليُعْلَمَ أن فعلَهُ خلافُ أفعالِ[1] الخلق، لأنه خلقَ أوّلاً السقف، ثمّ الأساس، ورفعها على غيرِ عَمَدٍ ليدلَّ على قدرته.

وجعلَ لها سبعةَ أبواب: بابُ المطر، وبابُ الرزق، وبابُ التدبير، وبابٌ تنزلُ منه الملائكةُ والروح، وبابُ صعودِ الأعمال، وبابٌ تنزلُ منه الملائكةُ بالبشارة، كما قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] وباب الرحمة[2].

فإن قيل[3]: لَمَ جعلها خضراء[4]؟ ومن أيِّ شيءٍ خضرتُها؟

---

(١) في أ: فعل.

(٢) في أ: وباب البشارة، وباب الرحمة.

(٣) في ج: سؤال: فإن قيل.

(٤) «الخضراء» اسم من أسماء السماء، وفي الحديث: «ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذر». رواه الترمذي وقال: حديث حسن. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر رضي الله عنه (٣٨٠١). قال المناوي رحمه الله: وفيه أن السماء خضراء، وما يُرى من الزرقة إنما هو لون البُعد. التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٤٢.

قيل: لتكونَ أوفقَ للبصر؛ لأنَّ الأطبّاءَ يأمرونَ بإدمانِ النظرِ إلى الخضرةِ ليكونَ قوّةً للبصر.

قال الغزالي: وفي النظرِ إلى السماءِ عشرُ فوائد: منها أنه يُذهبُ السوداء(١)، ويفرِّقُ الهمّ، ويقوِّي البصر، ويزيدُ الفكر، ويشرحُ الصدر(٢).

وأمّا خُضرتُها فقيل: من جبلِ قاف(٣)؛ لأنه من زمرُّدٍ أخضر، وهو خلفَ مغيبِ الشمس بسنة، وخضرةُ السماءِ منه.

وقيل: خضرتُها من الصخرةِ التي تحت الأرض السفلى تحت النون(٤)، وهي المشارُ إليها بقولهِ تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦].

وجعلَ الله **الشمسَ** طبّاخاً للثمارِ والفاكهة، ولولا الشمس ما نبتَ زرعٌ ولا خرجتْ فاكهة(٥)، وجعلها تطبخُ من فوق، والناسُ يطبخونَ بالنارِ من تحت.

وجعلَ القمرَ صبّاغاً لسائرِ ألوانِ الفاكهة.

وجعلَ الله في الشمسِ خواصَّ تذبلُ الورد(٦)، وتجفِّفُ القصبَ والورق، وتجمِّدُ الملح، وترطِّبُ بدنَ الإنسانَ إذا نامَ في الشمس، وتجعلُ الماءَ حارّاً، والبطِّيخَ الحارَّ بارداً(٧)، وتبيِّضُ الثياب، وتسوِّدُ وجوهَ القصّارين(٨).

فهذه من لطائفِ صُنعه.

---

(١) في أ: السوء.

(٢) في ب، جـ: ويقوي البصر، وزينة للناظرين، وعندك الانشراح بقدر ما في بيتك من السماء.

(٣) جبل وهمي يحيط بالأرض.

(٤) يعني الحوت، في أ: الثور. وهو من التدليلات الخرافية التي وقعت في بعض كتب التاريخ والتفسير.

(٥) في أ: ما طلع زرع ولا طلعت فاكهة.

(٦) في ب: الورق.

(٧) في أ: والطبيخ حاراً.

(٨) هم الذين يبيِّضون الثياب.

ثم إنه سبحانه جعلَ في **القمرِ** خواصَّ: يصفِّرُ لونَ من نامَ فيه ويُثقلُ رأسه[1]، ويسوِّسُ العظام، ويقطعُ ثيابَ الكتّان.

قال النيسابوري: وجعلَ الله الشمسَ قَدْرَ الأرضِ اثنتي عشرةَ مرَّة، وقيل: مائةً وستِّينَ مرَّة.

وجعلَ مسيرها من السنةِ إلى السنة، فترجعُ في السنةِ إلى المنزلِ الذي ابتدأتْ منه السير.

وتكونُ في الشتاءِ أسفلَ البروج، وفي الصيفِ في أعلى البروج.

ولا تجتمعُ مع القمرِ في سلطانهِ لئلا يبطلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه.

فإن قيل: ما سببُ كسوفِ الشمسِ وإذهابِ ضوئها[2]؟

قيل: إذا أرادَ الله تعالى أن يخوِّفَ العبادَ حبسَ عنهم ضوءَ الشمس ليرجعوا إلى الطاعة؛ لأن هذه النعمةَ إذا حُبستْ لم ينبتْ زرعٌ ولم يجفَّ ثمر.

وقيل: سببهُ ما وردَ في الحديث: **أن الله تعالى ما تجلَّى لشيءٍ إلا خضع**[3]. وقد تجلَّى للجبلِ فجعلَهُ دكّاً، فإذا تجلَّى للشمسِ ذهبَ ضوؤها.

وقيل: سببُ الكسوفِ أن الملائكةَ تجرُّ الشمسَ، وهي تسيرُ بسيرِ الملائكة، لأنها جمادٌ لا حيوان[4].

قال الثعلبي[5]: إن الشمسَ إذا وقعتْ في بحرٍ أو بعضها، انتشرَ

---

(١) بدل هذا كله ورد في أ: يصفر اللون.

(٢) في ب، ج: وذهاب صفرتها.

(٣) يعني حديث النعمان بن بشير المرفوع: «إن أناساً يزعمون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء، وليس كذلك، إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا تجلَّى الله لشيءٍ من خلقه خشع». رواه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الكسوف (١٢٦٢). وضعفه في ضعيف الجامع (٢٠١٩).

(٤) كلام بلا دليل ولا علم.

(٥) هو أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق النيسابوري المفسِّر. كان متين الديانة، حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية. ت٤٢٧هـ. العبر ٢/٢٥٥.

ضوؤها بالماء[١]. والله أعلم.

وأما ما يقولهُ المنجِّمونَ وأهلُ الهيئةِ من أن الشمسَ إذا صادفتْ في سيرها القمرَ حال القمرُ بينها وبين ضوئها فباطلٌ لا أصلَ له ولا دليلَ عليه[٢].



(١) في ب، ج: وفي السماء بحر إذا وقعت فيه الشمس أو بعضها استتر ضوؤها بالماء.
(٢) بل هو الصحيح، وليس تنجيماً.



[سوادٌ في القمر]

٤٧ ـ سؤال: إن قيل: ما هذا السوادُ الذي في القمر؟

الجواب: قيل: سألَ ابن الكواء[١] عليّاً رضي الله عنه عن ذلك فقال: إنه أثرُ مسح جناح جبريلَ عليه السلام[٢]، وذلك أن الله تعالى خلقَ نورَ القمرِ سبعينَ جزءاً، وكذلك نورَ الشمس، ثم أمرَ جبريل فمسحَهُ بجناحهِ فمحا من نورِ القمرِ[٣] تسعةً وستينَ جزءاً، فحوَّلها إلى الشمس، فأذهبَ عنه الضوءَ وأبقىٰ فيه النور، فذلك قولهُ تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢][٤].

وأنت إذا ما نظرتَ إلى السوادِ الذي في القمرِ وجدتَهُ حروفاً: أولها الجيم، وثانيها الميم، وثالثها الياء، واللام ألف، فمجموعَ ذلك «جميلاً»[٥]. وقد شاهدتُ ذلك وقرأته مرَّات، فسبحان من جعلَهُ خَلْقاً جميلاً.



---

(١) لم يرد الاسم في أ.

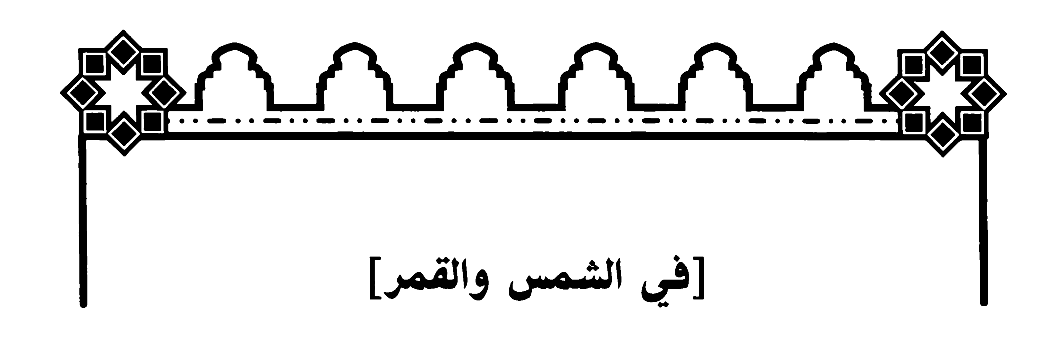
(٢) أخرجه ابن عساكر. الدر المنثور ٣٠٣/٤.

البقع المعتمة على سطح القمر هي أراض منخفضة من الصخور، ومعظم الأجزاء الرمادية الفاتحة من سطحه خشنة وجبلية... الموسوعة العربية العالمية ٣٠٩/١٨.

(٣) في ب، جـ: فمحا من القمر.

(٤) وأجزاء الشمس والقمر المذكورة أخرجها عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة في تفسير الآية المذكورة، كما نقله الإمام السيوطي في الدر المنثور ٣٠٢/٤.

(٥) في ب، جـ: واللام ألف آخر الكل مكتوب عليه جميلاً.



[في الشمس والقمر]

٤٨ ـ سؤال: الشمسُ إذا غربتْ أين تذهب؟

الجواب: قال الطُّرْطُوشي(١) في شرح الرسالة: اختلفَ في ذلك:

فقيل: يبتلعها حوت(٢)!

وقيل: ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] كما قال الله تعالى.

والحَمِئة بالهمزةِ: ذاتُ حَمْأةٍ وطين، وقُرئت «حَامية» بغيرِ همز، أي: حارَّة ساخنة.

قال الطرطوشي: وقيل: تطلعُ في سماءٍ إلى سماءٍ حتى تسجدَ تحت العرشِ وتقول: يا ربّ، إن قوماً يعصونك، فيقول الله لها: ارجعي من حيث جئت. فتنزلُ من سماءٍ إلى سماءٍ حتى تطلعَ من المشرق(٣).

وقال إمامُ الحرمينِ(٤) وغيره: لا خلافَ أن الشمسَ تغربُ عند قومٍ

---

(١) العالم الزاهد الجليل محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي المالكي، أحد الأئمة الكبار. ت٥٢٠هـ. العبر ٢/٤١٤.

(٢) هذا من الإسرائيليات.

(٣) موضوع سجود الشمس تحت العرش فيه أحاديث أورد رواياتها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٧١، والسيوطي في الدر المنثور ٥/٤٩٤، ومنه حديث رواه البخاري، هو: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨﴾. صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يس.

(٤) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي المعروف. ت٤٧٨هـ. رحمه الله.

وتطلعُ على قومٍ آخرين، والليلُ يطولُ عند قومٍ ويقصرُ عند آخرين، وعند خطِّ الاستواءِ يكونُ الليلُ والنهارُ مستويانِ أبداً.

وسُئِلَ الإمامُ أبو حامد[1] عن بلادٍ لا تغربُ الشمسُ عندهم إلا مقدارَ ما بين المغربِ والعشاءِ، ثم تطلع، كيف يصلُّون[2]؟

قال: تعتبرُ صلاتهم وصيامهم بأقربِ البلادِ إليهم [والأحسن][3].

وبه قال بعضُ المشايخ، أنهم يقدِّرون ذلك، ويعتبرونَ الليلَ والنهار، كما قال ﷺ في يوم الدجّال: **إنه كسنة وشهر، قدِّروا له**، حين سألَهُ الصحابةُ عن الصومِ والصلاةِ فيه[4].

وهذه البلدُ المسؤولُ عنها اسمها بلغار، بضمِّ الباءِ الموحَّدةِ واللامِ الساكنةِ والغين المعجمةِ والراءِ المهملة، في آخرِ أقصىٰ بلادِ الترك.

ذكرَ لي بعضُهم عمَّن أخبرَهُ أن الشمسَ إذا غربتْ عندهم من هاهنا، طلعَ الفجرُ وصارَ يمشي قليلاً ثم تطلع الشمس[5].

وبهذا **الجواب** المذكورِ يحصلُ الجوابُ عن موردٍ[6] أبداهُ القرافي[7]

---

(١) يعني الإمام الغزالي رحمه الله.

(٢) لفظه في ب، ج: وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون؟ فإنه ذكر أن الشمس لا تغرب عندهم إلا بمقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع.

(٣) زيادة من ب، ج.

(٤) يعني حديث النواس بن سمعان الطويل، وفيه سؤال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره». صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٢٩٣٧).

(٥) من قوله: «طلع» وحتى هنا، لم يرد في أ، ولفظه في ب: تطلع هاهنا طلع وصار يمشي قليلاً ثم تطلع.

(٦) في ب، ج: تردد.

(٧) الفقيه المالكي الجليل أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي، أبو العباس شهاب الدين، نسبته إلى القرافة بالقاهرة. ت٦٨٤هـ.

في قومٍ لا تغيبُ الشمسُ عندهم إلا مقدارَ الصلاة، فهل يشتغلونَ بصلاةِ المغربِ[1]، أو يشتغلونَ بالأكلِ حتى يقووا على صومِ الغداةِ إذا كان رمضان؟

وإذا علمتَ من هذه القاعدةِ أن الليلَ يقصرُ عند قومٍ ويطولُ عند آخرين؛ ظهرَ لكَ وجهُ الجمع بين الرواياتِ الواردةِ عنه ﷺ في قوله: «**ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلة إلى السماءِ الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر**». وفي رواية: «**ينزلُ الله في السماءِ الدنيا لشطرِ الليل، أو الثلثِ الليلِ الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، أو يسألُني فأعطيَهُ؛ ثم يقول: مَنْ يُقرِضُ غيرَ عديمٍ ولا ظلوم**»[2].

وقد أجابَ بعضُ العلماء بهذا الجواب، وهو أن نزولَ المَلَكِ بالنداءِ يكونُ دائماً نصفَ الليل، قال: ونصفُ الليلِ يكونُ نصفاً عند قومٍ وثلثاً عند آخرين، فلا تنافيَ بين الروايتين.

قال: والمعنى فيه؛ أن الشمسَ إذا انتصفَ الليلُ أحدثتْ في العالم حركةً بطبعها[3] وحرارتها، فلا يبقىٰ حيوانٌ نائمٌ إلا وتحرَّكَ؛ لأنها حينئذٍ تقربُ من الأرض، فإذا تحرَّكَ استيقظَ في الغالب، وإذا استيقظَ[4] تلقّاهُ المنادي ونشَّطَهُ إلى القيام إلى الطاعة، فيقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من طالبِ حاجة[5]؟

وهذه أسرارٌ غريبةٌ ومعانٍ لطيفة، فسبحان مَنْ هذا عطاؤه، وجلَّ من هذا قضاؤه.

❋ ❋ ❋

---

(١) في أ: بالصلاة.
(٢) كلتا الروايتين أخرجهما مسلم، وقد أرودهما المؤلف بألفاظ متقاربة ونقلت نصَّهما من صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١٦٨/٧٥٨، ١٧١/٧٥٨).
(٣) لم ترد الكلمة في ب.
(٤) في ب: استيقظ في الغالب.
(٥) في أ: هل من مستغفر؟ هل من سائل؟

٤٩ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أنَّ الشمسَ والقمرَ يومَ القيامةِ[(١)] يُطمسُ[(٢)] نورهما ويلقيانِ في جهنم؟

الجواب: قيل: ليظهرَ لعبدةِ الشمسِ والقمرِ أنهما ليسا آلهة؛ لأنهما لو كانا آلهةً لدفعا عن أنفسهما، ولَما ذهبَ ضوؤهما. وهذا هو حصولُ السرِّ في ذهابِ ضوئهما في دار الدنيا بالخسوف. وإنما أُلقيا في جهنَّمَ يومَ القيامةِ ليكونَ حرُّهما على من يعبدُهما[(٣)]، ولأنه يُنادىٰ يومَ القيامةِ فيُقال: من كان يعبدُ شيئاً فليتبعْهُ، فيتبعونهم إلى جهنَّم[(٤)].

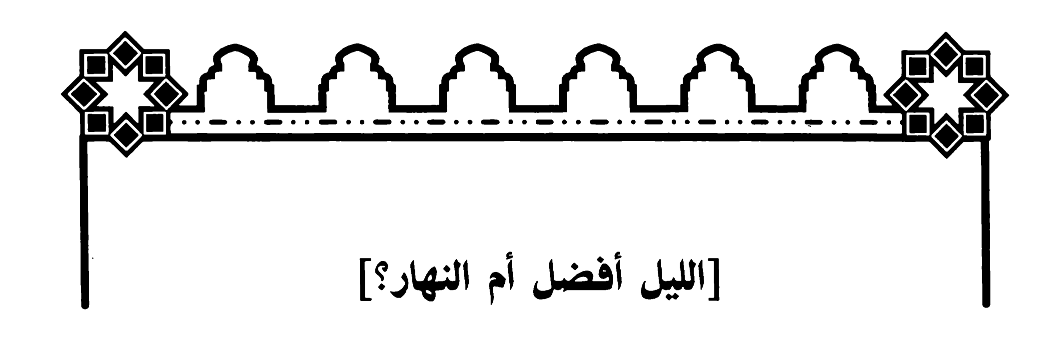


(١) «يوم القيامة» لم يرد في أ.

(٢) في ج: يظهر.

(٣) في ب، ج: ليكون حسرة على من يعبد الشمس والقمر.

(٤) في حديث طويل رواه أبو هريرة: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلعُ عليهم رب العالمين فيقول: ألاَ يتبعُ كلُّ إنسانٍ ما كانوا يعبدونه. . .». سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار **(٢٥٥٧)**.



[الليل أفضل أم النهار؟]

٥٠ ـ سؤال: هل الليلُ أفضلُ أم النهار؟

الجواب: قيل: قال النيسابوري: الليلُ أفضل **لوجوه:**

أحدها: أن الليلَ راحة، والراحةُ من الجنَّة، والنهارُ تعب[١]، والتعبُ من النار.

وأيضاً: الليلُ حظُّ الفراش، والنهارُ حظُّ اللباس.

ولأنَّ الله تعالى سمَّى ليلة هي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣][٢] وليس في الأيام مثلها.

وقيل: النهارُ أفضل، لأنه نور.

وأيضاً: لا يكونُ في الجنةِ ليل.

وأيضاً: النهارُ للمعادِ[٣] والمعاش.

فإنْ قيل: ما الليلُ والنهار؟

قيل: هما يخرجانِ من كفِّ مَلَكٍ[٤] في إحدى يديهِ نورٌ وفي الأخرى

---

(١) ورد في ب: «تعبد» هنا وفيما يأتي.

(٢) ولفظ العبارة في أ: وإن لله فيه ليلة...

(٣) في أ: للعباد.

(٤) في أ: يجريان من كفي ملك.

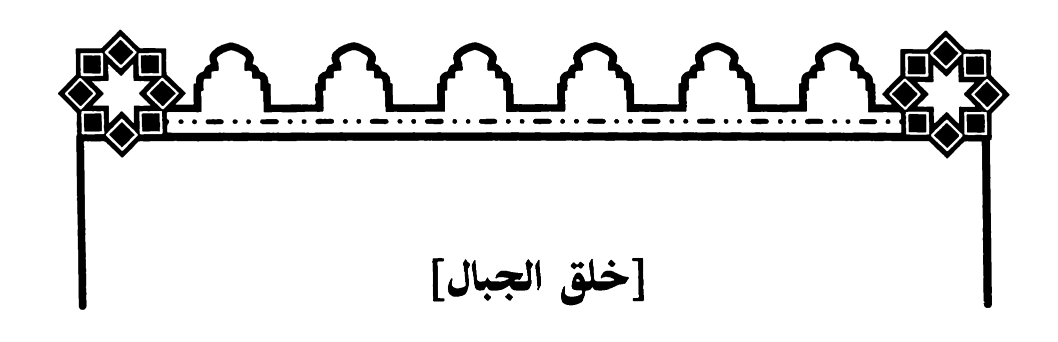
ظلمة، فيُقال: الظلمةُ دائمةٌ[1] والنهارُ يجيءُ ويذهب. قالهُ النيسابوري.

ومنه يُعلمُ أن نورَ الفجرِ ليس من نورِ الشمس[2]!



(١) في أ: وفِي الأخرى ظلمة دائمة.

(٢) هذا كله من الإسرائيليات والتأويلات الخاطئة ومن غير علم.



[خلق الجبال]

٥١ ـ سؤال: ما الحكمةُ في خلقِ الجبال؟ وهل يحتاجُ الربُّ إلى وتدٍ يوتدُ به الأرض؟

[**الجواب**]: قال: لا، بل الخلقُ احتاجوا إلى سكونِ الأرضِ فوتدها بالجبال. وفي الجبالِ خصائص:

أحدها: تجرُّ[١] البرودةَ إلى نفسها، وكذلك المياهَ والثلوج، ثمَّ تدفعهُ إلى الخلقِ بالمقادير.

وفيها الأودية.

ومنافعُ الخلق.

ومنها يستخرجُ الذهب، والفضة، والحديد، والصفر، والنحاس[٢]، والرصاص، والآنُك[٣]، والنُّورة، والجواهر، والزجاج، والمياه، والنار، والأشجار.

وهي خزانةُ الله وحصنهُ دليلاً على قدرته[٤].

وهي سجنُ الوحوشِ والسباعِ ليلاً.

---

(١) في ب، ج: تجري.

(٢) «الفضة» لم ترد في أ، ب. و«النحاس» لم ترد في أ.

(٣) الآنك: هو الرصاص المذاب، والنورة: حجر الكلس.

(٤) لا أرى هذا تعبيراً لائقاً بعظمة الله وقدرته.

ويستخرجُ منها أحجارُ الرخام[1]، والكُحل، والحجارةُ للأبنية[2]، وغيرُ ذلك.

وذكرَ الله أن في الجبالِ التسبيحَ والخوفَ والخشيةَ والخضوع[3].

ووجدَ الأنبياءُ عليها لطائف، مثلُ آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى ومحمد ﷺ.



(١) في ب، ج: الرحىٰ.

(٢) الكلمتان لم تردا في أ.

(٣) من ذلك قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨].



[شجرة طوبى]

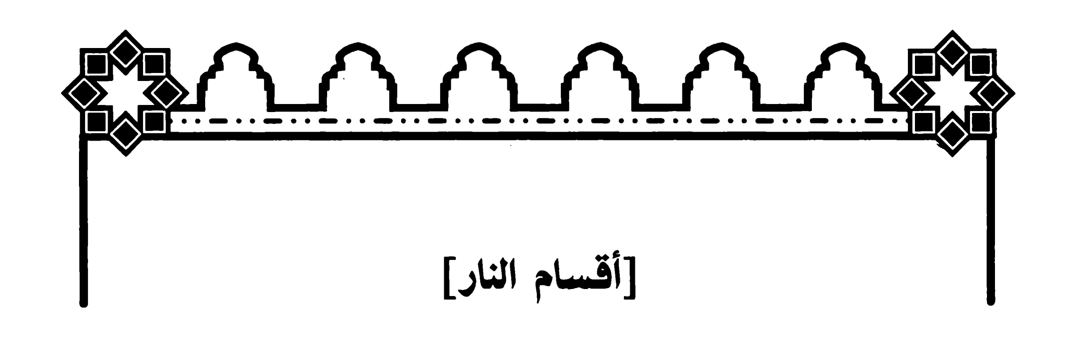
٥٢ ـ سؤال: هل أقسمَ الله تعالى بشجرةِ طوبى وسدرةِ المنتهى في القرآن؟

[الجواب]: قيل: نعم.

قال ابن عباس في تفسير: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الشعراء: ١]: ط: شجرة طوبى، س: سدرةُ المنتهى، م: محمد ﷺ(١).



(١) وروي في تأويلها غير هذا. ينظر روح المعاني ٨٧/١٩. ولا يعتمد أمثال هذه التأويلات التي قيلت في الحروف المقطعة من القرآن الكريم.



[أقسام النار]

٥٣ ـ سؤال[١]: قال النيسابوري: أقسامُ النارِ خمسة:

١ ـ نارُ الشجر؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠].

٢ ـ ونارُ الحجر؛ لقولِهِ تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ [العاديات: ٢].

٣ ـ ونارُ الحَذَر؛ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩].

٤ ـ ونارُ العِبَر؛ لقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١﴾ [الواقعة: ٧١].

٥ ـ ونارُ الحَشْر؛ لقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

فجعلَ بعضها فوق العباد، وبعضها تحتهم، وبعضها عياناً، وبعضها مخبوءاً[٢] عنهم؛ ليُستدلَّ بالشاهدِ على الغائب.

وفي الحديث: «**ناركم هذه جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نارِ جهنم، وضُربتْ في البحرِ مرَّتين**»[٣]. ـ أي غُمستْ فيه مرتين حتى صارت هكذا ـ.

---

(١) في أ، ج: فائدة.

(٢) في أ: مخبراً.

(٣) رواه البيهقي عن أبي هريرة رفعه، وبلفظ مقارب عن ابن مسعود في كتابه البعث. وهذا الذي أورده المؤلف أيضاً بلفظ مقارب، وهو إلى الأول أقرب (ينظر الدر المنثور ٧٩/١). وتكملته عند البيهقي: «ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد». وجزؤه الأول رواه الشيخان في صحيحيهما، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٤٨)، صحيح البخاري (٣٢٦٥)، صحيح مسلم (٢٨٤٣).

قال النيسابوري: يُقال: لو أُخرجَ رجلٌ من جهنَّمَ وطُرِحَ في نارِ الدنيا لنامَ فيها عمرَ الدنيا، لم يستيقظْ من وجدانِ الراحةِ فيها!

وفي النارِ ظلمةٌ وحرارةٌ، وضياءٌ وريح، وأدنى رطوبة؛ لأنها لو لم يكن فيها رطوبةٌ لما خمدت[1]، ولو لم يكن فيها ريحٌ لما التهبت، ولو لم يكنْ فيها حرارةٌ لما أحرقتْ شيئاً؛ فدلَّ اجتماعُ هذه المتضادّاتِ على جامعِ جمعها قهراً.

فالتي في الأشجارِ تنشفُ الماء.

والتي بين أيدينا تحرقُ اليابسات.

والتي في الأحجارِ لا تنشفُ ولا تحرق.

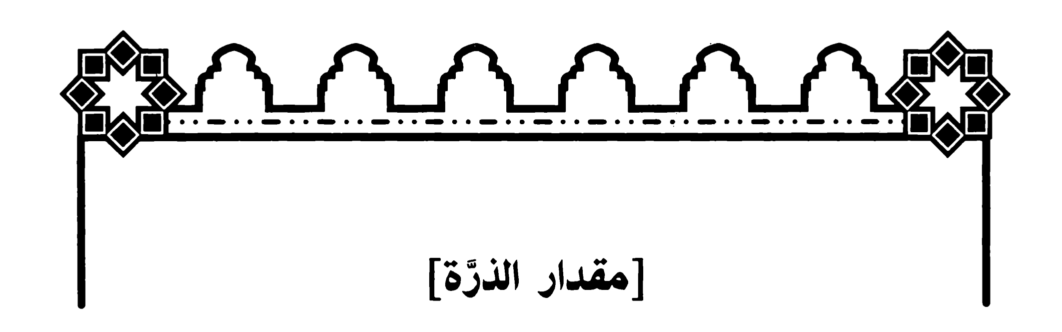
ونارُ الآخرةِ تُنشفُ وتُحرقُ وتُفسد[2].

وفي النارِ ضرٌّ ونفع، فدخانُها يضرُّ وضياؤها ينفع.



(١) في أ: جمعت.

(٢) «تفسد» لم ترد في أ.



[مقدار الذرَّة]

٥٤ ـ سؤال: ما مقدارُ الذرَّةِ التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

الجواب: قال النيسابوري: كلُّ سبعين ذرَّةً وزنُ جناحِ بعوضة، وسبعونَ جناحَ بعوضةٍ وزنُ حبَّة.





[أول طعام أهل الجنة]

٥٥ ـ سؤال[١]: ما أوَّلُ طعامٍ يأكلهُ أهلُ الجنَّة؟

الجواب: قيل: قال النيسابوري: كبدُ السمكة، والبقرةُ التي تحت الأرض[٢].

وجاءَ في الصحيحِ عنه عليه الصلاةُ والسلام: «**أما أوَّلُ طعامٍ يأكلهُ أهلُ الجنَّةِ فزيادةُ كبدِ حوت**»[٣].

قيل: والحكمةُ فيه: الإعلامُ بانقراضِ الدنيا وفناءُ ما بقيَ منها.



---

(١) هذا السؤال وجوابه لم يردا في أ.

(٢) لا بقرات تحت الأرض.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٢٩).



[خَلْقُ الإنسان]

٥٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في خَلْقِ الإنسان؟

الجواب: قوله[١] تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. أي أن أحسن صورة صورة الإنسان[٢].

وفي الإنسانِ عشرةُ أعضاء، في كلِّ عضوٍ منها عشرُ فوائد، أعلاها النفس[٣]، وأشرفها العقل، وهو في **الدماغ** في أكثرِ[٤] الأقوال، كما قالَهُ النيسابوري، وهو ألطفُ ما في الإنسان؛ لأنَّ آلاتهِ ألطفُ الأعضاء[٥].

وجعلَ الدماغَ منبتَ الأعصابِ لما عُلِمَ أنه مشرفٌ على الأعضاء، فلا يمكنُ له في كلِّ وقتِ النهوضُ من مكانه، فجعلَهُ منبتَ[٦] ما يكونُ فيه الحسَّ والحركةُ لتحرِّكَ الأعضاءَ متى شاءت، ويحسَّ[٧] المحسوساتِ دون نقلهِ وحركته.

وأيضاً رطوبةُ الأعضاءِ بما تحتها ورطوبةُ الأعصابِ بما يحدثُ من فوقها من الدماغ، فاعرفه.

---

(١) في النسخ: «وقوله» ويتبين أنه لم تكتب صيغة الجواب، بل ربط بالسؤال مباشرة.
(٢) في ب، ج: أي أحسن صورة، ويقال: تركيب وهيئة (وفي ج: هيبة).
(٣) في (أ) حرِّك بالفتح «النَّفَس».
(٤) في ج: أظهر.
(٥) الجملة الأخيرة لم ترد في أ.
(٦) في أ: يثبتِ.
(٧) في أ: للتحرك الأعضاء متى شاءت وتحس.

وأيضاً: جعلَهُ الله مدوَّراً، وليس في الأشكالِ شكلٌ أوفقُ من المدوَّر، لأنَّ ما له زوايا سريعُ الانكسار.

ولم يجعلْه عظماً واحداً، بل جعلَهُ قطعاً متجاورة، حتى لو أصابتْ واحدةً منهنَّ آفةٌ لم تتعدَّ إلى الباقي منها.

وجعلَ بين تلك العظامِ المتجاورةِ صدوعاً ليتصاعدَ البخارُ منها؛ لينقيَ البدنَ منها ويستريحَ الدماغُ من ضررها[1]، حتى يخرجَ من تحت الشعرِ ويجتمعَ في ظاهرِ الجلدِ من الرأس.

وجعلَ الرأسَ على أساسٍ وثيق، وهو العنق.

وجعلَ في الرأسِ أبواباً كالطاقاتِ يُدركُ بها القلبُ جميعَ الأشياءِ المحسوسةِ، فيُدركُ المسموعاتِ من طاقتي السمع، والمبصراتِ من طاقتي العينين، والمذوقاتِ باللسان، والمشموماتِ بالشمّ.

وهذه الأعضاءُ كالرسُلِ والحجّابِ على بابِ الملك، تبلِّغُ القلبَ ما تُدركه.

وفي **العينِ** فوائد:

أحدها: أنها تحرسُ البدنَ من الآفات.

وجعلها نيِّرةً كالمرآة، إذا قابلها شيءٌ ارتسمتْ صورتُه فيها كما يَرتسمُ في المرآة، فتدركهُ العينُ بواسطةِ ذلك.

وجعلها قابلةً لما يقابلها، يرتسمُ فيها صورةُ كلِّ شيءٍ قابلها، مع صغرِ الناظر.

وجميعُ شحمةِ العينِ تسمَّى الحدقة.

والسوادُ يُسمَّى المقلة، والذي هو كالمرآةِ ينظرُ به الإنسان، يسمى الناظر. وهو مدوَّرٌ صغيرٌ في وسطِ المقلة.

---

(١) في أ: حذرها.

وجعلَ الله تعالى العينَ سريعةَ الحركة.

وجعلَ لها أجفاناً تسترها.

وجعلَ لها أهداباً من الشعرِ كجناحِ الطائر، تطردُ بانضمامها وانفتاحها الذبابَ والهوامَ عن العين.

وجعلَ العين في الرأس؛ لأن السراجَ يوضعُ على رأسِ المنارة.

وجعلها اثنين، كالشمسِ والقمر.

وجعلها تحت الجبهة، لا من جوانبِ الوجهِ كأعينِ الدوابّ؛ ليرى الإنسانُ فوقَهُ وتحتَهُ وجوانبَهُ.

وجعلَ فوقهما حاجبينِ مقوَّسينِ أسودين؛ لئلا يتضرَّرَ البصرُ بالضياء، ولأن الذي ينظرُ في السوادِ إلى البياضِ يكونُ أحدَّ نظراً، ولذلك جُعلتِ الحدقةُ سوداء، وأهدابُ العينِ شعراً أسود، والحاجبانِ سوداً.

والنظرُ إلى الأسودِ يقوِّي النظر؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ في الإثمد: **إنه يقوِّي البصر**[1].

والنظرُ إلى الأبيضِ يفرِّقُ البصرَ ويُضعفه.

وجعلَ الحدقةَ متحرِّكةً في مكانها لتتحرَّكَ إلى الجهاتِ[2] يمنةً ويسرة، فيُبصرُ بها من غيرِ أن يلويَ عنقه.

---

(١) الذي وقفت عليه من حديث تقوية الإثمد البصر ـ دون تقصٍّ لرواياته ـ هو ما رواه ابن عدي من حديث جابر: «عليكم بالإثمد عند النوم فإنه يشدُّ البصر وينبت الشعر» من رواية سلام بن أبي خبزة البصري، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، كما قال في الكامل في الضعفاء ٣/٣٠٤. ومثله حديث ابن عباس في ٤/١٦١ دون قوله: «عند النوم» وفي سنده عبد الله بن عثمان بن خثيم المكي، وأن أحاديثه أحاديث حسان.

ولابن ماجه من حديث ابن عمر: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر ويُنبت الشعر» رقم (٣٤٩٥)، وصححه في صحيح الجامع (٤٠٥٤).

(٢) في أ: لتتحرك الجهات، وفي ج: ليتحرك الناظر إلى الجهات.

وجعلَ الناظرينَ جميعاً على خطِّ مستقيمٍ[1] عرضاً، ولم يضعْ واحداً منها أعلى ولا أخفض، ليجتمعَ الناظرانِ على شيءٍ واحد؛ لئلا يتراءى له الشخصُ الواحدُ شخصين.

وفي **الأذنينِ** فوائد:

جعلهما جاسوسينِ للقلبِ يؤدِّيانِ إليه ما يدركانهِ من السمع.

والثاني: نصبَ على طرفِ كلِّ ثقبٍ منها صدفاً ثابتاً، في داخلهِ جداولُ معوجَّة ليثبتَ فيه الصوتُ وينفذَ[2] إلى الصِّماخ، ولولا مكانُ هذه الأصدافِ لما سمعَ إلا القليل.

ولم يجعلْ أصدافَ آذانِ الحيواناتِ[3] الماشيةِ والطائرةِ ثابتة؛ لأن حاجتها إلى الاستماعِ أقلّ؛ لتمكنها من السياحةِ والطيران عند هربها.

ولما خلقَ الخُلْدَ أعمى جعلَ سمعَهُ يتعدَّى قَدْرَ بصرِ غيره، ليحسَّ من بعيدٍ فيهرب.

وجعلَ في داخلِ الأصدافِ عَرَقاً مرّاً ليمنعَ الحشراتِ والهوامَ عنها.

وجعلَ صدفَ الأذنِ أصلبَ من اللحمِ وألينَ من العظمِ لئلا يسقطَ ولا ينكسر.

ثم إنه تعالى شقَّ هذه الأصدافَ لفائدةٍ أخرى، وهي أن الرطوباتِ السائلةَ من الرأسِ تمرُّ عليها من زواياها، ولا ينصبُّ منها إلى الأذنِ ما يضرُّ بها.

وإن حاجةَ الإنسانِ إلى الاستماعِ والنظرِ أكثرُ منه إلى الكلام؛ ولهذا

---

(١) في أ: وجعل الناظر من على خط مستقيم.

(٢) في أ: وتتعدى.

(٣) في أ: ولم يجعل الأصداف آذان الحيوانات، وفي جـ: ولم يجعل أصداف الحيوانات.

خلقَ الله تعالى للإنسانِ لساناً واحداً، وجعلَ السمعَ على اليمينِ والشمالِ، يسمعُ من جوانبهِ الستَّة.

قال النيسابوري: وجعلَ الأذنَ ميزاباً للرأسِ كالأنف، يصفي ما بها من الأقذارِ والكثايف[1].

❋ ❋ ❋

٥٧ ـ سؤال: لمَ جعلَ الله للإنسانِ عينينِ وأذنينِ ولساناً واحداً؟

الجواب: قيل: لأنَّ حاجتَهُ إلى السمعِ والبصرِ أكثرُ من حاجتهِ إلى الكلام[2]. وفيه تنبيهٌ للعبدِ على أن يقلَّ من الكلامِ إلا في الخير، وأن لا يتكلمَ فيما لا يعنيه.

قيل: وهذا هو السرُّ في أنه تعالى جعل اللسانَ داخلَ الفم، وجعلَ دونه اللسانَ والشفتينِ، فلا يمكنهُ الكلامُ إلا بفتحه[3]، ليستعينَ العبدُ بإطباق شفتيهِ على ردِّ الكلام.

وقد حُكي عن عمرَ رضيَ الله عنه أنه كان يجعلُ في فمهِ حجراً ليمتنعَ من الكلامِ فيما لا يعنيه[4].

---

(١) قول النيسابوري لم يرد في أ.
ووردت الكلمة الأخير في ب، جـ: «الكتايف». ويعني هنا ما تكاثف من ماء الأنف، أي تراكب وغلظ.

(٢) جاء في جـ زيادة هذا الكلام، ولعل ناسخها وجد حاشية في إحدى النسخ فظنها من المتن، وهي: وقال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من قبل، فإنما جعل الله تعالى لك أذنين اثنين ولساناً واحداً لتسمع أكثر مما تقول.
وأنشدوا في ذلك شعراً:
يموتُ الفتى من عثرة في لسانه ... وليس يموت المرء من عثرةِ الرِّجْل
فعثرته في فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرِّجْلِ تبرأ على مهلِ

(٣) في ب: دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام إلا بفتحهما، وفي جـ: الشفتين وهما اللتان...

(٤) في أ: وقد حكي عن عمر وأبي بكر أنه كان يحمل الحجر في فمه ليمتنع من الكلام الذي لا يعنيه.
قلت: ولا دليل على هذا الكلام، ولا يقبله عقل، ولا يحتاجان إلى مثل هذا إذا أرادا ذلك، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وأما **الأنفُ** ففيه عشرُ فوائد:

أحدها: إدراكُ الأرابيح[١] الطيبةِ والمنتنة.

الثانية: يجذبُ النفسَ دائماً، سواء انطبقَ الفمُ أو انفتح.

الثالثة: يجذبُ منه فضلاتِ الرطوباتِ المتحلِّلةِ من الدماغ.

الرابعة: كيلا يصلَ إلى الدماغ[٢] ما يضرُّهُ ويؤذيهِ من غبارِ الطريق، وبخارِ فاسد، بل ينعقدُ في مجرى الأنف، ويمتزجُ برطوبةِ المارِن[٣]، ولا يتعدَّى إلى الرأس.

الخامسة: جعلَ رأسَهُ[٤] من أسفل لا من أعلى، لئلّا يمطرَ المطرُ فيه، وينزلَ فيه ماءُ الغسيلِ والوضوءِ ونحوه. وأيضاً الميزابُ ينبغي أن يكونَ رأسهُ من أسفلَ لا أعلى.

السادسة: جعلَ ثقبَ الأنفِ من الخارجِ أوسعَ من الداخلِ ليدخلَ النَّفَسُ ويخرجَ بسهولة. وحتى يخرجَ جميعُ ما فيه من الأذى ولا يبقى في باطنهِ شيء.

السابعة: جعلَ له مخرجين، بينهما عظمٌ رقيق؛ لأن الرأسَ نصفان[٥]، فيحتاجُ كلُّ نصفٍ إلى مجرى.

الثامنة: وفتحَ بينهما مجرىً إلى الحلقِ ومجرىً إلى الرأسِ ليكونَ أخفَّ لإدراكهِ المشموماتِ وأسرعَ لقبوله.

التاسعة: أنبتَ في باطنِ الأنفِ الشعرَ ليمنعَ ما يسيلُ منها ويتشبَّثَ به، فلا يخرجُ منه سريعاً إلى طرفِ المنخر.

---

(١) في أ: «الأزانيخ»! ولو جعلها «الأرياح» لكان الصحيح.
(٢) قوله: «كيلا» حتى هنا، لم يرد في أ.
(٣) المارن من الأنف ما لانَ منه.
(٤) في ج: أنفه. ويعني رأس الأنف.
(٥) في جميع النسخ: نصفين.

العاشرة: يقال: كلُّ من نبتَ شعرُ أنفهِ فقد أمنَ البِرْسامَ[1] والمضارّ.

وأمّا **الفمُ** ففيه عشرُ[2] فوائد:

أحدها: وضعهُ فوق البدنِ للتصويت؛ لأن الصوتَ إذا كان من أعلى البدنِ كان أبلغ. فالمؤذِّنُ يطلبُ لتأذينهِ أرفعَ المواضع[3].

والثانية: لإصلاحِ الغذاء، والشيءُ الثقيلُ من الأعلى إلى الأسفل أسهلُ انحداراً. والأشجارُ تَشربُ من تحت، والإنسانُ يشربُ من فوق؛ ليُعلمَ عجائبُ قدرته[4].

والثالثة: أرحيةُ[5] الدنيا يدخلُ إليها الماءُ من خارج، ورحىٰ الفمِ يدخلُ إليه الماءُ من داخل. وأرحيةُ الدنيا يدورُ[6] حجرها الأعلى على الأسفل، ورحىٰ الفمِ بعكسِ ذلك، تدورُ الأسنان السفلى على العليا[7]، والأسنانُ العليا لا تتحرَّك، إنما يتحركُ اللحيان، إلا التمساح، فإنه إذا أكلَ يدورُ فكُّهُ الأعلى على الأسفل.

الرابعةُ[8]: جعلَ في الفم أسناناً جِداداً قواطع، ومنها كواسر، ومنها طواحن، ويصيرُ الصوتُ بتقطيعها إياهُ كلاماً، وجعلها تنفذُ الغذاءَ[9] إلى الباطن.

الخامسة: جعلهُ مدركاً للأطعمةِ الطيبةِ والخشنة[10].

---

(١) هو ذات الجنب، التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.
(٢) في النسخ: عشرة.
(٣) في ج: أرفع الصوت وأرفع المواضع.
(٤) في ب، ج: صنعته.
(٥) في أ: أرضية. ويعني جمع رحى.
(٦) في أ: يدوم.
(٧) في ب، ج: يدور الأسفل على الأسنان العليا.
(٨) في ب، ج: الخامسة.
(٩) في أ: نافذة للغذاء.
(١٠) في ب، ج: للطعام الطيب والخبيث.

السادسة: أسبلَ أمامه ستراً مثل الشفةِ ذا طرفين، يضمُّهما ويفتحهما عند الحاجة، ويمتصُّ بهما المشروب.

السابعة: جعلَ الشاربَ محيطاً بالشفةِ العليا ليمنعَ ما [على الشفةِ وما][1] على وجهِ الشرابِ من الغشِّ والأذى أن يدخلَ الفمَ حالةَ الشرب، وفجَّرَ[2] في أصلِ اللسانِ ينبوعين، ومن أقصى اللَّهاةِ ينبوعاً آخرَ ليرتبطَ به اللسان.

الثامنة: جعلَ اللسانَ سريعَ الحركةِ كيلا يعيا[3]، وجعلَهُ يدفعُ الطعامَ من جانبٍ إلى جانبٍ[4] حالةَ المضغ. **وجعلَ** الفمَ معدناً للثمانيةِ والعشرينَ حرفاً.

التاسعة: جعلَ في أسفلِ اللسانِ ثقباً ينحدرُ[5] منه الماءُ المجتمعُ في فمِهِ كيلا يمنعهُ ذلك من الكلام.

فهذا من تقديرِ الملكِ العلاّم[6].

وأما **البطن**، ففيه لطائفُ من المعدة، والرئة، والكبد، والطحال، والمرارة، والكليتين، والأمعاء.

فجعلَ الطعامَ في المعدة، والدمَ في الكبد، والصفراءَ في المرارة، والسوداءَ في الطحال، والبلغمَ في الرئة، والشهوةَ في الكليتين، ومجرى الطعامِ في الأمعاءِ إلى أسفل، والبولَ في المثانة ثم يخرجُهُ بسهولة.

---

(١) زيادة من ج.
(٢) في أ: ويجر.
(٣) في ب: يقف، وفي ج: يعين.
(٤) في ب، ج: ينقل الطعام من هذا الجانب إلى هذا الجانب.
(٥) في ب: يتخذ.
(٦) لم ترد هذا الجملة في أ، وانقطع عدُّ الفقرات بعد السابعة مع القفز على عدد، ولعل العاشر منها قوله: «وجعل الفم معدناً للثمانية والعشرين حرفاً».

وأما **المعدةُ** فهي كالقِدْرِ المنصوب، والكبدُ على يمينها، والطُّحالُ[1] من تحتها، وهما كالحطبِ له.

والمعدةُ لها منفذان[2]: أحدهما من فوق، والآخرُ من تحت، ويُحفظُ الطعامُ فيما بين ذلك من كلِّ عرقٍ في البدنِ ينتهي إليها.

وجعلَ **للكبدِ** مهاماً[3] ليدفعَ نصيبَ كلِّ واحدٍ إليه، فيدفعُ الحرارةَ إلى الكبد، والرطوبةَ إلى الرئة، والزهومةَ[4] والدسمَ إلى المخِّ، واليبوسةَ والخشونةَ إلى العظم، واللِّينَ إلى اللحم، والدمَ إلى العروق، والشدَّةَ إلى الأعصاب، والرقَّةَ إلى الشعر، والوسخَ إلى الجلد[5].

والدماغُ معدنُ العقل، والقلبُ معدنُ الصرامة[6]، والرئةُ معدنُ النَّفَس، والبكاءُ والغضبُ موضعهما[7]، والطحالُ معدنُ الضحك، والفَرْحُ والمرارةُ معدنُ الحزنِ والغم[8]، والكُليتانُ[9] معدنُ الرأفةِ والرحمة، فما يدخلُ المعدةَ يغلي فيها فيصيرُ دماً وثُفْلاً[10] ولطفاً، فتوصلُ اللطائفَ إلى العروقِ التي تنتهي إليها فيحدِّرُ[11] الكبدُ الدمَ ويخرجُ الثُّفْلُ من الثقب.

فهذا من لطيف صنعه.

---

(١) في أ: الطعام.
(٢) في ج: وللمعدة رأسان، وبياض مكان الكلمة الأخيرة في أ.
(٣) في الأصول: «الكبد» تليها كلمة غير واضحة، والمثبت أقرب رسم إلى (أ)؟
(٤) الزهومة: الشحم.
(٥) في ج: إلى الجلد للبدن.
(٦) في أ: الضرامة.
(٧) لم ترد في أ.
(٨) في أ: والفرح والمرارة معدن الخوف والغم.
(٩) في النسخ الثلاث: والكليتين.
(١٠) في ب، ج: التفل: وهو البصاق. وورد في أ: «ثقلاً»، هنا وفيما يأتي. والثفل: ما يتبقىٰ من الشيء.
(١١) في أ: فيصير دماً وتفلاً فتحدر. وفي ج: يحذر.

وأما **القلب**، ففيه فوائدُ:

منها: أنه جعلهُ أشرفَ الأعضاء.

وقد قيلَ: إنه عالَمٌ على حِدَته؛ لكثرةِ ما فيه من الخصالِ العجيبة.

وخلقَهُ من أصفىٰ قطرةٍ تكونُ في ظهرِ الإنسان.

وجعلَهُ محلاً للعروقِ الضوارب(١)، التي لولاها لما أمكنَ الإنسانَ الحركةُ السريعة.

وجعلَهُ معدناً للعقلِ والمعرفة.

وجعلَهُ في أعلى الفمِ(٢) من البطن، وهو النصفُ الأعلى.

وجعلَ موضعَهُ أحسنَ المواضع، كالصدر.

وجعلَهُ سريعَ الحركة، خفيَّ الفعل، يدركُ مفعولاتهِ(٣) بغتة.

وجعلَ الرئةَ له كالدِّثارِ التحتي(٤)؛ كيلا تضربهُ عظامُ الصدرِ عند حركته.

وجعلَ الرئةَ له كالمروحة لئلا تضربهُ حرارةُ الكبد.

وجعلَ للقلبِ عيناً وأذناً ولساناً، يسمعُ ويُبصرُ ويفهمُ [بها](٥).

وجعلَهُ ملكَ الجسد، **إذا صلحَ صلح، وإذا فسدَ فسد**، كما في الحديث(٦).

---

(١) في أ: والضوارب.

(٢) في ب: العمر.

(٣) في ب: يدركه مفعولاته، وفي أ: يدركه المفعولات.

(٤) «كالدثار التحتي» لم يرد في أ.

(٥) في أ: بهم، وفي ب: فيه، وفي ج: به!

(٦) قوله ﷺ: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢).

وأما **الفَرْج**، فجعلَهُ مجرى الماءِ المنحدرِ من البطنِ كيلا يبقى فيه فيُهلكَ النفس.

وجعلَ له مصفاةً مثلَ المثانةِ ليميِّزَ اللطيفَ من الكثيف.

وجعلَهُ بحيثُ ينقبضُ وينبسطُ كي يبقى فيه ما لا يحتاجُ إلى الخروج(١)، ثم يخرجُ وقتَ الحاجة.

وبه فُسِّرَ قولهُ تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨](٢).

وجعلَهُ موضعَ خروجَ الشهوة.

وجعلَ فرجَ الرجالِ كالبدر، وفرجَ النساءِ كالأرض، فقال الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وجعلَ العَذِرَة(٣) مستترةً بحيث لا يُبصرها أحد.

وجعلَهُ في النصفِ الأسفلِ من النَّفس لكي(٤) يهبطَ جميعُ ما في النَّفسِ من الشهوةِ إليه.

وجعلَ النصفَ الأعلى من الرجلِ حارّاً، والنصفَ الأسفلَ بارداً، والنساءَ(٥) على ضدِّهِ، كي يتوافقا إذا اجتمعا. فلذلك أحلَّ الله للرجلِ أربعَ نسوةٍ كي توافقَ طبائعَهُ الأربعة.

وجعلَ له خصيتينِ قوَّةً له ولشهواته. ألا ترىٰ أنَّ من أُخصيَ فليس له قوَّةٌ للعمل؟

---

(١) في ب، ج: كيلا يبقى فيه ما يحتاج إلى الخروج.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني خلقهم. تفسير ابن كثير ٤٥٨/٤. وقال العلامة الآلوسي: أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق... وإرادة الأعصاب والعروق لشبهها بالحبال المربوط بها، ووجه الشبه ظاهر. روح المعاني ٢٨٦/٢٩.

(٣) في أ: المعدة.

(٤) في أ: كيلا.

(٥) في أ: وانقاه.

وجعلَهُ يأكلُ من موضعٍ واحدٍ ويُخرجُ من موضعين؛ ليتبيَّنَ عجيبُ صنعتهِ وحكمته[1].

وأمّا **اليدانِ** فبهما يكونُ البطشُ والأخذُ والرفع، ويقومانِ مقامَ الأسلحة.

وبهما تُعملُ الصناعاتُ والحِرَفُ وما تتمُّ به المصالحُ والأشياءُ النافعة.

وهما قوَّةٌ لسائرِ الأعضاء؛ ألا ترى أن الإنسانَ إذا أرادَ زيادةً في المشي لا يتهيَّأ له ذلك إلا بتحريكِ يديه؟ والذي يشدُّ كتفَهُ[2] لا يمكنهُ المشي والعَدْو.

وكالعينينِ الثنتين، هما أكثرُ آلةِ النظر[3]، فإنْ أرادَ أن ينظرَ شخصاً من بعيدٍ يشبِّكُ بينَ أصابعه ويضعُ[4] كفَّه على حاجبيهِ ليُطالِعَ من تحتهما ما يريدُ إدراكه[5].

وإذا أرادَ استماعَ ما يبعدُ من الأصواتِ وضعَ كفَّيهِ إلى خلف أذنيهِ عند هبوبِ الريحِ وغيرِها ليسمعَ ما يريدُ استماعه[6].

وإذا عجزَ عن الإيضاحِ بمنطقهِ استعانَ بالإشارةِ بيديه.

وجعلَ إبهامَ الكفِّ منفرداً عن جميعِ الأصابع، ومقابلاً لكلِّ واحدٍ منهما، ليمسكَ بطرفهِ وأطرافِ تلك الأصابعِ ما يريده، وأعطاهُ من القِصَرِ والقوَّةِ والغلظِ نحوَ قوَّةِ الأصابعِ الأُخَر.

وجعلَ عظامَ الأصابعِ قطعاً متجاورةً مربوطةً بأعصابٍ مكسوَّةٍ بلحوم،

---

(١) في أ: لتستبين عجائب قدرته.

(٢) في النسخ: كتافه، وهذا بضم الكاف وجع الكتف، وبكسرها ما شُدَّ به من حبل ونحوه.

(٣) هذا في ج، وفي أ: كالعينين اللتين أكثر النظر، وفي ب: الثنتين كما أكثر النظر.

(٤) في أ: وصفح، وفي ب: ويصفح.

(٥) في أ: حاجبه فينظر من تحت ما يريد إدراكه.

(٦) سقطت الكلمة الأخيرة من أ.

ملبوسةٍ بجلود، لكي تصلحَ لممارسةِ أنواعِ الأجسام، وتصلحَ للقبضِ والبسط.

وجعلَ بعضَ الأصابعِ أدقَّ من بعضٍ وأقصر، وبعضَها أغلظَ وأطول، كي تنعقدَ وتنحنيَ وتنضمّ، ولا يسيلَ ما تقبضهُ من الأجسامِ السائلةِ والصغار كالحبوبِ وغيرها.

وجعلَ أطرافَ الأصابعِ من الأظفار[1]، والتي هي بين الصلابةِ واللِّين، لتصلحَ للإمساكِ والقلعِ والقطعِ وحكِّ الجسم.

وجعلَ حركاتِ اليدينِ إلى الجانبِ الأيسرِ أسهلَ وأيسرَ من الجانبِ الأيمن[2]؛ لأنَّ حاجةَ البدنِ[3] في دفعِ الأذى أكثرُ من الجانبِ الأيسر.

وجعلَ أصابعَ اليدِ من علامةِ[4] الصلواتِ[5] الخمس.

وجعلَ بُعْدَ ما بين[6] كل اثنينِ منها علامةً لأوقاتِ الصلاة. إلى آخرها.

هذا كلُّهُ من كلامِ النيسابوري رحمه الله.

قال: وأمّا **الرِّجْلان**، فإنَّ الله خلقَ الإنسانَ أشرفَ الحيوانات، وجعلَهُ منتصبَ القامة، واقفاً وماشياً وجالساً على رجليهِ دون يديه؛ ليصرفهما في الحالات ويستعملهما في المنافع.

وجعلَ لكلِّ واحدٍ من رجليهِ قدماً طويلةً ثخينة[7]، وقدَّمَ المفصلَ من

---

(١) «من الأظفار» سقط من أ.
(٢) في ب: الأول.
(٣) في ج: اليدين.
(٤) في أ، ج: اليدين علامة.
(٥) في ب، ج: الصلاة، وفي ج: للصلوات.
(٦) في أ: وجعل ما بين.
(٧) في النسخ: طويلاً ثخيناً.

قدميهِ أمامَهُ لما عُلمَ أنَّ تصرُّفَهُ وانتقالاته تجيءُ أمامه[1]؛ ليأمنَ العثراتِ والسقطاتِ في مشيه.

وجعلَ الجانبَ الأيسرَ من كلِّ قدم أثخنَ وأصلب[2]، لأنَّ معظمَ ثقلِ البدنِ عليه[3] وميلهُ إذا[4] مشى، عندمَّا يرفعُ إحدى رجليه ويتّكئ على الأخرى.

وجعلَ لكلِّ قدم أخمصاً محدودباً ليكونَ[5] ثباتهُ في الأماكنِ المعوجَّة، وجعلَ لكلِّ قدمٍ منهما أصابعَ قصيرةً لتكونَ واقيةً[6] له من الآفاتِ إذا مشى، ويقدرَ على طلوعِ الجبال، ويشمِّرَ الثيابَ إلى أعلى المناكب[7].

وجعلَ الفُرجَةَ التي بين الإبهام وبين سائرِ الأصابعِ أوسع؛ ليمكنَهُ القبضُ على الأرضِ عند الترقِّي، ويأمنَ معها السقوطَ [والانزلاق][8].

وجعلَ انحناءَ الركبتينِ في الإنسانِ نحو أمامهِ ليمكنَهُ القعودُ والتربُّع، ويستفيدَ بجلوسهِ التمكُّنَ من استعمالِ الصناعاتِ بيديه.



---

(١) في ب، جـ: أن تصرفه دون انتقالاته نحو أمامه، وورد في (أ) انفعالاته بدل انتقالاته.

(٢) في ب: وأصلح.

(٣) في أ: لأنه معظم ميل البدن عليه.

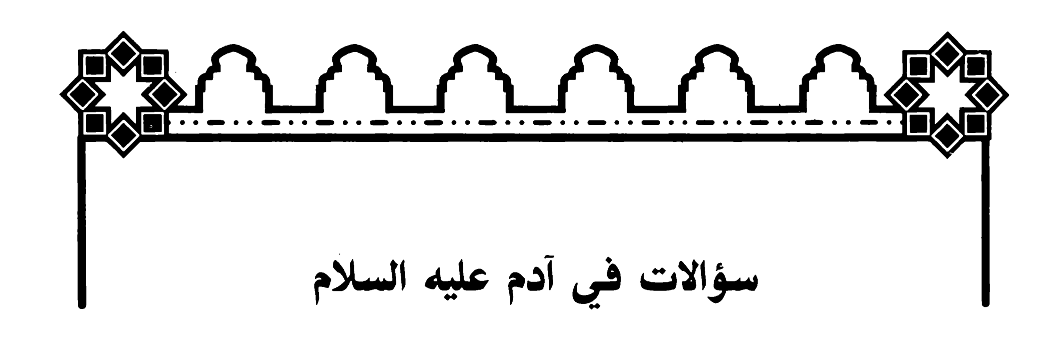
(٤) في ب: إلى إذا.

(٥) في ب: محدوداً بالتكون.

(٦) من قوله: «ثباته» حتى هنا سقط من ب.

(٧) في ب، جـ: على تشمر [وفي جـ: تشمير] طلوع الجبال والثبات على الأماكن.

(٨) في ب، جـ: «التراق»، وفي أ: الراق. والمثبت بين المعقوفتين من قبل المحقق.



سؤالات في آدم عليه السلام

٥٨ ـ سؤال: لِمَ خلقَ الله آدمَ من الترابِ دون غيره؟

ولِمَ خلقَ حوّاءَ من الضِّلعِ دون غيره؟

ولِمَ سمّيتْ حوّاء؟

الجواب: قيل: إنه لم يكنْ قبل آدمَ شيءٌ إلا التراب، فخلقَهُ منه، ثم خلقَ حوّاءَ من آدمَ لأنه أرادَ أن يكونا من جنسٍ واحد، وأرادَ أن يكونَ آدمُ أصلَ الجنس.

وأيضاً: أرادَ أن يخلقَ خلقاً مختلفاً ليدلَّ على قدرته، فخلقَ واحداً من التراب، وواحداً من العظم، وواحداً من الريح، وواحداً من الماء، وواحداً من النار؛ فبيَّنَ[١] عجائبَ لطفه، إذ خلقَ واحداً من أبٍ دون أمّ، وآخرَ من أمٍّ دون أب، وآخرَ من أبٍ وأمّ، وآخرَ من غيرِ أبٍ وأمّ[٢].

وخلقَ حواءَ من **الضِّلع**[٣] ليُعلَمَ أنهنَّ خُلقْنَ من **العوج**، فلا يُطْمَعُ في تقويمهنَّ.

وسمِّيتْ حوَّاءَ لأنها خُلقَتْ من حيّ[٤].

---

(١) في أ: ومن.

(٢) في أ: من غير أبوين.

(٣) في ج: من العظم أي من الضلع.

(٤) قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن=

ويُقال: لأن في دقتها حُوَّة[1].

ويُقال: لأنها أمُّ كلِّ حيّ.

ويُقال: هو اسمٌ موضوع. قاله النيسابوري.

❊ ❊ ❊

٥٩ ـ سؤال: لمَ أعطى مُلْكَ الدنيا للملائكةِ ثم نقلَهُ إلى آدم؟

الجواب: قال النيسابوري: قيل: إن ذلك من فضيلةِ آدم؛ لأنَّ من أُجلسَ على مقامِ الأميرِ ليس كمن أُجلسَ على مقامِ الخليفة.

وقيل: ليظهرَ عذرُ بني آدم[2]، وذلك أن الله تعالى علمَ أنهم يميلونَ إلى الدنيا، لأنهم خُلقوا منها، فقال: لا عتبَ[3] عليهم، لأن الملائكةَ لم يُخلقوا منها. فلمّا سكنوها اطمأنُّوا إليها.

وأيضاً: ليترحَّموا على المعزولين[4]؛ لأنَّ من لم يذقْ مرارةَ العزلِ لم يذقْ حلاوةَ الولاية.

وفي الخبر: إذا ماتَ المؤمنُ على الإسلام، تقولُ الملائكة: كيف نجا هذا من دنيا فسدَ فيها خيارنا[5]؟

ألا ترى أنَّ الله تعالى ابتلى يوسفَ بالسجنِ والعبوديةِ في أوَّلِ الحالِ ليرحمَ المسجونينَ والمملوكين؟

❊ ❊ ❊

= أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٣١).
وورد في أ: وخلقت حواء لأنها خلقت من شيء حي.

(١) لم ترد هذه العبارة في (أ). والحوَّة: ما خالط سواده خضرة.

(٢) في أ: عذر آدم.

(٣) في ج: عيب.

(٤) في أ: يُرحموا المعزولين.

(٥) عن عبدالعزيز بن رفيع قال: إذا عُرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة: سبحان الذي نجّى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا؟ تلبيس إبليس ٤٥/١.

٦٠ ـ سؤال: فإن قيل: لِمَ شاورَ الله تعالى الملائكة[١]؟

الجواب: قيل: ليُظهرَ السُّخْطَ الذي كان في سرِّهم.

وأيضاً: إن الله تعالى علمَ بَغْيَهم، فشاورهم لإظهارِ بغيهم[٢]، وهو إبليس، ولذلك قيلَ عند الفتنة: يتبيَّنُ مَنْ يعبدُ الرحمنَ ممن يعبدُ الشيطان[٣].

وأيضاً: أخبرهم[٤] بتخليقِ آدمَ قبل أن يخلقه، ليوطِّنوا أنفسهم على فناءِ الدنيا وزوالِ ملكوتها، كما قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

والسكنى لا تكونُ إلا على العارية، ليوطِّنَ نفسَهُ على الخروجِ من الجنَّة.

ليس هذا بمشاورة، بل هو خبرٌ أخبرهم به. قال النيسابوري: وهو أصحّ.

❋ ❋ ❋

٦١ ـ سؤال: عن إخبارِ الملائكةِ بقوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

الجواب: قال النيسابوري: قال قوم: محنةُ طاعَتِهم، وهو أنهم قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. ومحنةُ الطاعةِ بالإعجابِ شرٌّ من ذلِّ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

(٢) حاشا أن يكون بين الملائكة بغي وهم أطهار من الذنوب والعصيان، إنما كان «البغي من نفس إبليس» كما أورده السيوطي في الدر المنثور ١/٩٥. وحتى القول بأن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة... كما ورد في المصدر السابق ١/٩٣ لا يسلم أسلوب المؤلف في التعبير من القدح.

(٣) في أ: من يعبد الرحمٰن بعد الشيطان، ولم ترد الكلمات الثلاث الأخيرة في ج.

(٤) في ب: خلقهم!

المعصيةِ مع الإذلال. ومن كان لله في أمرهِ عنايةٌ أوقعَهُ أولاً في زلَّة، ثم في طاعته، حتى يفرَّ من زلَّتهِ إلى نفسه، ثم من نفسهِ إلى ربِّه، مثلُ آدم، اشتغلَ بالافتقارِ فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. ومن لم يكن للّهِ في أمرهِ عنايةٌ أوقعَهُ أوَّلاً في الطاعة، ثم في الزَّلة، ثم إذا رأى الطاعةَ فأعجبَ بها هلك.

وقيل: كانت جرأتهم بقضاءِ الله تعالى عليهم.

وقيل: لانبساطهم مع الله تعالى؛ لأنهم كانوا أحبّاءه؛ فانبسطوا. ولذلك قيل: تقرَّبْ إلى البساط، وإياك والانبساط!

فإن قيل: هل علموا الغيبَ حتى تكلموا بذلك؟

قال النيسابوري: قال بعضهم: كان لهم التجربة.

ويُقال: كان لهم علمُ الفراسة، بقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥].

ويُقال: قالوهُ ظنّاً فتحقَّق.

وقيل: قالوهُ على طريقِ الاستفهام.

ويُقال: أخبرهمُ الله تعالى قبل ذلك بأن أولادَهُ يفعلونَ[١] كذلك.

ويُقال: كان ذلك جهلاً منهم؛ لأن آدم لم يُفسدْ في الدنيا، وإنما أكلَ من الشجرةِ في الجنَّة.

وقال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم يقلْ: «خَلَفاً». ولم يأتِ الفسادُ من آدم، بل جاءَ من أتباعه.

وقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، لأن رئيسكم تكبَّرَ عليَّ فطردتَهُ[٢]، فأعزلكمْ لأجله، ولو يجيءُ[٣] فسادٌ من أتباعِ آدمَ أغفره؛ لحرمةِ رئيسهم، لأنه تواضعَ وافتقر.

---

(١) في ب، ج: أولادهم يفعلوا.

(٢) هذا على قول بعضهم إن كان من حي من أحياء الملائكة كما سبق في هامش ماض.

(٣) في أ: وإن يجئ.

ويُقال: لأنهم اطَّلعوا في اللوح المحفوظِ فرأوا فيه ما كُتِبَ على ابنِ آدم، فلذلك قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

ويُقال: هذا قياسٌ قاسوه، فقالوا: ما هذا الخليفة؟ يكونُ مطيعاً مثلنا، أو مفسداً مثلَ الجنّ؟ فقال الله تعالى: لا مثلكم ولا مثلَ الجنّ.

ثم قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ولم يكنْ لهم بذلك منّة، لأنهم خُلقوا للعبادةِ والعمل، وبنو آدمَ جُبلوا على الشهوة.

فأما قولهُ تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أنكم تسفكون الدماءَ في جوارِ رئيسكم، بقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].

وأيضاً: إنَّ منكم من استكبرَ(١) في الطاعةِ وهم تواضعوا في المعصية، ومعصيتهم بالافتقارِ(٢) أحبُّ إليَّ من طاعتكم مع الافتخار(٣). ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي: معصيةٌ أفتقرُ بها إليك أحبُّ إليَّ من طاعةٍ أفتخرُ بها عليك.

وأيضاً: إني أحبُّهم على الحقيقة.

وأيضاً: إني أعلمُ أنكم أعملُ وأنهم أعلم، والعالمُ أفضلُ من العاملِ بخمسةِ أشياء(٤):

- **أحدها**: أن العلمَ قد يكونُ بغيرِ عَمَل، ولا يكونُ العملُ عملاً بغيرِ علم.

- **والثاني**: مقامُ العلماءِ مقامُ الأنبياء، ومقامُ العملِ(٥) مقامُ الأولياء.

- **والثالث**: العملُ لازمٌ والعلمُ متعدٍّ، كالسِّراج.

---

(١) في أ: استكبر استكبرتم.
(٢) في ب، جـ: في الافتخار.
(٣) في أ: من طاعتكم بالتكبر.
(٤) المعدود منها أربعة.
(٥) في هامش أ: بيان: الظاهر أنها «العامل».

ـ **والرابع**: ينفعُ العلمُ بغيرِ عمل، ولا ينفعُ[1] العملُ بغيرِ العلم.

ـ **وأيضاً**: العملُ منّا والعلمُ من الله.

وأيضاً: إني أعلمُ أن لي عنايةً بهم في أمرهم، وعنايتي تنفعُ بغيرِ العبادة.

❋ ❋ ❋

٦٢ ـ سؤال: لمَ أَخرجَ آدمَ من الجنَّةِ بذنبٍ واحد؟

الجواب: قال النيسابوري: لأنه كان أمرَهُ أمراً واحداً فتركه، وأُمرنا أوامرَ كثيرة، فإنْ قصَّرنا في واحدٍ أدَّيْنا الباقي.

وأيضاً: فإنَّه كان في دارٍ مع جيرانٍ مطيعين[2]، والدارُ هي الجنَّة، والجيرانُ هم الملائكة، وخطابهُ من الله تعالى. وأنتع يا مؤمنُ في دارٍ مع جيرانٍ مخالفين، وهم الشياطين، والدارُ هي الدنيا، والخطابُ من الرسل.

وأيضاً: ليس من عصى على بساطِ القربةِ كمن عصى على بساطِ المحنة[3].

وسألَ إبراهيمُ عليه السلامُ ربَّهُ فقال: يا ربِّ لمَ أخرجتَ آدمَ من الجنَّة؟

فقال له: أما علمتَ أن جفاءَ الحبيبِ شديد؟

وأيضاً: أخرجَ آدمَ من الجنَّةِ لأن الجنَّةَ ليستْ بدارِ توبة، فأرادَ بإخراجهِ[4] أنْ يأتيَ الدنيا فيتوب، ثم يعيدهُ[5] إلى الجنَّة.

ويُقال: فيه إشارة، وهي أنَّ الله تعالى قال: لو غفرتُ في الجنَّةِ لما

(١) ورد في أ: «يقع» بدل «ينفع» في الموضعين.
(٢) في ب، ج: موافقين.
(٣) في ج: القرب... المحبة.
(٤) هذه الكلمة وردت في (أ) فقط.
(٥) في ب، ج: يرده.

تبيَّنَ كرمي بأنْ أغفرَ لنفسٍ واحدة، بل أُخرجهُ إلى الدنيا وآتي بمائةِ[1] ألفِ عاصٍ حتى أغفرَ لهم وله، ويعرفَ العبادُ جودي وكرمي[2].

وأيضاً: علمَ أنَّ في أصلابهِ أولاداً، والجنَّةُ لسيتْ بدارِ توالد.

وأيضاً: ليُخرجَ من ظهرهِ في الدنيا الذين لا نصيبَ لهم في الجنَّة[3].

***

٦٣ ـ سؤال: لمَ نهاهُ عن أكلِ الشجرة؟

الجواب: قال بعضهم: ليكونَ منه الامتناعُ طاعة.

ويُقال: لما علمَ أنه يأكلُ نهاه؛ ليكونَ أكلهُ معصية، ليظهرَ معلومهُ المستقبل[4].

***

٦٤ ـ سؤال: لمَ لمْ يُعاقبْ حوَّاءَ قبلَ آدمَ لأكلها من الشجرةِ قبله؟

الجواب: قيل: لو عاقبها لم يأكلْ آدم، ولم يتبيَّنْ علمُ الله في ذلك.

وأيضاً: صرفَ العقوبةَ عنها ببركةِ آدم، فلمّا وافقها آدمُ عاقبهما جميعاً.

قال ﷺ: «**إن الله لا يهلكُ الرعيَّةَ وإن كانتْ ظالمة، إذا كانتِ الأئمةُ هادية**»[5]. وآدمُ كان هادياً، وحوَّاءُ كانت رعيَّة.

***

---

(١) في أ: بين مائة.

(٢) في ب، ج: حتى أغفر لك ولهم ليتبين كرمي وجودي.

(٣) هذا السطر وسابقه لم يردا في أ.

(٤) لم ترد الجملة الأخيرة في أ.

(٥) هكذا أورد لفظه المؤلف، وهو بلفظ: «لن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة سيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية، ولن تهلك الرعية وإن كانت هادية مهدية إذا كانت الولاة ظالمة مسيئة». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات (٥٤)، وأبو نعيم في فضيلة العادلين، وأورده في لسان الميزان ٢٨٨/٣ مشيراً إلى ضعفه، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨/٢.

٦٥ ـ سؤال: لمَ قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ولم يقل: وعصى آدمُ وحوَّاء؟

الجواب: قيل: قال ابن الجوزي: لأنَّ حوّاءَ كانتْ حرمةً لآدم، وسترُ الحرم من الكرم.

❋ ❋ ❋

٦٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أن سائرَ الأشجارِ يخرجُ ثمرها في كمَّام أولاً، ثم تظهرُ الثمرةُ من الكمّامِ ثانياً، وشجرُ التينِ أولَ ما يبدو ثمرهُ يبدو بارزاً من غيرِ كمّام؟

الجواب: قيل: لمّا عصى آدمُ لم يسترهُ من الشجرِ إلا شجر التين، فقال الله تعالى: بعدما سترتَ آدمَ أخرجُ منك المعنى مع الدعوى، وسائرُ الأشجارِ يخرجُ منها الدعوى قبل المعنى. قاله النيسابوري.

❋ ❋ ❋

٦٧ ـ سؤال: ما الحكمةُ في تخليقِ آدم قبل خلقه[(١)]؟

الجواب: قيل: خلقَهُ لعشرةِ أشياء:

- ليكونَ خليفةً في الأرض.
- ولبيانِ فضيلةِ العالمِ على العابد.
- ولامتحانِ الملائكةِ بالسجودِ له.
- ولبيانِ خطأ[(٢)] الملائكة؛ لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].
- ولتحقيقِ قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].
- ولإظهارِ آثارِ الألوهيةِ في الأرض.

---

(١) في أ: خلقته. ولم ترد «قبل خلقه» في ب.
(٢) في أ: حصر.

- ولامتحانِ إبليس، ليظهرَ منه ما علمَ الله عنه.
- ولإخراجِ الأنبياءِ والأولياءِ من صلبه.
- ولإصلاحِ الأرضِ بعد فسادها.
- ولظهورِ محمد ﷺ على وجهِ الأرض.

فذلك قولهُ تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

❋ ❋ ❋

٦٨ ـ سؤال: ما الحكمةُ في تصويرِ آدمَ أربعينَ عاماً، وقيل: أربعينَ يوماً[١]، قبل إدخالِ الروحِ فيه[٢]؟

الجواب: قال أهلُ الإسلام: ليُظهرَ إبليسَ بالحقارةِ حين[٣] لم يسجدْ له.

ويُقال: ليكونَ دليلاً على التأنّي في الأمور، ليتأنّى العبادُ في أفعالهم التي يقصدونها ولا يستعجلون.

وكما أنه تعالى خلقَ السماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيام، مع كمالِ قدرتهِ على إيجادها بقوله: كن.

وقيل: إنه لم يوحَ إلى نبيٍّ من الأنبياءِ إلا بعد الأربعينَ، فتركَهُ مصوَّراً في هذه المدَّة.

❋ ❋ ❋

٦٩ ـ سؤال: ما الحكمةُ في إخراجهِ من الجنَّة؟

الجواب: قال بعضهم: لعشرةِ أشياء:

---

(١) «وقيل أربعين يوماً» لم يرد في ب، ج.

(٢) ورد بعده في ب، ج فقط: قالت المنجمون: ليدور عليه الدور والمدبرات [وفي ب: المديرات] السبع.

(٣) في أ: لينظره إبليس بالحقارة حتى.

فإنَّ الله غيَّرَ عشرةَ أشياءَ على عشرةِ أنفسٍ من شؤمِ المعصية:

الاسمَ على إبليس، وعلى يونس عليه السلام[1]، والصورةَ على قومِ داود، واللونَ على النباتِ والأرضِ من شؤم قابيلٍ، وعلى ابن نوحٍ لعقوقه، والصوتَ على داود، والقلبَ على ثعلبة[2]، والدِّينَ على برصيا وبلعام بن باعوراء، والعلمَ على أمية بنِ أبي الصلت، قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥][3]. واللسانَ على من أُخرسَ من شؤم العقوق، والمالَ على أنوشروان وأبي قطروس[4]، والمكان على آدمَ[5] وقارون[6].



(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

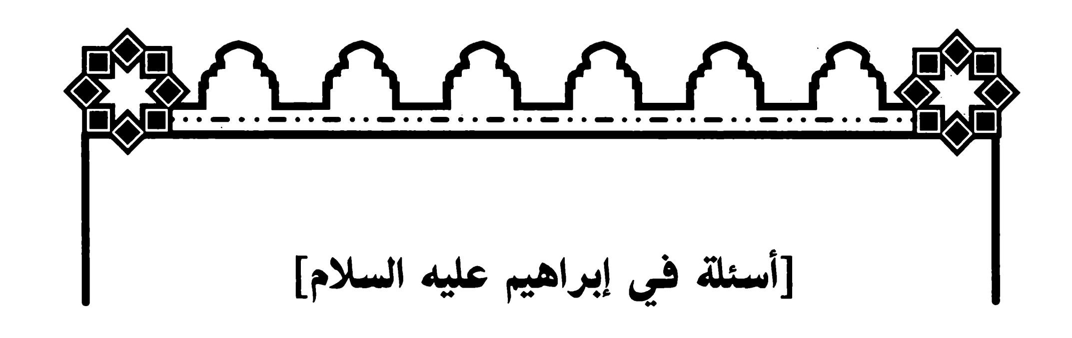
(٢) في ج: تقلبه.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]. وهذا أحد الأقوال في أن الآية نزلت فيه (ينظر الدر المنثور ٢٦٦/٣). وكان أمية شاعراً جاهلياً حكيماً، شهد أن الرسول ﷺ على حق، ولما قتل أحد أقربائه في غزوة بدر امتنع عن الإسلام، ومات سنة ٥هـ.

(٤) في ج: مطرس.

(٥) في ب: إرم.

(٦) لم ترد كلها في أ.



[أسئلة في إبراهيم عليه السلام]

٧٠ ـ سؤال: لَمَ اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلا[١]؟

الجواب: قيل: لأنه لم يتغدَّ ولم يتعشَّ إلا مع الضيف.

ويُقال: سمّاهُ خليلاً لأنه سلَّمَ نفسَهُ إلى النيران، ومالَهُ إلى الضيفان، وولدَهُ إلى القربان، وقلبَهُ إلى الرحمٰن.

وقيل: إنه لم ينظرْ ببصرهِ إلى غيره.

وقيل: سمّي خليلاً لأنه لقمَ كافراً لقمة، فأوحىٰ الله تعالى إليه: تلقمُ عدوِّي وعدوَّك؟ فقال: يا ربِّ، تعلمتُ منك.

وقيل: سُمِّيَ خليلاً لأن الملائكةَ حين أضافهم قالوا: لا نأكلُ طعاماً إلا بثمن. قال: معكم ثمنهُ فكلوه. قالوا: وما هو؟ قال: التسميةُ عند ابتدائه، والحمدُ لله عند انتهائه. فقالوا: سبحان الله! يحقُّ لك أن يتَّخذكَ الله خليلاً.

❋ ❋ ❋

٧١ ـ سؤال: لَمَ أجابَ الله إبراهيم عليه السلام في إحياءِ الموتى، ولم يُجبْ موسى عليه السلام في طلبِ الرؤية؟

الجواب: قيل: لأنَّ موسى سألَ الرؤيةَ على الأمنية، أمنيةِ نفسه[٢]، وإبراهيم سألَ على بساطِ الحجَّةِ ليحتجَّ به على أعدائه.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

(٢) «أمنية نفسه» لم ترد في ب، جـ.

ويُقال: إن إحياءَ الموتى من أعدادِ المعجزة، ويحتاجُ في دار الدنيا إلى المعجزة، وإعطاءَ الرؤيةِ من أعلى الكرامات، وأعلى الكرامات لا يجوزُ إلا في دارِ العقبى.

❋ ❋ ❋

٧٢ ـ سؤال: لمَ أُشْرِكَ إبراهيمُ مع محمدٍ ﷺ في الصلاةِ عليه؟

الجواب: قال بعضهم: لأنه دعا لنا ولم نكن نحن، فجعلَ ذلك مكافأةً له. وقد دعا لنا رسولانِ فكافأهما الله عنّا:

أحدهما: نوح، حيث قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]. فجعلَ الله مكافأتَه السلام، حيث قال: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨][١]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩].

وإبراهيم دعا لنا فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]، فكافأهُ الله بأنْ أمرنا بالصلاةِ عليه وقال: ضمُّوهُ مع النبيِّ ﷺ في الصلاة؛ لأنه كان خليلَ الله، ومحمدٌ حبيبُ الله، فقرنَ اسمهما في الصلاة، لأن الحبيب يجبُ أن يذكرَ أحبّاءه وأخلاءه[٢].

قال النيسابوري: لأنه سألَ بعثَ نبيِّنا بالحاجةِ[٣] فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قال: **وأيضاً**: إبراهيمُ رأى في المنام جنَّةً عريضةً[٤] مكتوبٌ على أشجارها «لا إله إلا الله، محمد رسولُ الله»، فسألَ جبريلَ عنها، فأخبرَهُ بقصَّتها، فقال: يا ربّ، أَجْرِ ذكري على لسانِ أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ،

---

(١) لم ترد الآية في ب، ج.

(٢) من قوله: «وقال ضموه» حتى هنا، لم يرد في أ.

(٣) في أ: وقيل: إنما سمي خليلاً لأنه سأل في بعث نبي يكون آخر الزمان.

(٤) في أ: جنة عن يمينه.

فاستجابَ الله دعاءه، وضمَّهُ في الصلاةِ مع محمدٍ ﷺ.

قال: **وأيضاً**: أُمرنا بالصلاةِ على إبراهيم؛ لأنَّ قبلتنا قبلةُ إبراهيم، ومناسكنا مناسكه، والكعبةُ بناؤه، فأوجبَ على لساننا ثناؤه.

❊ ❊ ❊

٧٣ ـ سؤال: لمَ سألَ إبراهيمُ ثناءً حسناً، فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤]، **وهل يكونُ طلبُ مثلِ ذلك رياءً وسمعة؟**

الجواب: قيل: سألَ إبراهيمُ الصفاتِ المحمودةَ التي يستحقُّ بها الثناء، لا الثناءَ بعينه، كما قال الأولياء: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي: أكرمنا بمناقبِ الإمامةِ التي نصلحُ لها، وكما قال سليمان: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] أي: أعطني من الأشياءِ التي لا توجبُ زوالَ النعمة[1].

والمعنى الثاني: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٨٤﴾ أي: أكرمني بأن لا أغالي في الأصدقاءِ كي لا يقعَ أحدٌ بسببي في المعصية[2]، كما قالت مريم: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، أي: قبل أن يقعَ أحدٌ في المعصيةِ بسببي؛ شفقةً عليهم.

والمعنى الثالث: أن النصارى كذبت على عيسى بن مريم حيث قالوا: إنه ابنُ الله، فيستحي يومَ القيامةِ حيث يقولُ الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. كذلك خشيَ إبراهيمُ أن يكذب عليه[3] فيستحي من الله.

---

(١) في ب، جـ: أي: احفظني من الأشياء التي توجب زوال النعمة كما وقع. قيل: هذا من زواله عنه.

(٢) في أ: والمعنى الثاني: أي أكرمني لئلا يقع أحد من أصدقائي في المعصية بسببي. وانظر الفقرة رقم (١٢٩).

(٣) في ب: أن يكون كذب عليه.

والمعنى الرابع: اجعلْ لي ثناءً[1] حسناً؛ لأنَّ المؤمنينَ شهداءُ الله، والله لا يردُّ شهادتهم.

ومعنى الصلاةِ من الله على إبراهيم: تحقيقُ الدعاءِ والإجابةِ والقبول.

وقولُكَ: صلِّ على محمد كما صلَّيتَ على إبراهيم، أي: كما أحببتَ دعاءَ إبراهيمَ فيه وفي الذرِّية، أجبْ دعاءَ محمدٍ ﷺ في أمَّته.

❋ ❋ ❋

٧٤ ـ سؤالان: أحدهما: لمَ أُمرنا باتِّباعِ ملَّته؟ والثاني: لمَ سمّاهُ أبانا؟

الجواب: قيل:

أمّا **الأول**: فلأنَّ الكفّارَ قالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦]. فقال الله تعالى: هل في آبائكم أعظمُ من إبراهيم؟ قالوا: لا. قال: فإنه كان حنيفاً مسلماً فاتَّبعوا ملَّته.

وأيضاً: فإنهم كان مقرِّينَ[2] بإبراهيم، فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] ليعلموا أنه ليس بمبتدئ، بل هو مقتد.

وأيضاً: قال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] ومعناه: ملَّةُ جميعِ الأنبياء، لأنه قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

وأمّا **الثانية** وتسميتهُ أباً؛ **فلثلاثةِ أوجه**:

أحدها: لأنه كان جدَّ العرب، والجدُّ مكانُ الأب.

والثاني: سمّاهُ أباً من طريقِ الشفقةِ على المسلمين.

وأيضاً: علقكَ على آدمَ بالولادة، وعلى نوحٍ بالشريعة، وعلى إبراهيمَ بالمِلَّة، وعلى موسى بالاقتداء، وعلى محمدٍ بالأمَّة؛ ليكونوا شفعاءَ لكَ يومَ القيامة.

❋ ❋ ❋

---

(١) في أ: أعطني ثناء.

(٢) في ج: مقتدين.

٧٥ ـ سؤال: لِمَ أُمِرَ إبراهيمُ بذبحِ ولدهِ في المنامِ ولم يأمره به في اليقظة؟

الجواب: قيل: لأنه ليس شيءٌ أبغضَ إلى الله تعالى من قتلِ المؤمن؛ فلذلك أراهُ في المنام، ورؤيا الأنبياءِ حُكم[١].

❋ ❋ ❋

٧٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أمرهِ بذبحه؟

الجواب: قال بعضهم: لأنه علقَ به[٢]؛ فأمرَهُ بقطعِ القلبِ عنه. ألا ترى إلى قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣][٣]؟

❋ ❋ ❋

٧٧ ـ سؤال: لِمَ فَداه؟

الجواب: قال بعضهم: لأنه كان في صُلبهِ نورُ[٤] محمدٍ ﷺ.

ويُقال: لبرِّهِ وطاعتهِ لأبيه، حيث قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وقيل: لغربته؛ لأن سارةَ أمرتْ إبراهيمَ بإخراجهِ من عندها.

❋ ❋ ❋

٧٨ ـ سؤال: لِمَ ابتلاهُ بالنار؟

الجواب: قيل: لأنه كان يخافُ من النار، فأراهُ الله تعالى أن النارَ لا تضرُّ شيئاً دون [إذنِ][٥] الله تعالى.

---

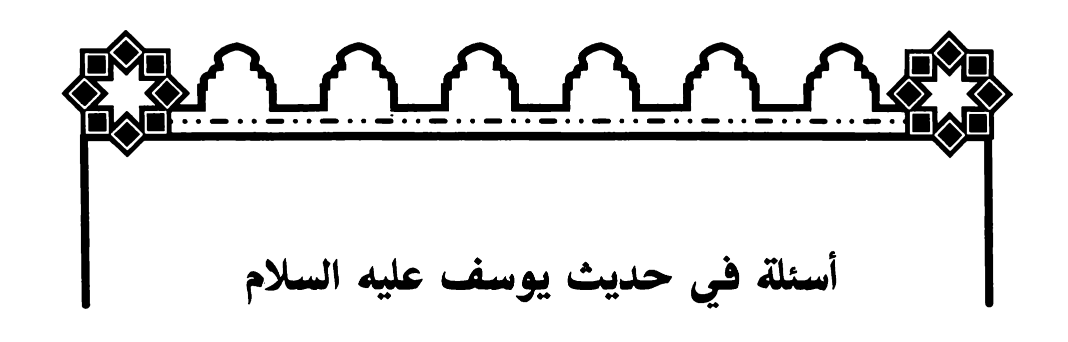
(١) في ب، ج: حكمة. وحُكم بمعنى نبوة، والحكمة تأتي بهذا المعنى أيضاً.

(٢) في أ: لأنه علق قلبه بمحبة الولد، فغار الواحد الصمد.

(٣) ومعنى أسلما: تشهّدا وذكرا الله تعالى. وقيل: أسلما: يعني استسلما وانقادا: إبراهيم امتثل أمر الله تعالى، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه. تفسير ابن كثير ١٥/٤.

(٤) في ب: لأنه كان طلبه مثل، وفي ج: لأنه كان في صلبه مثل...

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من عند المحقق لم ترد في النسخ الثلاث.



أسئلة في حديث يوسف عليه السلام

٧٩ ـ سؤال: ما الحكمةُ في ميلِ يعقوبَ ليوسفَ دون إخوته؟

[الجواب]: قال بعضهم: لأنه كان يتيماً من الأمِّ فترحَّمَ عليه.

وقيل: إن الله تعالى أرادَ ابتلاءَهُ، فحبَّبَهُ إليه[١]، ثم غيَّبَهُ عن عينه؛ ليكونَ البلاءُ أشدَّ عليه، لأنه لا كيَّ[٢] أشدَّ من كيِّ الولد.

ألا ترى نوحاً دعا على الكفّارِ فأغرقهم الله تعالى فلم يحترقْ قلبه[٣]، فلمّا بلغَ الغرقُ ولدَهُ صاحَ فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥].

ويُقال: مالَ إليه لحسنِ صورته.

ويُقال: لأن الله تعالى أرادَ ابتلاء يوسف.

وفي الخبر: أن المَلِكَ قال ليوسف: إني أحبُّك، فقال؛ لا تحبَّني، فإن والدي أحبَّني فوقعتُ في العبوديةِ بسببه، وزليخا أحبَّتني فوقعتُ في السجن، ومن أحبَّني يصيبني منه محنة!

❋ ❋ ❋

---

(١) في ب، ج: بمحبته إليه في قلبه.
(٢) سقطت من أ.
(٣) سقطت من أ.

٨٠ ـ سؤال: لمَ فُرِّقَ يوسفُ من أبيه؟

الجواب: قيل: لأنه استطعمَهُ فقيرٌ فلم يُطعمه، فانصرفَ حزيناً؛ فابتلاهُ الله تعالى بهذه الأحزان.

ويُقال: لأن يعقوبَ استغاثَ بغيرِ الله، وسلَّمَ يوسفَ إلى غيرِ الله؛ فأورثَهُ ما أورثه.

ويُقال: لأنه ذبحَ جدياً بين يدي أمِّه، فلم يرضَ الله ذلك منه، وأراهُ دماً بدم، وفرقةً بفرقة، وحُرمَةً بحُرمَة(١).

❊ ❊ ❊

٨١ ـ سؤال: لمَ ذهبَ بصرُ يعقوب؟

الجواب: قيل: لئلا يزدادَ حزنهُ إذا نظرَ إلى أولاده.

❊ ❊ ❊

٨٢ ـ سؤال: لمَ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم قال: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. فكيف يكونُ الصبرُ مع الشكاية؟

الجواب: قيل: هي شكايةٌ من النفسِ إلى الخالق، وهو جائز. ألا ترى أن أيوبَ قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]؛ لأنه شكا منه إليه؟

❊ ❊ ❊

٨٣ ـ سؤال: لمَ ابتلىٰ يوسفَ بالعبوديةِ والسجن؟

الجواب: قيل: ليرحمَ المماليكَ والمسجونينَ إذا صارَ ملكاً، وابتلاهُ بجفاءِ الأقارب والحُسّادِ ليعتادَ الاحتمالَ من القريبِ والبعيد، وابتلاهُ بالغربةِ ليرحمَ الغرباء.

❊ ❊ ❊

---

(١) من قوله: «فلم يرض» حتى هنا، سقط من أ.

٨٤ ـ سؤال: لمَ قال تعالى في قصَّته: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]؟

الجواب: قيل: لأنه كان أحسنَ البشر، ونسبهُ أحسنُ الأنساب، وحالهُ في الحبِّ[١] أحسنُ الأحوال، ودعاؤهُ أحسنُ الأدعية، وتزويجهُ أحسنُ التزويج، وتشبيههُ أحسنُ التشابيه، وعلمهُ أحسنُ العلوم؛ فلذلك سمِّيتْ[٢] قصَّتهُ أحسنَ القصص.

ويُقال: أحسنُ القصصَ؛ لأنها أوَّلُ قصَّة قُرِئتْ[٣] على رسولِ الله ﷺ.

ويُقال: لأنها أوجزُ لفظاً، وخيرُ الكلامِ ما قلَّ ودَلَّ، ولم يطل فيُمَلّ.

❋ ❋ ❋

٨٥ ـ سؤال: لمَ قطَّعنَ أيديهنَّ ولم تقطعْ زليخا؟

الجواب: قيل: لأنَّ يوسفَ كان في منزلها ولم تَخَفِ الفراق، وهنَّ قطَّعنَ أيديهنَّ خوفَ الفراق[٤]!

وقيل: لأنهنَّ كنَّ بَغَيْنَ على زليخا، وللبغي مصرع.

ويُقال: قطَّعنَ أيديهنَّ لدهشهنّ[٥]، والمدهوشُ لا يُدركُ ما يفعل.

❋ ❋ ❋

---

(١) في ج: في الجبّ، وفي أ: وحاله أحسن الأحوال.

(٢) في أ، ب: سمِّي.

(٣) في ب، ج: قصته أحسن القصص لأنها أول قصة نزلت.

(٤) في ب، ج: للفراق.

(٥) في أ: ويقال ادهش.

٨٦ ـ سؤال: لمَ شكرَ يوسفُ على إخراجهِ من السجن، ولم يشكرْ على إخراجهِ من الجبّ، حيث قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]؟

الجواب: قيل: لأنه قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]. فلو ذكرَ الجبَّ لكان تثريباً.

ولأنه كان في السجنِ مع الكفّار، وفي الجبِّ مع جبريل.

ولأنه كان في وقتِ الجبِّ صبيّاً، ولا يجبُ الشكرُ على الصبيان.

ولأنَّ عهدَهُ بالسجنِ أقربُ من الجبّ، فلذلك ذكره.

❊ ❊ ❊

٨٧ ـ سؤال: ما معنى قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]؟

الجواب: قيل: همَّتْ به حراماً، وهمَّ بها حلالاً. همَّتْ به سفاحاً، وهمَّ بها نكاحاً.

ويُقال: همَّتْ به بالمضاجعة، وهمَّ بها بالمدافعة.

ويُقال: همَّتْ به قراراً، وهمَّ بها فراراً.

ويُقال: همَّتْ به شهوة، وهمَّ بها موعظة.

❊ ❊ ❊

٨٨ ـ سؤال: لمَ قال يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥]؟

الجواب: قيل: لأنه علمَ في الرؤيا التي رآها المَلِكُ أن الناسَ يمتحنونَ بالقحط، فخافَ عليهم الضيعةَ والتلف، فأحبَّ أن تكونَ يداهُ على الخزانةِ ليعينهم وقتَ الحاجة.

ويُقال: إنه علمَ أنه لا يصلحُ لذلك[1] إلا هو، فلذلك استدعاهُ لنفسه.

❋❋❋

٨٩ ـ سؤال: هل يجوزُ للحكيمِ أن يمدحَ نفسَهُ ويقول: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]؟

الجواب: قيل: إذا كان في ذلك تنبيهٌ للخلق، وشكرٌ للربِّ، وذكرٌ للمنَّة؛ جاز.

وهذا مثلُ قولهِ ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدم ولا فخر**»[2]. ليقفَ الخَلْقُ على مناقبه.

❋❋❋

٩٠ ـ سؤال: كم لبثَ يوسفُ في السجن؟

الجواب: قيل: اثنتي عشرةَ سنة[3]، بعددِ حروفِ ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

رُوِيَ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لولا كلمةُ يوسفَ ما لبثَ في السجنِ طولَ ما لبث**»[4].

وقال النبيُّ ﷺ: «**رحمَ الله أخي يوسف، هلاّ قال: العافيةُ أحبُّ إلي**»[5]؟

---

(١) في أ: لا يقوم بذلك.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولكن لم يوافقه الذهبي. ورواه ابن حبان في صحيحه ١٤/١٣٥ وغيره. وبلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ رقم (٢٢٧٨). وينظر تفصيل الجواب في الرقم (١٣٩).

(٣) في النسخ: اثنتي عشر.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠٦)، قال الأرناؤوط: إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٥) «رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس لأسرعت الإجابة حين قال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾». رواه أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً، وصححه في صحيح الجامع (٣٤٩١).
وفي النسخة (أ) وصل الحديثين ببعضهما البعض...

٩١ ـ سؤال: ما معنى قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨][1]؟ ولمَ لا استغفرَ لهم في الحال؟

الجواب: قيل: أخَّرهم إلى وقتِ السَّحَر؛ لأن ذلك الوقتَ أرجى للإجابة.

ويُقال: لأن لهم خصماً مثلَ يوسف، فأخَّرهم حتى يرضى عنهم.

وقيل: لأن الأنبياءَ ينتظرونَ الإذنَ من الله تعالى، لأنه علمَ أنْ وقعَ بينهم وبين الله تعالى وحشة.



(١) هو من قول يعقوب عليه السلام.



أسئلة في موسى عليه الصلاة والسلام

٩٢ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أنه تعالى أمرَ بإلقاءِ موسى في اليمِّ دون غيره؟

الجواب: قيل: لأن المنجِّمينَ يقولون: إذا أُلقيَ شيءٌ في الماءِ يخفى عليهم أمره، فأرادَ الله تعالى أن يُخفي عن المنجِّمينَ حالَ[١] موسى حتى لا يُخبروا به فرعون.

وأيضاً: أرادَ أن يبيِّنَ لأمِّهِ حفظه[٢]، فقال: أُلقيهِ في التلف[٣]، لأُنجيه من التلفِ بالتلف. وقال: سلِّميهِ إليَّ صبياً أسلمهُ إليكِ نبيّاً.

وأيضاً: فكما نجّاهُ من البحرِ في الابتداء، كذلك أنجاهُ في الانتهاءِ وأغرقَ فرعون.

❋ ❋ ❋

٩٣ ـ سؤال: لمَ احترقَ لسانهُ ولم تحترقْ أصابعهُ حين قبضَ على الجمر؟

الجواب: قيل: حتى لا يأكلَ مع فرعونَ فتجبُ عليه حرمةُ المؤاكلة[٤].

---

(١) في أ: عن المنجمين أمر حال، وفي ب، ج: عن المنجمة حال.
(٢) في أ: أن يبين أنه يحفظه.
(٣) في أ: اليم.
(٤) في أ: مع فرعون عليه وجوب حرمة المماليك؟

وأيضاً: ليكونَ دليلاً على إعجازه، ويقول: أخرجني[١] من عندك مغلولاً ذا عقدة، ثم يردُّني إليكَ فصيحاً متكلِّماً.

وأيضاً: أراهُ أن الربَّ يقدرُ على تصحيح المرضى.

وأيضاً: كان ذلك بسببِ نجاتهِ من القتل[٢].

❋ ❋ ❋

٩٤ ـ سؤال: لمَ أرسلَهُ بالعصا والحجر[٣]؟

الجواب: لأن فرعون كان حماراً، وأيضاً كان كلباً، فالعصا للحمار، والحجرُ للكلب[٤].

وأيضاً: لأن العصا والحجر من آلاتِ الرعاة، وموسى كان راعياً، فأرسلَ معه الآلات[٥].

❋ ❋ ❋

٩٥ ـ سؤال: لمَ خافَ موسى من العصا ولم يخفْ إبراهيمُ من نارِ النمرود؟

الجواب: قيل: لأن النارَ كانت من فعلِ النمرود، وتغييرُ العصا كان من فعلِ الله تعالى.

وأيضاً: خافَ موسى أن تكونَ[٦] تلك الحيَّةُ التي أخرجتْ آدمَ من الجنَّة.

---

(١) في أ: إذ يقول: أخرجتني.

(٢) لم يَرد السطران السابقان في أ، ولم يرد الأول في ج.

(٣) يعني بالحجر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ...﴾ [البقرة: ٦٠].

(٤) في ب، ج: لأن فرعون كان حماراً ويدنو من الحمار بالعصا، وأيضاً فرعون كان كلباً وبه تطرد الكلاب بالحجارة.

(٥) في ب، ج: فأرسله مع آلاته.

(٦) في ب: أنها تلك، وفي ج: أنها تكون.

ويُقال: إنها كانت مخبَّأةً فخافَ منها، والنارُ بضدِّ هذا[1].

ويُقال: خافَ لأنه قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨]، فأراهُ أنَّ من اتَّكلَ على غيرِهِ يعقبهُ الفرار، ومن اتَّكلَ عليه يعقبهُ القرار.

❋ ❋ ❋

٩٦ ـ سؤال: لمَ قال تعالى لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، وقال لنبيِّهِ ﷺ: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣]؟

الجواب: قيل: لأنَّ طبعَ محمدٍ ﷺ كان على اللِّين، وطبعُ موسى كان على الغلظةِ والصلابة.

وقيل: معناه: إنكَ رسولي فتخلَّقْ بخُلقي، فكما أني رفيقٌ بالمؤمنينَ فكنْ رفيقاً بهم يا موسى، فتكونُ كريماً.

ويُقال: ليكونُ حجَّةً على فرعون، لئلا يقول: أغلظَ عليَّ الدعوة؛ فلذلك لم أُجبه.

وقيل: إنه كان لفرعونَ على موسى حقُّ التربية، فأمرهُ باللِّينِ معه لذلك.

ويُقال: أمرهُ بذلك بشارةٌ للمؤمنينَ ليرجوا[2] أن يلينَ منكرٌ ونكير.

قال ذو النون: هذا برُّكَ بعدوِّكَ ممنْ[3] عاداك، فكيف برُّكَ بمن والاك؟

ويُقال: ليعلمهُ الأمرَ بالمعروفِ على طريقِ الرفق[4].

❋ ❋ ❋

---

(١) صيغة السؤال وجوابه من أوله حتى هنا وردت في أ: لمَ خاف موسى من العصا ولم يخف إبراهيم من نار النمرود، وهل كان تغير العصا سبباً لخوفه؟ نعم خاف موسى أنها تكون الحية التي أخرجت آدم من الجنة.

(٢) في أ: ورجاء.

(٣) في ب، ج: هذا برك بمن عاداك.

(٤) في أ: اللين.

٩٧ ـ سؤال: ما معنى قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] مع علمهِ به؟

الجواب: قيل: هذا سؤالُ تنبيه، أرادَ أن ينبِّهه[١]، فإنه كان وصلَ إلى درجةٍ نسيَ بها الكونين في ذلك الحال، ونسيَ نفسه، فذكَّرَهُ نفسَهُ وما بيمينه.

ويُقال: هذا سؤالُ الانبساط[٢].

وقيل: هو سؤالُ تعزيز[٣]، ليعلمَهُ أنه لا يملكُ شيئاً، ويريهِ أن الأمرَ بيده، وأن الذي بيدهِ ليس له، بل لله يقلِّبُهُ كيف يشاء.

وأيضاً: أراهُ أنها معجزة، وكان موسى لم يعلمْ من العَصا سوى التوكؤ، فأراهُ ما فيها من العجائب.

وإنما قال: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ ولم يقلْ ﴿بِيَمِينِكَ﴾ لأنه أشارَ[٤] إلى غائب، ليعلمَ موسىٰ أنه يغيبُ عمّا دونه.

ويُقال: ذكرَ الشاهدَ بلفظِ الغائبِ.

أيضاً: قولهُ: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ باعدَ في السؤالِ حتى يتحيَّر، ثم قَرَّبَهُ حتى ينبسط[٥].

وإنما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقلْ: «بيدك» لأنه كان في يسارهِ خاتم.

وقيل: ليبيِّنَ له فضلَ[٦] أصحابِ اليمين.

وأيضاً: أراهُ في يسارهِ معجزةً أخرى، وهي النور.

❊ ❊ ❊

---

(١) في أ: لينبهه، وسقطت الجملة من ج.

(٢) في أ: هو سؤال انبساط.

(٣) في أ: العزيز.

(٤) في ج: إشارة.

(٥) في أ: حتى يتخير، ثم قربه حتى يتنشط.

(٦) في أ: ليريه.

٩٨ ـ سؤال: لِمَ أمرَهُ الله بخلعِ النعلين؟

الجواب: قيل: لتصلَ[١] بركةُ الأرضِ المقدَّسةِ إلى قدميه.

وأيضاً: لا ينبغي لبسُ النعلينِ بين يدي الملوك.

وأيضاً: النعلُ راحة، فاخلعِ الراحة.

❋ ❋ ❋

٩٩ ـ سؤال: لِمَ وعدَهُ بالكلامِ في الجبل؟

الجواب: قيل: أرادَ أن يصيرَ الجبلُ فاضلاً، ويصيرَ هو بالجبلِ فاضلاً، لأن من المقاماتِ فاضلاً ومفضولاً[٢].

❋ ❋ ❋

١٠٠ ـ سؤال: لِمَ لمْ يكلِّمْ سائرَ الأنبياءِ مشافهةً كما كلَّمَ موسى؟

الجواب: قيل: لأنه لم يكنْ لنبيٍّ من الأعداءِ مثلُ ما لموسى، كفرعون، واليهود، وقارون[٣]. ولم يكنْ قومٌ[٤] أسوأ أدباً وأقسى قلباً من قومه؛ فخصَّهُ بكلامهِ ليتحمَّلَ ما امتُحنَ به من البلاء.

وأيضاً: كان موسى في مدرجَةِ الشوق، فلو لم يُسمعْهُ كلامَهُ بعدما منعَهُ الرؤيةَ لماتَ قلبه.

فإنْ قال قائل: بأيِّ شيءٍ علمَ موسىٰ أنه كلامُ الله تعالى؟

قيل: لأنه لم ينقطعْ كلامهُ بالنَّفَس.

ويُقال: لأنه سمعَ الكلامَ من الجوانبِ الستَّة.

---

(١) في ب، ج: لتتصل.

(٢) لم يظهر الجواب بشكل واضح في (أ)، وفي جميعها ورد «فاضل ومفضول».

(٣) في أ: لنبي من الأنبياء من الأعداء مثل ما فرعون لموسى، وكذلك اليهود، وقارون، أعداء موسى.

(٤) في ب، ج: قوماً.

ويُقال: لأنَّ سائرَ جوارحِهِ كانتْ كسمعه[١]، ووجدَ اللذَّةَ لها من كلامِهِ كما وجدَ بسمعه.

ويُقال: كلامُ الله تعالى في نفسهِ معجزةٌ يُعرفُ بمعنى الكلامِ أنه[٢] كلامُ الله.

فإنْ قيل: من أين هاجَ لموسىٰ سؤالُ الرؤية؟

قيل: لأنه لمّا سمعَ الكلامَ طمعَ في الرؤية، فقال: هذه لذَّةُ الخبر، فكيف لذَّةُ النظر؟

ويُقال: طبعُ البشريَّةِ على العلوّ، إذا ظفرَ بشيءٍ طلبَ ما هو أعلى منه.

فإنْ قيل: لِمَ منعَهُ الرؤية؟

قيل: لأنَّ الرؤيةَ غايةُ الكرامة، تُعطىٰ لأكرمِ الخلق، وهو محمدٌ ﷺ.

ويُقال: لو رآهُ لوجبَ عليه الشكر، ولو شكرَ لاستحقَّ الزيادة، ولا زيادةَ على الرؤية؛ فلذلك حُرِمها.

وهذا هو المعنى في قولهِ ﷺ: «**إنكم لن تَروا ربّكم حتى تموتوا**»[٣].

وقد تقدَّم معنى غيرُ ذلك[٤]. والله أعلم.

وقيل: لو أعطاهُ لكان رؤيةُ الباري مكافأةً لفعلِ الخلق، والرؤيةُ فضلٌ لا مكافأة.

---

(١) في ج: تسمعه، وفي أ: لأن جميع جوارحه صارت كسمعه. وسقطت الجملة التالية منه.

(٢) في ب، ج: لأنه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤/٥٨٠ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي على ذلك، في حديث طويل. ورواه البيهقي في السنن الكبرى رقم (٧٧٦٤)، وأحمد في المسند رقم (٢٢٨١٦)، وفي حديث الدجال عند مسلم: «تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عزَّ وجلَّ حتى يموت»، وصححه للطبراني في السنة رقم (٢٣١٢) من صحيح الجامع الصغير.

(٤) في ج: وقد تقدم معنى ذلك.

فإنْ قيل: لَمَ صارَ الجبلُ دكّاً وبقيَ موسى؟

قيل: لأنَّ الله تعالى جعلَ الجبلَ فداءً لموسى، ولولا أن موسى كان مدهوشاً لذابَ كما ذابَ الجبل.

وأيضاً: فالجبلُ خُلقَ للفناء، والمؤمنُ خلقَهُ الله تعالى للبقاء، فلا يفنى أبداً.

* * *

١٠١ ـ سؤال: ما معنى قولهِ للخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ولم يصبر، وقال إسماعيل: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فصبر؟

الجواب: قال بعضهم: لأن موسى كان متعلماً، والمتعلم لا يصبرُ إذا رأى شيئاً حتى يفهمه[1]، وإسماعيلُ لم يكنْ كذلك؛ لأنه علمَ عدلَ الله تعالى.

وأيضاً: كان معروفاً بالحدَّة، وإسماعيلُ بالحِلْم، والصبرُ من أشكالِ الحلم.

ويُقال: بل صبرَ موسى، لأنه لو لم يصبرْ لصرفَهُ الخضرُ وخاصمه.

ويُقال: إن الخضرَ قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] فلم يردِ الله تكذيبه، كما قال يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

ويُقال: إنه قال مواجهةً على العنف: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ومع العنفِ لا يتأتَّى الصبر. وأما إبراهيمُ فقال على اللين: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]. واللينُ يتأتَّى معه الصبر[2].

---

(١) في أ: أن يفهمه حتى يفهمه.
(٢) من قوله: «وأما إبراهيم» حتى هنا، سقط من ب.

ويُقال: صبرَ إبراهيمُ على محنةِ نفسه، ولم يصبرْ موسى على محنةِ الخضر[1].

ويُقال: إن موسى لم يعلمْ ما فعلَ الخضر، والجاهلُ[2] لا يصبرُ عمّا يرى، وكان إسماعيل يعلمُ أن إبراهيمَ يفعلُ[3] هذا من أمرِ الله تعالى.

ويُقال: لأنه قال: ﴿مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أدخلَ نفسَهُ في عِدادهم[4] فوُفِّق، وموسىٰ تفرَّدَ بنفسهِ وقال: ﴿صَابِرًا﴾ فخرج.

❋ ❋ ❋

١٠٢ ـ سؤال: إنْ قيل: لمَ لمْ يَجُعْ موسىٰ في أربعينَ ليلةً، وصبر ولم يصبرْ نصفَ يومٍ حتى قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]؟

الجواب: قيل: لأنَّ سفرَ الخضرِ سفرُ التأديب، فزادَ البلاءُ على البلاءِ حتى جاعَ في أوَّلِ نصفِ يوم، وحضورهُ الجبلَ سفرُ اللقاء، فأنساهُ هيبةُ الموقف الطعامَ والشراب.

❋ ❋ ❋

١٠٣ ـ سؤال: لمَ قال الخضرُ لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ولم يصبرْ معه الخضرُ حتى قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]؟

الجواب: قال النيسابوري: قلنا: لأنه ليس لوليٍّ أنْ يرتفعَ على نبيّ.

وأمّا فيما لامَ به موسى الخضر، وكان قد وقعَ لموسىٰ قبلَهُ مثلَهُ وقد نسيه، فذكَّرهُ الخضر، فلما قال: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] قال له الخضر: أليس كنتَ في البحرِ ولم تغرقْ من غيرِ سفينة؟

---

(١) في ب، جـ: الخلق.

(٢) يعني الجاهل بالشيء.

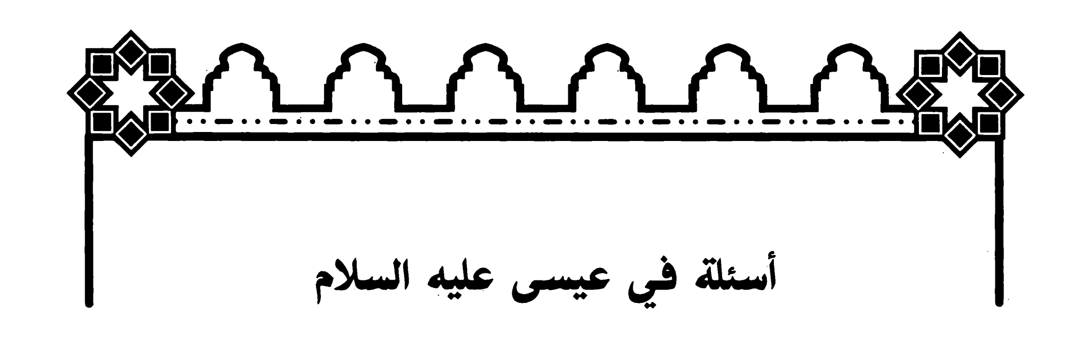
(٣) في أ، جـ: يفعل ففعل.

(٤) في أ، ب: أعدادهم.

ولمّا قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] قال: أليس قتلتَ القبطيَّ بغيرِ ذنب؟

ولمّا قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] قال: أنسيتَ سقياكَ لبناتِ شعيبٍ من غير أجرة؟





أسئلة في عيسى عليه السلام

١٠٤ ـ سؤال: كم كانت أسماؤه؟

الجواب: قيل: **أربعةَ أسماء**: عيسى، وكلمة، ومسيحاً، وروحاً.

فعيسى هو الأبيض في اللغة، ويُقالُ غيرُ هذا، لا اشتقاقَ[١] له.

و«روحاً» لأنه كان من ريحِ جبريل. ويُقال: لا، بل خرجَ من الماء، من تربيةِ أمِّه إلى رحمها[٢] بنفخِ جبريل، وهو من الماءِ لا من الريح. ويُقال: وُلدَ من ساعته، ويُقال: لثمانيةِ أشهر، ويُقال: للمدَّةِ الكاملة.

وأمّا تسميتهُ «روحاً» فلأنهُ صارَ بكلمتهِ مخلوقاً.

وسمّاهُ «مسيحاً» لأنه كان يسيحُ في الأرض، ويُقال: وُلدَ ممسوحاً بالدهن، ويُقال: لأنه كان يمسحُ الضُّرَّ عن الأعمى والأبرصِ والأكمه، ويُقال: المسيحُ الذي لا يكونُ لقدميهِ أخمص.

وسمّيتْ أمُّهُ «مريم» من قولهم: «رَمَتْ»[٣] أي طلبت.

ويُقال: مرَّتْ في الطاعةِ كمرورِ الحوتِ في اليمّ.

---

(١) في ب: هذا الاشتقاق.

(٢) في ب: من تربية أمه أتى رحمها، وفي ج: من تربية أمه إلى رحمها. ولعله يعني هنا بالتربية الزيادة والانتفاخ، وهو رأي أورده المؤلف، ذكر بعض المفسرين قريباً منه وأقوالاً أخرى وناقشوها، ينظر مثلاً روح المعاني ٧٥/١٦، وتفسير القرطبي ٩٣/٤.

(٣) في ب: مرت! والفعل من رام يروم.

وسمَّى الله تعالى مريمَ باسمها سبعَ مرّاتٍ في القرآن[1]، ولم يسمِّ من النساءِ غيرها.

وخاطبها فقال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٣] كما خاطبَ الأنبياء.

وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مريم: ١٦] كما قال لإبراهيم وغيرهِ من الأنبياء.

وقال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عمران: ٤٢].

ومن معجزاتها[2]: رزقها بغير حساب، كما أعطى سليمان وقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ [ص: ٣٩].

وتكليمُ الملائكةِ لها، وإرسالُ جبريلَ إليها، وولادتها من غيرِ مسّ، وبراءتُها بلسانِ صبيّ، وضمُّها مع نبيٍّ في آيةٍ واحدةٍ، فقالَ تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٠]. وبهذا ذهبَ بعضهم إلى أنها نبيَّة[3].

❋ ❋ ❋

١٠٥ ـ سؤال: لمَ أمرها بهزِّ الجذع؟

الجواب: قيل: لأنها تعجَّبتْ من ولدٍ بغيرِ أب، فقال الله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]. فهزَّتْ بجذعِ نخلةٍ يابسةٍ بلا فحلٍ ولا طلعَ لها، فيها[4] **أربعُ عجائب**: الرُّطَب، من نَخلٍ يابس، بلا فحل، ولا طلع لها؛ كيلا تعجبَ من ولدٍ بغيرِ أبٍ ولا مسّ[5]، فأراها ذلك لتعلمَ أن الولدَ يكونُ بعضهُ بغيرِ أبٍ وبعضهُ بأب.

❋ ❋ ❋

---

(١) بل إحدى عشرة مرة.

(٢) الصحيح أن يقال: «ومن كراماتها»، لكنه يورد لفظ المعجزة لمن استدلَّ بهذا أنها نبيَّة.

(٣) وهو قول مرجوح أو شاذ، فإن جمهور أهل السنّة والجماعة أنها ليست نبية، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يوسف: ١٠٩] فالأنبياء من الرجال. لكنها صدِّيقة بنص القرآن الكريم: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ [المائدة: ٧٥].

(٤) أشار في هامش (أ) أنه ورد في نسخة: فنظرت إلى.

(٥) في ب: لمس.

١٠٦ ـ سؤال: لمَ أجرىٰ النهرَ بغيرِ سعيها، ولم يعطِها الرُّطَبَ إلا بسعيها؟

الجواب: قيل: لأن الرطبَ غذاءٌ وشهوة، والماءُ سببُ الطهارةِ والخدمة.

ويُقال: لمّا كانتْ وحيدةً بعثَ إليها طعاماً من الجنَّةِ بلا سبب، فلمّا ولدتْ جاءتِ الواسطةُ فأمرها بهزِّ النخلة.

❋ ❋ ❋

١٠٧ ـ سؤال: لمَ رفعَ عيسى إلى السماء؟

الجواب: قيل: لأنه أرادَ أنْ تصحبَهُ الملائكةُ لتحصلَ لهم بركتهُ كما صحبَهُ التائبونَ في الدنيا.

وأيضاً: لمّا لم يكنْ دخولهُ من بابِ الشهوةِ، وخروجهُ لم يكنْ من باب المنيةِ، بل دخلَ من بابِ القدرةِ وخرجَ من بابِ العزَّة.

❋ ❋ ❋

١٠٨ ـ سؤال: لمَ يردُّهُ إلى الدنيا؟

الجواب: قيل: ليكونَ عَلَماً للساعة.

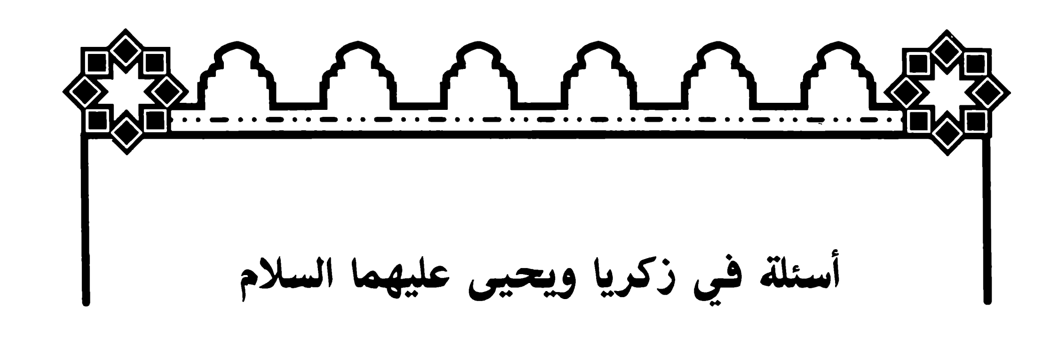
وقيل: لتؤمنَ به اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

وأيضاً: ليتجدَّدَ عهدُ الأنبياءِ على الأمَّة.

❋ ❋ ❋

١٠٩ ـ سؤال: لمَ قال عيسى: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ولم يكنْ له مال؟

الجواب: قال بعضهم: الزكاةُ هاهنا المعاونةُ على الخير، والزكاةُ الإسلام؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧].



أسئلة في زكريا ويحيى عليهما السلام

١١٠ ـ سؤال: لمَ أخرسَ لسانَهُ ثلاثةَ أيام؟

الجواب: قيل: عقوبةَ تعجُّبِهِ حيث قال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وقيل: أرادَ أن يُريَهُ حالَ يحيى: أنَّ هذا الولدَ ينقطعُ عن الخلقِ بكليَّتِهِ كما قطعتُ لسانَكَ عن الكلام.

وأيضاً: أخرسَ لسانَهُ بسببه، فكيفَ إذا ولدَ وشغلَ سرَّكَ في مناجاته؟

وهذا كما قال أبو عبدِ الله: كفاكَ من شؤمِ الدنيا أنْ يهنِّئكَ ما يُليهك عن الآخرة.

❁ ❁ ❁

١١١ ـ سؤال: لمَ أعطاهُ الحكمَ صبياً؟

[الجواب]: قال: لأنَّ أباهُ قال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1] [مريم: ٦] فأكرمَهُ في أوَّلِ الحالِ بالحكمة، ليكونَ مرضيّاً من أوَّلِ عمرهِ إلى آخره، وأكرمَهُ بالحكمةِ[2] في صباهُ ليعتادَ الصلاح؛ لأنَّ النفسَ ما عوَّدتها تتعوَّد.

وأيضاً: أكرمَهُ بالحكمةِ ليعلمَ الخَلْقُ أن علمَ الحكمةِ ضروريٌّ لا

---

(١) لم ترد الآية والكلمات التي قبلها في أ.

(٢) في أ: من أول عمره أي وأكرمه بالحلم؟

اكتسابي، وكان في كلِّ نبيٍّ زلَّةٌ أو هفوةٌ[1] إلا يحيى، لأنه كان فيه ثلاثةُ أشياء، وهو قولهُ تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] أي: من الحكماء. ويُقال: الفراسةُ الصادقة. ويُقال: قوله: «لا للعبِ خُلقنا»[2].

وأمّا تلك الحكمة، فإنَّ الله تعالى أكرمَ أربعةً من الصبيانِ بأربعةِ أشياء: يوسفَ بالوحي من الجبّ، وعيسى بالنطقِ في المهد، وسليمان بالفهم، ويحيى بالحكمة.

❋ ❋ ❋

١١٢ ـ سؤال: لمَ ابتلاهما بالقتل؟

الجواب: قيل: لأنه ليس في الدنيا درجةٌ بعد النبوَّة أبلغَ من الشهادة؛ فأكرمهما بذلك.

❋ ❋ ❋

١١٣ ـ سؤال: لمَ قال ليحيى: «سيداً»، ولمحمَّدٍ: «عبداً»؟

الجواب: قيل: لأنه قيلَ ليحيى: لمَ لا تتزوَّج، ولمَ لا تشتري حماراً ولا داراً، فقال: لا أريدُ أن يُقالَ لي: سيِّدُ الحمارِ وسيِّدُ الدار، ولا أريدُ اسمَ السيادة. فلمّا تواضعَ سمّاهُ تعالى «سيِّداً».

وأضافَ محمداً إلى نفسهِ فقال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، ولم يجزْ أن يقول: أسرى بسيِّده.

وأما يحيى فذكرَهُ منفرداً على سبيلِ الثناء.

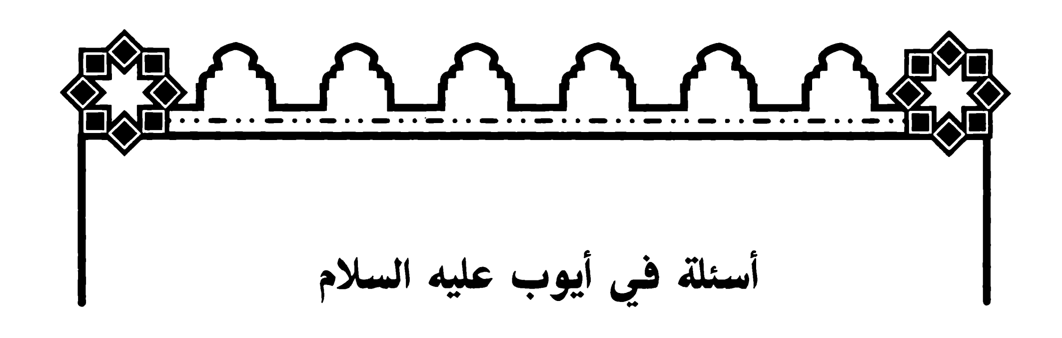
وقد قال ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخر**»[3]. يعني: ولا فخرَ أكملَ ولا أعلى من هذا الفخر.

---

(١) في ب: غفوة، وفي ج: عقوبة.
(٢) أورده في خبر طويل ابن قدامة في الرقة والبكاء ص٧٢ ـ ٧٣.
(٣) سبق تخريجه في الرقم (٨٩).

وليس هذا دعوى تعاظمٍ وتطاولٍ منه ﷺ على الناس، وإنما هو من التحديثِ بنعمةِ الله تعالى، وذلك أنَّ العبدَ إذا نظرَ إلى نفسهِ يُحْتَقَر. فالنبيُّ ﷺ كان ناظراً إلى نعمِ ربِّه.





أسئلة في أيوب عليه السلام

١١٤ ـ سؤال: لمَ ابتلاه؟

الجواب: قيل: لأنَّ إبليسَ حسدَهُ حين رأىٰ عملَهُ يصعدُ إلى السماء، وسمِعَ الملائكةَ تمتدحه، فقال: يا ربِّ سلِّطني عليه لتبينَ جلادته. فابتلاه، حتى أظهرَ للملائكةِ صبرَهُ[١] ورضاه.

❊ ❊ ❊

١١٥ ـ سؤال: ما الحكمةُ في ابتلائهِ سبعَ سنين؟

الجواب: قيل: لأنه كان في النعمةِ سبعينَ سنة، فابتلاهُ بكلِّ عشرِ سنينَ سنةً واحدة.

❊ ❊ ❊

١١٦ ـ سؤال: لمَ سُلِّطَ عليه الدود؟

الجواب: قيل: أرسلَ عليه اثني عشرَ ألفَ زوجٍ من الدود[٢]، كما أرسلَ إلى نمرودَ البعوضة، وإلى أصحاب الفيلِ الخطاطيفَ، وعسكرِ عوجَ[٣]

---

(١) في ب، ج: ضره.

(٢) هذا وأمثاله من الإسرائيليات، فليحذر.

(٣) قال العلامة الآلوسي رحمه الله: قد شاع أمر عوج عند العامة ونقلوا فيه حكايات شنيعة، وفي فتاوى العلامة ابن حجر قال الحافظ العماد ابن كثير: قصة عوج وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له، وهو من مختلقات أهل الكتاب... روح المعاني ٨٦/٦.

الهدهد، وعسكرِ الرجلِ النائم تحت ظلِّ الشجرةِ حيث قال: يا نائماً والجليلُ يحرسهُ العقربِ، فلدغتْهُ الحيَّة. وله عساكرُ وجنود، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

ونصرَ محمداً ﷺ[١] بأضعفِ الأشياء، وهو العنكبوت[٢].

ويُقال: الدودُ أذلُّ شيء، لأنه أذلَّ وليّاً من أولياءِ الله تعالى.

وقيل: أرادَ أن يجعلَ الدودَ عزيزاً بصحبتهِ لأيوب، كما أعزَّ حوتَ يونسَ به.

وفي الحكايةِ: أن الدودَ لمّا تناثرتْ منه صعدتْ إلى الشجرِ وخرجَ من لعابها الإبريسمُ ليصيرَ لباساً ببركةِ أيوب، كما أن النحلَ لمّا سلكَ بأمرِ الله بقولهِ تعالى: ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩] صارَ ما يخرجُ منه شفاءً للناس.

* * *

١١٧ ـ سؤال: ما معنى قولهِ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؟

الجواب: قيل: معناه: أيمسُّني[٣] الضرُّ وأنت أرحمُ الراحمين؟

وقيل: مسَّني الضرُّ إنْ لم أقل[٤]: أصبرْ على بلائك فيكونُ تجلُّداً، وإنْ أقلْ: لا أصبرُ فيكونُ جزعاً، وإنْ أقلْ: اكشفْ عني، يكونُ تحكُّماً.

ولا وجهَ لهذه الثلاثة، والوجه: أنْ ترحمني وأنت أرحمُ الراحمين.

---

(١) في أ: ولصبر محمد ﷺ؟

(٢) حديث نسج العنكبوت على باب غار ثور عند هجرة رسول الله ﷺ رواه كثيرون، منهم ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٩٧٤٣)، والإمام أحمد في مسنده رقم (٣٢٥١)، وذكر محققه (شعيب الأرناؤوط) أن إسناده ضعيف. وأوله عنده: عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة...

(٣) في أ: أمسني.

(٤) في ب: أن أقول، وفي ج: إن أقلَ. وكذا فيما يأتي من جمل معطوفة عليها.

وقيل: إنَّ الدودَ قصدَ قلبَهُ الذي هو خزانةُ الإيمانِ ومحلُّ العرفان.

وقيل: لانقطاعهِ عن الطاعةِ بسببِ البلاء.

❋ ❋ ❋

١١٨ ـ سؤال: كيف يوافقُ قولهُ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]؟

الجواب: قيل: لأنه لم يكنْ قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ جزعاً، بل كان عينَ الصبر، لأنه لم يَشْكُ إلى مَنْ دونه، بل شكا إليه، كما أن يعقوبَ قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨].

❋ ❋ ❋

١١٩ ـ سؤال: لمَ قال الله تعالى لأيوب: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]، وقال للنبيِّ ﷺ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢]؟

الجواب: قيل: لأنَّ كفَّارةَ اليمينِ لم تكنْ لأحدٍ قبلنا، بل هي مما أكرمَ الله تعالى به هذه الأمَّة، بدليلِ قولهِ تعالى: ﴿لَكُمْ﴾[(١)].

وقيل: لأن أيوبَ حلفَ غضباً لله تعالى، لأن رحمةَ امرأتهِ كانت محرمة[(٢)]، لأنها قصدتْ أن تقطعَ ذؤابتها وتطعمَهُ لحمَ الخنزير.

والنبيُّ ﷺ كانت يمينهُ ابتغاءَ مرضاةِ أزواجه، كما قال تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١].

❋ ❋ ❋

---

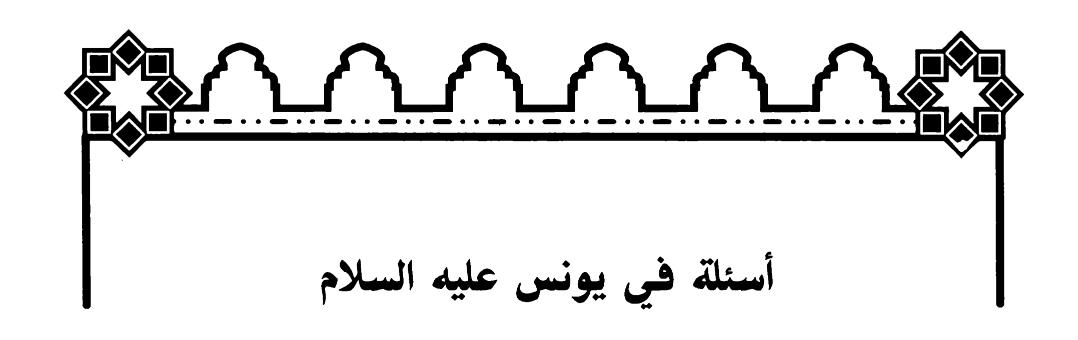
(١) في (أ) زيادة: أي: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.
(٢) في ب: لأن رحمة امرأته كانت محرمة، وشكلت الكلمة الأخيرة في ج: مُحرِمه.

١٢٠ ـ سؤال: لمَ أمطرَ على داودَ جراداً من ذهب[١]؟

الجواب: قيل: جعل الله له ذلك عوضاً عن الدود؛ فالجرادُ عقوبةٌ للعاصي، ونعمةً للمطيع.



(١) في أ: وجعله للمطيع. وفي ب: بالجراد عقابه للعاصي وجعله لمطيع.
ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عُرياناً خرَّ عليه. رِجْل جرادٍ من ذهب، فجعل يَحْثي في ثوبه، فنادى ربُّه: يا أيوب، ألم أكن أغنيك عمّا ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك». صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ رقم (٣٣٩١).
ورجل جراد: جماعة جراد.



أسئلة في يونس عليه السلام

١٢١ ـ سؤال: إنْ قيل: لمَ حبسَهُ في بطنِ الحوت، ولمَ حبسَهُ أربعينَ يوماً؟

الجواب: قيل: لأن الحوتَ لما جرحَهُ نمرودُ بسهم[١] شكا إلى الله تعالى وقال: يا ربّ، لمَ جرحتني[٢] بسهمِ عدوِّك؟ فأكرمَهُ ٱلله بيونس.

وقيل: ثمانيةُ حيتان من العجائب: حوتُ موسى، والذي تحت الأرضين، والحوتُ الذي رفعَ سفينةَ نوح، والحوتُ الذي أكلَ طعامَ سليمان، والحوتُ الذي ابتلعَ خاتمَ سليمان، والحوتُ الذي نزلَ على مائدةِ عيسى، وحوتُ قومِ داود، وحوتُ يونس[٣].

وأمّا حبسهُ أربعينَ يوماً، فلأنَّ قومَهُ تضرَّعوا أربعينَ يوماً، فبعد الأربعينِ رفعَ عنهم العذاب.

ويُقال: لأنه كان بينه وبين قومِهِ أربعون[٤] يوماً ولم يحملْ أذاهم، فحبسَهُ الله أربعينَ يوماً.

---

(١) في أ: لما خرجه نمرود بسهمه.

(٢) في ب: خرجتني.

(٣) يخلط المؤلف ـ رحمه الله ـ في نقله بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح، كما يتكلف الإجابة أو نقلها عن ذلك بوجوه فيها القوي والضعيف وما هو أضعف.. وأورد هنا إسرائيليات ونقولات لا صحة لها..

(٤) في النسخ: أربعين.

فإنْ قيل: لمَ أنبتَ عليه شجرةً من يقطين دون غيره؟

قيل: لأنَّ فيه شفاءً للمعلولين.

وأيضاً: فإنه لا يقعُ عليه الذباب. وظلُّها أبردُ الظلّ.

وأيضاً: هي ألطفُ الأشجارِ وأسرعها نباتاً، فأنبتَ عليه ذلك.

❊ ❊ ❊

١٢٢ ـ سؤال: لمَ قال: ﴿ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]؟

الجواب: قال بعضهم: غضبَ على الله على طريقِ الانبساط!

ويُقال: غضبَ على قومهِ.

ويُقال: غضبَ على المَلَكِ الذي أرسلَهُ الله إليه.

ويُقال: أتاهُ إبليسُ فقال: إنَّ الله أخلف وعدكَ حين وعدتهم بالعذاب، وأن الله رفعَ عنهم العذاب؛ فغضبَ من ذلك.

وإمّا للحذرِ[١] من الأمنِ من عذابِ الله، لأنَّ يونسَ أَمِن[٢]؛ لقوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فعاقبَهُ الله. ومن خافَ أمنَهُ الله، كموسى، خافَ من العصا فأمنَهُ الله تعالى.

وسمَّى يونسَ مَلُوماً[٣]، وأعظمَ ذنبه لأمنهِ من العذاب، ومحا اسمَهُ من ديوانِ العزم[٤]، ونسبَهُ إلى الحوت. وإن الله تعالى محا اسمَ نبيَّينِ بعد الذنبِ: اسمَ العُزَير بإنكارهِ القدرَ والتعجُّبِ من الإحياء[٥]، ويونسَ باستعجالِ العذابِ على قومه؛ فاحذرْ أن يمحوَ اسمكَ من ديوانِ المؤمنين.

❊ ❊ ❊

---

(١) في ب، ج: الحذر.

(٢) في أ: آمنٌ.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٢].

(٤) يعني أولي العزم من الرسل.

(٥) في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ...﴾ [البقرة: ٢٥٩].

١٢٣ ـ سؤال: لمَ قال الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]؟

الجواب: قيل: معناهُ في الاغترارِ بالله تعالى، وفي النظرِ إلى صغرِ[1] الخطيئة، وفي استعجالِ العذابِ لقومه، وفي الأمنِ من عذابِ اللّهِ تعالى، وغيرِ ذلك.

وهذه الأحوالُ لا تدلُّ على معصيةٍ محقَّقةٍ من يونس؛ لأنَّ الأنبياءَ معصومون، وإنما تحذيرٌ من الأحوالِ الناقصةِ عن أحوالِ الكاملين، إذ حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبين[2].

❋ ❋ ❋

١٢٤ ـ سؤال: فما معنى قولهِ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]؟

الجواب: قيل: لمّا كان في حالِ النعمةِ عليه تائباً مُنيباً مطيعاً لله تعالى نجّاهُ الله تعالى وقتَ الشدَّة. ومنه الحديث: «**تعرَّف إلى الله في الرخاءِ يعرفْكَ في الشدَّة**»[3].

وإذا كان العبدُ ناسياً لله في حالِ النعمةِ لم يُغِثْهُ الله في حالِ الشدَّة.

ألا ترىٰ إلى فرعونَ لمّا قال حين أدركَهُ الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قيلَ له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١].

وفي الخبر: أن العبدَ إذا دعا في السرَّاء[4]، فنزلتِ الشدَّة، فيقول:

---

(١) في أ: ضعف.
(٢) نُقد هذا القول من قبل بعض العلماء السلفيين، إذ كيف تكون الحسنات سيئات؟!
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٧٤)، والحاكم في المستدرك ٦٢٣/٣.. وهو جزء من حديث طويل أورد الحافظ العجلوني عدة تخريجات له ثم قال: رواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند أصح رجالاً وأقوى. كشف الخفاء ٣٠٧/١.
(٤) في ب، ج: إذا كان دعا في السر.

يا ربّ، تقولُ الملائكة: هذا صوتٌ معروف. إلى آخره[1].

وقولُ يونس: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي من جملتهم، فعدَّ نفسَهُ فيهم، فغفرَ له ببركتهم.

ويُقال: معناه: يا ربّ، لم أفعلْ شيئاً بديعاً لم يفعلْهُ عبادك، فإني من جملةِ عبادِكَ الذين أسرفوا على أنفسهم فغفرتَ لهم. فغفرَ له.

(١) هو من قول سلمان رضي الله عنه: إذا كان العبد يحمد الله في السراء ويحمده في الرخاء، فأصابه ضرٌّ، فدعا الله، قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف، فيشفعون له... المصنف لابن أبي شيبة (٢٩٤٨٠، ٣٤٦٦٤).



أسئلة في داود وسليمان عليهما السلام

١٢٥ ـ سؤال: من أين وقعتْ لداودَ الفتنة؟

الجواب: قيل: لأنه دعا على العصاةِ فابتُلِيَ بالزَّلة، ثم قال: اللهم ارحمِ العصاةَ وارحمْ داودَ معهم. فغفرَ له[1].

وقيل: بل قرأ في التوراة: إن الله أعطى إبراهيمَ وسائرَ الأنبياءِ كذا وكذا، فقال: يا ربِّ، بماذا أعطيتهم؟ قال: ابتليتهم فصبروا، فإنْ شئتَ ابتليتك؟ قال: نعم، قال: فإني ابتليتُكَ ببلاءِ صاحبِ البلاء. فابتُلِيَ بالزَّلة.

❊ ❊ ❊

١٢٦ ـ سؤال: لمَ جعلَ الله الخلفاءَ ثلاثة: آدم، وداود، وأبا بكر؟

الجواب: قال بعضهم: لأنهم قبل الخلافةِ عصوهُ ثم تابوا فجعلهم خلفاء، ردّاً على الروافض، لأنهم يقولون: يجبُ على الإمامِ أن يكونَ معصوماً.

وأيضاً: فآدمُ كان خليفةً معصوماً، ووهبَ من عمرهِ ستينَ سنةً

(١) روى كعب الأحبار أن داود عليه السلام كان يختار مجالسة المساكين، ويكثر البكاء، ويقول: رب اغفر للمساكين والخطائين حتى تغفر لي معهم. وكان قبل ذلك يدعو على الخطائين. كتاب العقوبات لابن أبي الدنيا رقم (٢١٦)، والرقة والبكاء له أيضاً رقم (٣٨٨).

لداود[1]، فصارَ خليفة، لأنه كان ممَّن تعيَّنَ[2] لذلك.

قال النبيُّ ﷺ: «**خُلقتُ أنا وأبو بكرٍ من طينةٍ واحدة**»[3].

وأيضاً: تخيَّرتِ[4] الملائكةُ على آدمَ فجعلَهُ خليفة، وتخيَّرَ طالوتُ على داودَ فجعلَهُ خليفة، وتخيَّرتِ الأنصارُ على أبي بكرٍ فجعلَهُ خليفة.

❋ ❋ ❋

١٢٧ ـ سؤال: ما معنى قولهِ ﷺ: «إن الله تعالى خلقَ آدمَ على صورته»[5]. وفي رواية: «على صورة الرحمٰن»[6]؟

الجواب: قيل عنه أجوبة:

أحدها: أنَّ المرادَ بصورته: صورةُ آدم، والضميرُ يعودُ إلى آدم. والمعنى أنه خلقَهُ على صورتهِ التي خلقَهُ عليها، وكان طولهُ إذ ذاكَ ستونَ ذراعاً في عرضِ سبعةِ أذرع، وأنَّ بنيهِ لم يزالوا يتقاصرون[7] إلى اليوم.

---

(١) في ب: فآدم كان خليفة ووهب من عمره أربعين سنة لداود.

(٢) في ب: ممن نفسه. وفي ج: ممن يختار، وأشار في الهامش إلى لفظة أخرى هي: يعين.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب رقم (٢٩٥١). وبلفظ: «أنا وأبو بكر وعمر خُلقنا من تربة واحدة وفيها ندفن» من حديث أوله: «ما من مولود يولد إلا وفي سرته تربته». أورده في اللآلئ المصنوعة للسيوطي، وفي سنده من هو ضعيف، وأورد له روايات أخرى... ثم ذكر أن له شواهد.. ينظر اللآلئ المصنوعة ٢٨٤/١، ٢٨٦، وتنزيه الشريعة ٣٧٣/١.

(٤) وردت الكلمة في ب: «تجبَّر» هنا وفيما يأتي.

(٥) ورد بهذا اللفظ عند مسلم وغيره. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، رقم (١١٥/٢٦١٢).

(٦) رواه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) ٨٣١/٢ بلفظ: «لا تقبِّحوا الوجه فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمٰن». وبلفظ قريب منه رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٣٥٨٠) وقال فيه الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف. مجمع الزوائد ١٠٦/٨.

(٧) في ج: يتناقصون.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**إن أهلَ الجنَّةِ يدخلونَ الجنَّةِ جُرْداً مُرْداً جُعْداً على طولِ آدمَ ستُّونَ ذراعاً في عرضٍ سبعةِ أذرعٍ**». رواه أحمد في المسند[1].

والثاني: أن المعنى: بصورته، أي: صورة الرحمٰن، والإضافةُ للمُلك. والمراد: أن الله تعالى خلقَ آدمَ وصوَّرَهُ، وصورةُ آدمَ مصوِّرها هو الله تعالى، وإضافتها إلى الله تعالى لتشريفِ آدم، لأنه خلَقَهُ على صورةِ الرحمٰنِ نفسه؛ لأن ذلك مستحيلٌ على الله تعالى، لأنه ليس بجسمٍ مصوَّر.

الثالث: أن المراد: الصورةُ المعنويَّة، وهي أن الإنسانَ وطبعهُ يحبُّ[2] الكِبْرَ والعلوّ، وهما صفتانِ للرحمٰنِ، وجعلَهُ سميعاً بصيراً قادراً عالماً متكلِّماً حيّاً مُريداً. وهذه الأوصافُ قد أُطلقتْ على الله تعالى، ففيه إشارةٌ إلى تكملةِ آدمَ وذرِّيته، وتشريفاً له على سائرِ المخلوقات. ذكرَ ذلك الغزالي[3].

الرابع: ذكرَهُ الإمامُ في تفسيره: أن المرادَ صورةُ آدم، والمعنى أنه خلقَهُ من أوَّلِ وهلةٍ على صورته، ولم يجعلْهُ أولاً نطفةً ثم علقةً ثم مُضغة[4]، بل خلقَهُ[5] ابتداءً على هذا الشكل، بخلافِ بنيه، فإنَّ الله تعالى خلقهم على التدريج، وطوَّرهم طَوْراً بعد طَوْر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ الآية [الحج: ٥]. والله تعالى أعلم.

---

(١) هكذا أورد لفظه المؤلف، وهو بلفظ: «يدخل أهل الجنة الجنة مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع». مسند أحمد ٢٩٥/٢ رقم (٧٩٢٠). قال الشيخ شعيب: حديث حسن بطرقه وشواهده دون قوله: «في عرض سبعة أذرع». وهو من حديث أبي هريرة. ومن حديث معاذ بلفظ: «يدخل أهل الجنة الجنة مرداً مكحلين بني ثلاثين أو ثلاث وثلاثين». رواه أحمد في المسند أيضاً ٢٤٣/٥ رقم (٢٢١٥٩)، والترمذي في سننه (٢٥٤٥)، وصححه في الجامع الصغير (٨٠٧٢).

(٢) أشار في هامش (أ) أنه ورد في نسخة: مجبول على.

(٣) أورده بالتفصيل في ٣٦٥/٤ ـ ٣٦٨ من إحياء علوم الدين.

(٤) في أ: ولا علقة ولا مضغة.

(٥) في ب: جعله.

١٢٨ ـ سؤال: لمَ سُمّيَ داود؟

الجواب: قيل: قال ابنُ عباس: داود بلسانِ العبراني: مَنْ لا عُمُرَ له، فلذلك وهبَ له آدمُ من عمرهِ ستينَ[(١)] سنةً.

وقيل: إنه حصلَ له الـ «دا» بالزَّلة، والـ «ود» من الله تعالى بالتوبة.

❀❀❀

١٢٩ ـ سؤال: ما معنى قولِ سليمان: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]؟

الجواب: قيل: معناه: معي، كما قال تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٣] أي: مع ذلك.

ويقال: معناه: اعصمني مما يوجبُ زوالَ الملكِ فيأخذهُ غيري في حياتي[(٢)]. وقالَ ذلك بعد أن قعدَ الشيطانُ على كرسيِّه، وزالَ المُلْكُ عنه بنزعِ الخاتم.

ويُقال: افتتنَ الخلقُ بسببِ زوالِ ملكي، فهبْ ﴿لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: لا تسلبْهُ عني ثانياً لئلا يفتتنَ عبادُكَ بزواله. وهذه غايةُ النصيحة، لأنه إذا زالَ الملكُ قد يشكُّونَ[(٣)] في نبوَّتهِ فيكفرون.

ويُقال: خافَ لئلا يقومَ بسياسةِ[(٤)] الخلقِ غيره.

ويُقال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: يشكُّ في مُلْكِ الجنَّةِ بعدما رأىٰ مُلكي.

وقيل: مُلكاً لا تحاسبني عليه.

فأجابَهُ بقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٩].

---

(١) في ب: أربعين. وفي أ: من لا عمر له لأن عمره كان أربعين.

(٢) مرَّ مثل هذا في الفقرة رقم (٧٣).

(٣) في النسخ: يسكوا.

(٤) في ب: لئلا لسياسة.

وقال سهل: هب لي ملكاً أقصمُ به الجبابرةَ الذين يخالفونك.

وقال الجنيد[١]: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾، ثم علمَ أنه أخطأ فقال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أنْ يسألَ المُلك، لأنه يُغني بالمُلْكِ عن المَلِك.

❋ ❋ ❋

١٣٠ ـ سؤال[٢]: ما الحكمةُ في دفعِ خاتمهِ إلى شيطانٍ أربعينَ يوماً؟

الجواب: قيل: كان في دارهِ صنم يُعْبَدُ من دونِ الله أربعينَ يوماً، فسُلِبَ بعدده.

وقيل: أرادَ أنْ لا يعجبَ بدنيا[٣] وولايةٍ تصلحُ لشيطان.

وأيضاً[٤]: أراهُ أن المُلْكَ بيده، إذا شاءَ أعطاه، وإذا شاءَ منعه.

وقيل: نظرَ سليمانُ عليه السلام إلى أربعةِ أشياء: إلى علمهِ فابتلاهُ بالهدهد، وإلى مُلكهِ فابتلاهُ بآصف[٥]، وماله فابتلاهُ بشيطان، وبشباتهِ[٦] فابتلاهُ بنملة.

❋ ❋ ❋

١٣١ ـ سؤال: لمَ وضعَ مُلْكَهُ في فصِّ خاتم؟

الجواب: قيل: أراهُ أنَّ ما أعطاهُ في جنبِ ما لم يُعْطهِ قَدْرُ فصَّةٍ في سائرِ الأحجار.

---

(١) الزاهد القطب، شيخ العصر، أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري. صحب السري السقطي والحارث المحاسبي وتفقَّه على أبي ثور. له المقامات والكرامات والكلام النافع في الصدق والمعاملات. ت٢٩٨هـ رحمه الله. العبر ١/٤٣٥.

(٢) السؤال وجوابه من الإسرائيليات.

(٣) في أ: بدنياه.

(٤) في ج: وإنما.

(٥) أورد خبره الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٦/١٨١ وأنه من حكايات أهل الحشو.

(٦) في أ: وبنيانه، وفي ب بدون نقط.

وأيضاً: أراهُ[١] مُلْكَ الجنَّةِ فقال: حجرٌ من الجنَّةِ له هذه الهيئةِ[٢] والقيمة، فكيف بغايتها[٣] من الدرجات؟

وأيضاً: أراهُ[٤] أنه تعالى يعزُّ من يشاءُ كما أعزَّ الحجرَ الأسودَ والذهبَ والفضَّة.

فإنْ قيل: لَمَ جعلَ رسولَهُ طيراً؟

قيل: أرادَ أن يبيِّنَ له أحوالَ أهلِ الجنَّةِ وطاعةَ الطيورِ لهم فيها.

❊ ❊ ❊

١٣٢ ـ سؤال: لَمَ لمْ يأتِ عرشُها[٥] بدعائه؟

الجواب: قيل: أراهُ[٦] الله تعالى عجزَهُ في ملكه، وأراهُ أنه مع مُلكهِ عاجزٌ ليس له كلُّ شيء.

وأيضاً: أراهُ حاجتَهُ إلى الماء.

وأراهُ أنه لا يُعطي الكلَّ إلى أحد، فإنه لو أعطىٰ الكلَّ إلى أحدٍ كان ذلك الواحدُ كاملاً، وليس الكمالُ إلا لله.

قيل: إن رجلاً وامرأةً اختلفا في ولدٍ لهما أسود، فقالتِ المرأة: هو ابنُ هذا الرجل، فأنكرَ الرجل، فقال سليمان: هل جامعتها في حالِ الحيض؟ قال: نعم، قال: هو لك، وإنما سوَّدَ الله وَجهَهُ عقوبةً لكما!

قيل: وهو المرادُ بقولِهِ تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩][٧].

---

(١) في أ: أعطاه، وأشار في الهامش إلى ما هو مثبت في المتن.

(٢) في ب: الهيبة، وفي (أ) بدون نقط.

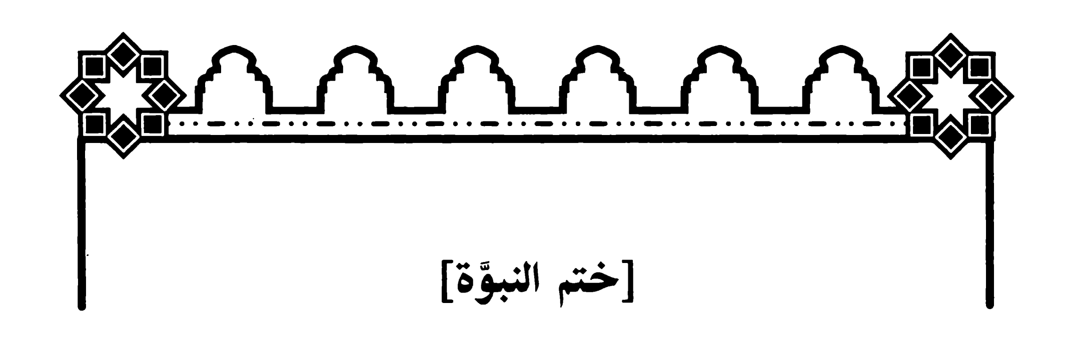
(٣) أشار في هامش (أ) أنه ورد في نسخة: بما بها.

(٤) في ج: أراد.

(٥) يعني عرش ملكة سبأ.

(٦) في ج: أراد.

(٧) لم أرَ القول المذكور في مجموعة كبيرة من التفاسير، وهو من الإسرائيليات.



[ختم النبوَّة]

١٣٣ ـ سؤال: لمَ سمَّى الله تعالى نبيَّهُ خاتمَ النبيِّين؟

الجواب: قيل: لأنَّ الختمَ شرفُ الكتاب، كذلك النبيُّ ﷺ أشرفُ[١] الخلق.

وأيضاً: الختمُ إذا وُضِعَ على الكتابِ لا يقدرُ أحدٌ على فكِّه، كذلك لا يقدرُ أحدٌ أن يُحيطَ بالقرآنِ دون محمدٍ ﷺ.

❋ ❋ ❋

١٣٤ ـ سؤال: فلمَ جعلَ خاتمَ النبوَّةِ بين كتفيه؟

الجواب: قيل: للروايةِ المشهورة، أنَّ الله تعالى قال له ليلةَ الإسراء: **«فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: قلت: أنت أعلم. إلى أن قال: فوضعَ كفَّهُ بين كتفيَّ، فوجدتُ بردها بين ثدييّ، فعلمتُ كلَّ شيء.**

ثم قال: فبمَ يختصمُ الملأُ الأعلىٰ يا محمد؟ قال: قلت: في الكفّارات، قال: ما هنَّ؟ قلت: إسباغُ الوضوءِ على المكاره، والمشيءُ إلى الجماعات، والجلوسُ في المساجدِ خلفَ الصلوات. قال: صدقتَ يا محمد، من يفعلْ ذلك يعشْ بخير»[٢].

---

(١) في ب: شرف.

(٢) أورد له الإمام الترمذي طريقين عن ابن عباس، وآخر عن معاذ. وليس فيها أنه كان في ليلة الإسراء، بل تجلَّى له ربُّه، أو أتاهُ في أحسن صورة. وقال في حديث معاذ: =

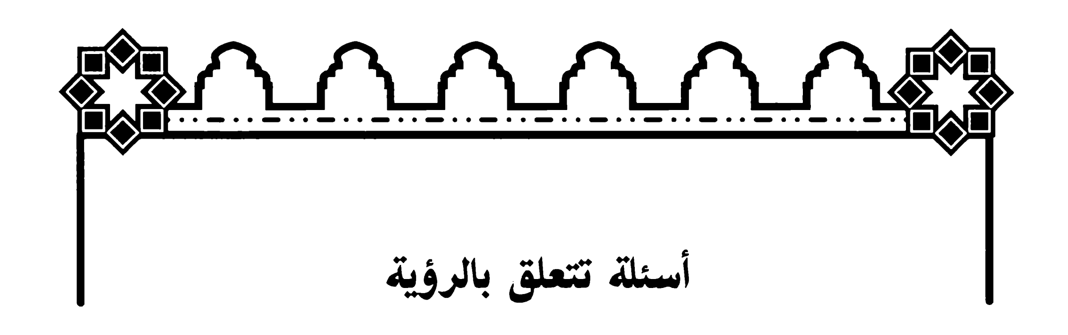
فلمّا جاءَهُ العلمُ من بين كتفيهِ ختمَ عليه بخاتمِ النبوَّةِ حتى لا ينسى شيئاً من هذا العلم، وحتى يكونَ حافظاً لما أودعَهُ مِنَ الأسرارِ وغيرِ ذلك. والله أعلم.

وأيضاً: فهو خاتَمُ الأنبياءِ بالرحمة.

وأيضاً: الختمُ على الشيءِ يقتضي ثباتَهُ وعدمَ تغييره، فكما خُتِمَ له ﷺ بالنبوَّةِ والسعادة، كذلك خُتِمَ على قلوبِ الكافرينَ بالشقاوة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٧].



= هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل [البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح... سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة ص، الأرقام (٣٢٣٣ ـ ٣٢٣٥).



أسئلة تتعلق بالرؤية

١٣٥ ـ سؤال: رؤيةُ العينين أشرف أم رؤيةُ المعرفة، أعني رؤيةَ الفؤاد؟

[**الجواب**]: قال النيسابوري: قلنا: رؤيةُ العينينِ أشرف.

قال: وسألنا[١] عبد الرحمٰن بن محمد: المعرفةُ أعلى أم الرؤية؟ فقال: الرؤية، وذلك أن العارفينَ يشتاقونَ إلى منازلِ[٢] الوصال، والواصلونَ لا يشتاقون إلى منازلِ المعرفة.

وسُئلَ عمر: أيُّها أرفع؟ فقال: الرؤية، وذلك أن واجدَ[٣] المعرفةِ في الحبس، وواجدَ الرؤيةِ في الأُنس.

وقال عبد الرزاق: المعرفةُ[٤] يتولَّدُ منها التعبُ والعناء، والرؤيةُ يتولَّدُ منها السرورُ والرضا.

وقال علي بن الموفَّق: المعرفةُ ألطف، والرؤيةُ أشرف، والمعرفةُ أشدّ، والرؤيةُ آكد.



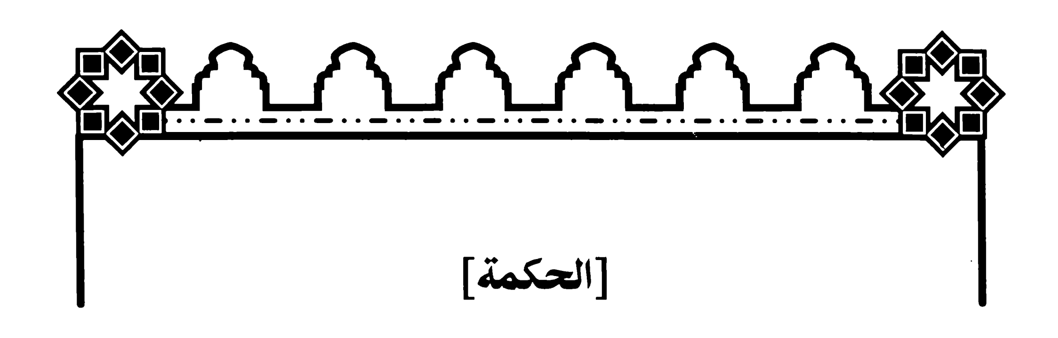
---

(١) في أ: وسُئل.

(٢) في ج: سلوك.

(٣) في ب: واحد، هنا وفيما يأتي. وكلمة «الحبس» وردت بدون نقط فيها.

(٤) ما بين كلمتي «المعرفة» هنا وما قبل، سقط من ج.



[الحكمة]

١٣٦ ـ سؤال: ما الحكمة[١]؟

[**الجواب**]: **قيل**: الحكمةُ الإصابةُ في القولِ والفعلِ والرأي.

وقيل: الإصابةُ في النظر.

ويُقال: استخراجُ عواقبِ الأمورِ عند ابتدائهِ من العيوب.

ويُقال: الخطُّ بالقلم.

ويُقال: علمٌ يحدثُ[٢] بلا سبب.

ويُقال: الوقوفُ على حقائقِ الأشياءِ عند الغوث.



(١) لم يرد السؤال في ب، ج.

(٢) في أ، ب: يتحدث.



[بين المعجزة
والكرامة والمخرقة]

١٣٧ ـ سؤال: ما الفرقُ بين المعجزاتِ والكرامات، وبين المعجزةِ والمخرقة؟

الجواب: قال النيسابوري: المعجزةُ لها بقاء، ولا بقاءَ للمخرقة، كعصا موسى، وعصا سحرةِ فرعون.

وأيضاً: المخرقةُ لا حقيقةَ لها، وليس تحتها معنى، والمعجزةُ حقيقةٌ وتحتها معان.

وأيضاً: المخرقةُ تعملُ بالآلةِ وتعملُ بالحيلة، والمعجزةُ بخلافها.

وأيضاً: المخرقةُ يعجزُ عنها عوامُّ الناس، والمعجزةُ يعجزُ عنها حذَّاقُ الناس.

وأيضاً: المعجزةُ خارجةٌ عن العادة، والمخرقةُ خارجةٌ عن العرفِ لا عن العادة.

وأيضاً: المخرقةُ يمكنُ خرقُها بأضدادها وأمثالها، ولا يمكنُ ذلك في المعجزةَ.

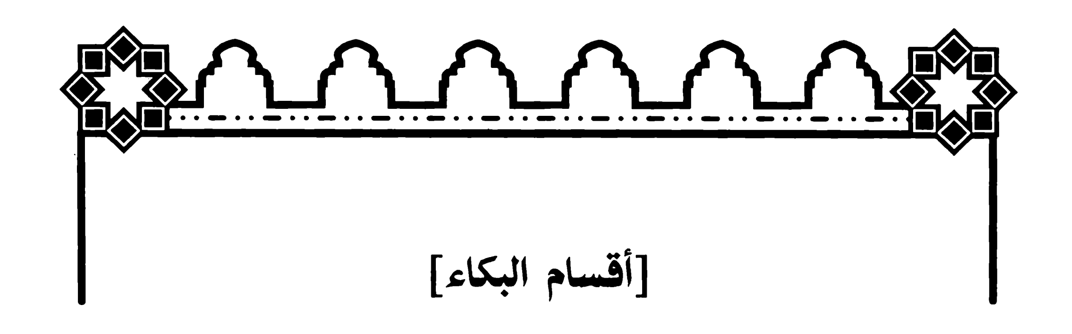
وأما **الفرقُ** بين المعجزةِ والكرامة، هو أنَّ المعجزةَ لأنبياءِ الله تعالى على دوامِ الوقت، ويجوزُ إظهارها، وربما يجب، والكرامةُ لا تكونُ إلا

بالدعاءِ والمبرّاتِ[1] والاجتهاد، ولا تُنالُ بالكسب، وتكونُ على دوام الوقت، ويجبُ أن يكتمها، فإنْ أظهرها طُرِدَ ومُنع، وإنْ تركَ المعاملةَ سُلب[2]. وربما تكونُ بالدعاء، وربما يدعو ولا يُجاب.



(١) في ب: وربما يجب، ولا تكون بالدعاء. وفي ج: وربما يجب، والكرامة لا تكون بالدعاء والميراث.

(٢) في أ، ج: سلبت.



[أقسام البكاء]

١٣٨ ـ سؤال: كم ينقسمُ البكاء؟

الجواب: قيل: على ثلاثةِ أقسام: البكاءُ من الله، وإلى الله، وعلى الله.

فالبكاءُ من الله: من توبيخهِ وتهديده.

والبكاءُ إليه: من شوقهِ ومحبَّته.

وعليه: من خوفِ الفراق.

ويُقال: البكاءُ على عشرة أوجه: بكاءُ الجنةِ لآدم، وبكاءُ الذنبِ[١] لداود، وبكاءُ الحوتِ ليونس[٢]، وبكاءُ الخوفِ ليحيى، وبكاءُ الوحشةِ ليعقوب، وبكاءُ الشوقِ لشعيب، بكى حتى ذهبَ بصرهُ مرَّتين، وبكاءُ الحزنِ للصحابة، لقولهِ تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وبكاءُ الخشية[٣]، لقولهِ تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وبكاءُ الإخرار[٤]، قولُه تعالى: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، والبكاءُ على الأموات.

قال الجنيد: الصوفيُّ من عبدَ الله على الصفا، وأطعم الهوى دون الجفا، ورمى الدنيا إلى القفا، ولزمَ منهاجَ المصطفى.

---

(١) في أ: الذنوب، وفي ج: الديب.

(٢) لم ترد هذه الجملة في ب، ج.

(٣) في ج: الوحشة.

(٤) في أ، ب: الأخلاّء.



[افتخار الرسول ﷺ]

١٣٩ ـ سؤال: في قوله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النبيِّينَ وخطيبهم وصاحبَ شفاعتهم غير فخر»[١]. وفي رواية: «ولا فخر»[٢]. والروايتانِ في مسند الإمام أحمد.

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»[٣].

ولا فخرَ أجلَّ من هذا الفخرِ ولا أشرف، فما معنى قوله: «غيرَ فخر»؟ فهل معناه[٤]: إني لا أفتخرُ بذلك؟

[الجواب]: قلت: ولا يجوزُ ذلك، لمخالفةِ الروايةِ الأخرى؛ لأنه ﷺ قال ذلك محدِّثاً بنِعَمِ ربِّه، ومُعْلِماً لنا بمقدارِهِ وشرفه، والعبدُ إذا نظرَ إلى ربِّه يفتخر.

وإنما المعنى ـ والله أعلم ـ: غيرَ أنَّهُ فخرٌ عظيم، وشرفٌ لا يساويهِ فخرٌ ولا شرف.

وهذا من بابِ الاستثناءِ المتمِّمِ للأوَّلِ والمكملِ له، لا من الاستثناءِ

---

(١) مسند أحمد ١٣٧/٥ رقم (٢١٢٨٣) وحسنه في صحيح الجامع (٧٨١).

(٢) المسند ١٣٨/٥ رقم (٢١٢٩٢) وقال محققه: صحيح لغيره.

وباللفظ الأول رواه الترمذي وغيره، سنن الترمذي (٣٦١٣) وقال: حديث حسن.

(٣) مرَّ تخريجه في الفقرة (٨٩).

(٤) في أ: فما معنى قوله: «ولا فخر أجل من هذا».

المخرج لشيء، كقولهِ ﷺ: **«أنا أفصحُ من نطقَ بالضاد، بَيدَ أني من قريش»**[2].

المعنى: وأنا مع ذلك من خيرِ الأنسابِ وأشرفِ القبائل.

وبَيْد بمعنى غير.

وقال الشاعر:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ[2]

وقول الآخر:

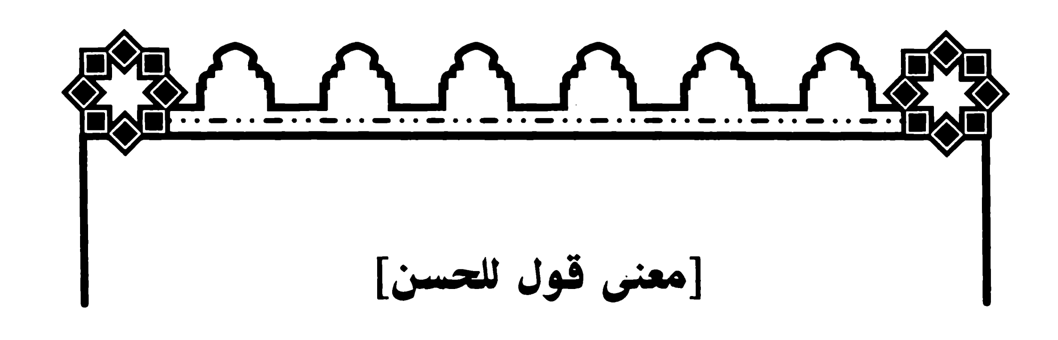
مرَّتْ ليالٍ بالعذيب ... بحمى غزالٍ لا كليبِ

مرَّتْ ولا عيبَ بها ... إلا المضيُّ بغيرِ عيبِ

---

(١) لا أصل له ومعناه صحيح. قاله في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٣٢٧/١، وكذا في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١١٦/١. وتفصيله في كشف الخفاء ٢٠٠/١ رقم (٦٠٩).

(٢) البيت للنابغة الذبياني. وشطره الأخير في ب، جـ: تهز وتلوى من قراع الكتائب.



[معنى قول للحسن]

١٤٠ ـ سؤال: ما معنى قولِ الحسن: ما من أحدٍ عملَ عملاً لله إلا بانَ في قلبه سَوْرتان، فإذا كانتِ الأولى لله تعالى فلا تهيدنَّهُ الأخرى؟

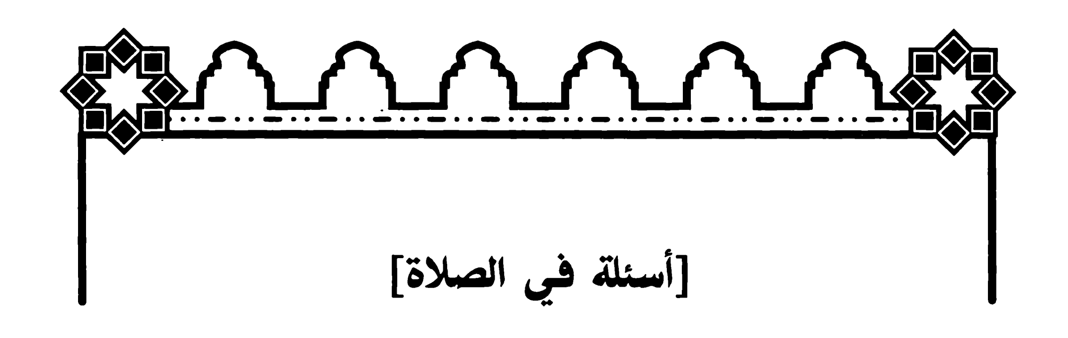
الجواب: قيل: المعنى: فلا تحركنَّهُ ولا تزيننَّه، من قولهم: لا يهيدَنَّكَ هذا الأمر، أي: لا يزعجنَّكَ ولا تبالِ به.

والمعنى: إذا أرادَ برّاً وصحَّتْ نيَّتهُ وفعله، فعرضَ له الشيطانُ فقال: إنكَ تريدُ بهذا الرياء، فلا يمنعْهُ ذلك. ونحوهُ إذا أتاكَ الشيطانُ وأنتَ تصلي فقال: إنك تُرائي، فزدها طولاً[1].



---

(١) شعب الإيمان رقم (٦٨٨٤)، النهاية في غريب الأثر ٤٢١/٢، ٢٨٦/٥. وفي هذين المصدرين «سار» بدل «بان». كما ورد في الأصل «فلا تهدينه» و«لا يهدينك». وهو من: هاده.



[أسئلة في الصلاة]

١٤١ ـ سؤال: لمَ أُمرنا بالسجودِ على سبع؟

الجواب: قيل: لقولهِ ﷺ: «**خُلقتم من سبع، ورُزقتم من سبع**[١]، **فاسجدوا لله على سبع**»[٢]. ليكونَ شكراً للجميع.

ولأنَّ الصلاةَ تواضع، فأرادَ التواضعَ من سبعةِ أعضاء، لأن من تواضعَ لله رفعَهُ الله.

وأيضاً: الصلاةُ كفّارة، فأرادَ أن يكفِّرَ بها ذنوبَ الأعضاءِ كلِّها.

❋ ❋ ❋

١٤٢ ـ سؤال: فلمَ أُمرنا بسبعَ عشرةَ ركعة؟

الجواب: قيل: لأنَّ المفاصلَ سبعةَ عشرَ مفصلاً، فأرادَ أن يُعتقَ بكلِّ ركعةٍ مفصلاً[٣].

ويُقال: الليلُ والنهارُ أربعٌ وعشرونَ ساعة، والسبعُ المثاني سبعُ آيات، يكفِّرُ بكلِّ آيةٍ ساعة[٤].

❋ ❋ ❋

---

(١) لم ترد هذه الجملة في ج.

(٢) أورده الصغاني في موضوعاته ٤٧/١، والسمرقندي في تفسيره ٥٢٦/٣ قال: وإنما أراد بقوله: «خلقتم من سبع» يعني ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ الآية.

(٣) في النسخ: بسبعة عشر.

(٤) لم ترد هذه الجملة في أ، ج.

١٤٣ ـ سؤال: لمَ جعلها مثنى وثُلاثَ ورُباع؟

[الجواب]: يُقال: لأنَّ الله تعالى جعلَ أجنحةَ الملائكةِ مثنى وثُلاثَ ورُباع، فجعلَ أجنحتكَ التي تطيرُ بها إلى الله موافقةً لأجنحتِهم ليستغفروا لك.

ويُقال: لأن الكعبةَ بُنيتْ من خمسةِ جبال: طورِ سيناء، وطورِ زيتا، والجودي، وحراء، وأبي قبيس، فلذلك وضعها خمسَ صلوات، فاعرفه.

فإن قيل: لمَ وضعها على أربعة أركان: القيام، والقعود، والركوع، والسجود؟

قيل: لأن الخلقَ أربعةُ أصناف: قائمٌ مثل الأشجار، وراكعٌ مثل الأنعام، وساجدٌ مثل الدوام، وقاعدٌ مثل الأحجار، فأرادَ أن يوافقَ الجميعَ في أحوالهم، فشاكلَ كلَّ واحد.

قال صاحبُ «أحكام الكتاب والسنَّة»: هذه الأربعُ كلمات: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله[1]، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هي صلاةُ الخلائقِ من جميع الموجودات. قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فشَرعَ الله جلَّ جلالُهُ الصلاةَ الشرعية على هذه الأركانِ الأربعة، التي هي: القيام، والقعود، والركوع، والسجود، وحركةُ الرفعِ والخفض.

وقد كان أجملها في الساكنِ الذي هو الأرض، وفي المائعِ الجاري الذي هو الماء، وفي المتحرِّكِ المتبدِّدِ الذي هو الهواء، وفي المتحرِّكِ الصاعدِ الذي هو النار.

فجعلَ القعودَ المشبَّهَ بالسكونِ من العالم التشهُّد، والمقصودُ من التشهُّدِ الشهادةُ بالتوحيد، فهو منطبقٌ على كلمةِ لَا إله إلا الله، وهي شهادةُ الموجوداتِ له بها بالتوحيد.

---

(١) في ب: سبع آيات وسبعة عشر يكفر بكل آية ساعة وكل ركعة ساعة (؟).

(٢) لم ترد الحوقلة في أ، وأخِّرت في ج بعد التهليل.

وجعلَ لحركةِ الخفضِ والرفعِ الذي هو شبيهٌ بالهواءِ في تبدُّدِه وحركته: اللّهُ أكبر.

وجعلَ الركوعَ[1] والسجودَ ـ ويجمعهما جميعاً اسمُ السجودِ الذي هو عملٌ بين القيامِ والقعود ـ شبيهاً بالماءِ الذي هو بين الأرضِ والهواء: التسبيح: سبحانَ ربِّي الأعلى، سبحان ربِّي العظيم.

وجعلَ للقيام في الصلاة، الذي هو شبيهٌ بصعودِ النار: الحمد لله. ولذلك كان ﷺ: **إذا أشرفَ على شرفٍ كبَّر، وإذا هبطَ سبَّح**[2]، **وإذا استهلَّ هلَّل**[3]، **وإذا صعدَ قال: لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم**[4].

فالأربعُ كلماتٍ هي الأصول، وهي صلاةُ الخليقةِ كلِّها.

وإنما هي أربعةُ أصول: الهواء، والماء، والنار، والأرض.

فلكلِّ واحدٍ من هذه الأصولِ كلمةٌ تختصُّ بها من هذه الأربعِ كلمات.

ولمّا أولجَ الله سبحانه وتعالى الأصولَ بعضَها في بعضٍ ومازجَ بينها، امتزجتِ الكلماتُ الأربع في الأربعِ أصول، وتركَّبتْ في أَحوالِ صلاتها، ففصَّلها جلَّ جلالُهُ في الصلاةِ الشرعيةِ على أربعةِ أركان: قيامٌ حالةَ الحمد، وقعودٌ حالةَ التشهُّد، وركوعٌ، وسجود.

---

(١) في ب، ج: للركوع.

(٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنا إذا صعدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا». صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب التسبيح إذا هبط وادياً ٤/١٦.

(٣) رواه طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهلَّه علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربِّي وربُّك الله». رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال (٣٤٥١) وقال: حديث حسن غريب.

(٤) روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً». ثم قال: «يا عبد الله بن قيس، ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله». صحيح البخاري، كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله ٧/٢١٣.

وتركها مجملةً في الصلاةِ الفطريَّةِ ليفصِّلها أولو الألبابِ بالتدبيرِ وإعمالِ الفكر.

ولمّا كانتِ الشجرُ في الدنيا على الأصولِ الأربعة، وكان ذكرها الأربعَ كلمات، كان جزاءُ مَنْ ذكرَ الله عزَّ وجلَّ بكلٍّ واحدةٍ منها أن يغرسَ بها له شجرةً في الجنَّة.

قال ﷺ: **«من قال: سبحانَ الله غُرست له شجرةٌ في الجنَّة، ومن قال: الحمدُ لله فكذلك، ومن قال: الله أكبرُ فكذلك»**[(١)].

وقال ﷺ: **«أكثروا من غراسِ الجنَّة»**. قيل: وما غراسُ الجنَّةِ يا رسولَ الله؟ قال: **«سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر»**[(٢)].

فما أصدق لهجته، وما أبينَ حكمتَهُ وأحسنَ ترصيفَ اتِّساقِ شواهده.

انتهى كلامه. قاله النيسابوري.

---

(١) هكذا أورده المؤلف أو نقله من مظانه. والذي وجدته مما يقرب منه قوله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب منه رقم (٣٤٦٤)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه له في صحيح الجامع (٦٤٢٩).

وعن ابن عباس رفعه: «من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غُرس الله له بكلٍّ واحدة منهن شجرة في الجنة». رواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٤٧١) قال الحافظ الهيثمي: ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ١٠/٩١.

وعن سلمان رفعه: «من سبَّح الله عزَّ وجلَّ تسبيحة، وحمده تحميدة، وهلَّله تهليلة، وكبَّره تكبيرة، غُرس له شجرة في الجنة...». رواه الطبراني، قال الهيثمي: وفيه محمد بن عدي عن سلمان، ولم أعرفه، وجماعة ضعفاء وثقوا. مجمع الزوائد ١٠/٩٠.

(٢) في الحديث عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن في الجنّة قيعاناً فأكثروا غرسها، قالوا: يا رسول الله وما غرسها؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». رواه الطبراني، وفيه الحسين بن علوان وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/٩٠، وبلفظ قريب في الصفحة التالية منه.

وفي الحديث أيضاً: «أكثروا من غرس الجنة فإنه عذب ماؤها طيب ترابها، فأكثروا من غراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله». رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٣٦٤، وصححه له في صحيح الجامع (١٢١٣) ولفظه منه.



[استسفار عن الاستحاضة]

١٤٤ ـ سؤال: ما معنى قوله: «الاستحاضةُ ركضةٌ من الشيطان»(١) مع أنها جَعْلُ اللّهِ تعالى، ولا عملَ للشيطانِ فيها؟

الجواب: قيل: لأنها ضربٌ من الأسقامِ والعِلل، وقد قال الله تعالى في محكمِ كتابهِ العزيز: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] وما كسبتْ أيدي الناس فبنزغِ الشيطان وكيده(٢). ذكرهُ الزمخشري في «الفائق».

وقد ذكرَ الجاحظُ أن حوّاءَ لمّا أكلتِ الشجرةَ عوقبتْ بعشرِ خصال، منها الحيض. وسببُ أكلها وسوسةُ الشيطان. والاستحاضةُ من الحيض.

وروى الإمام أحمد في المسند، عن أبي هريرة، أن النبيَّ ﷺ رأى رجلاً يشربُ قائماً، فقال له: «**قِهْ**». قال: لِمَه؟ قال: «**أيسرُّكَ أن**

---

(١) ورد هذا من قوله ﷺ لحمنة بنت جحش في حديث يطول جاء فيه: «إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان». رواه الحاكم في المستدرك ٢٧٩/١ وأن في سنده من لم يحتج به الشيخان، وأن له شواهد.

وأنه ﷺ سئل عن الاستحاضة فقال: «تلك ركضة من الشيطان في رحمها». المعجم الكبير ٢٢٢/١١ رقم (١١٥٥٧)، وبلفظ آخر في الرقم (٥٥١) ٢١٧/٢٤ والرقم التالي، والمعجم الأوسط (٧١١٩).

(٢) هكذا في النسخ، ولم أقف عليه في مصدره؟

يشربَ معك الهرّ؟» قال: لا. قال: **«قد شربَ معك من هو شرٌّ منه: الشيطان»**[1].



---

(1) رواه أحمد في المسند ٣٠١/٢ رقم (٧٩٩٠) وقال الأرناؤوط: الحديث غريب تفرَّد بروايته أبو زياد عن أبي هريرة، والغرابة بينة في متنه. وورد في ٤٣١/٥: «قئ» بدل «قه». كما رواه الدارمي في سننه رقم (٢١٢٨) ـ وفي سنده أبو زياد المذكور ـ وقال حسين أسد: إسناده صحيح. وفي الأصل نقص نقلته من المسند.



[تفسير القدم في الحديث]

١٤٥ ـ سؤال: في قولِ النبيِّ ﷺ: «يُلقىٰ في النارِ أهلُها وتقولُ: هل من مزيد؟ حتى يأتيها ربُّنا تبارك وتعالى، فيضعُ قدمَهُ عليها». وفي رواية: «حتى يضعَ الجبّارُ فيها قدمه».

وفسَّرَ بعضُهم «الجبّار» بفرعون، لأن جهنَّمَ تتلهَّفُ عليه.

«فتنزوي وتقول: قَطْ قَطْ»[1].

[**الجواب**]: قال الزمخشري في الفائق: وضعُ القدمِ على الشيءِ مثلُ الردعِ والقمع، فكأنه قال: يأتيها أمرُ الله تعالى فيكفُّها عَن طلبِ المزيد، فترتدع.

وقال أبو طالب المكي[2]: المرادُ بالقدم: مَنْ تقدَّمَ في علمِ الله تعالى أنهم من أهل النار.

---

(١) بلفظ «الرب» وره في صحيح البخاري (٤٨٤٩)، وصحيح ابن حبان ٥٠١/١ وذكر الأرناؤوط أن إسناده صحيح على شرط الصحيح. وبلفظ «الرحمٰن» في حديث طويل للترمذي برقم (٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند (٨٨٠٣). وبلفظ «الجبار» لفظه: «لا تزال جهنم تَلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار جل جلاله قدمه فيها فتقول: قط قط». رواه الديلمي في الفردوس رقم (٧٥٩٩). وينظر تخريج آخر له في الفقرة (٣٣).

(٢) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، أبو طالب، صاحب «قوت القلوب». نشأ بمكة وتزهَّد، ولقي الصوفية، وصنَّف ووعظ، وكان صاحب رياضة ومجاهدة، وكان على نحلة أبي الحسن بن سالم البصري شيخ السالمية. ت٣٨٦هـ. العبر ١٧٠/٢.

وقال أبو عبد الله بن الحاج[1] في «المدخل»[2]: القدم: المتكبِّرون، لأن جهنَّم تتلهَّفُ على المتكبِّرينَ حتى تأخذهم.

وسمِّيع المتكبِّرونَ قدماً لأنهم يُحشرونَ يومَ القيامةِ على صورةِ الذرِّ يطأهم الناسُ بأقدامهم، فسمُّوا قدماً لذلك، أو لحقارتهم، وهوانهم على الله بكفرهم.

وقيل غيرُ ذلك، والله أعلم، وله العزَّة[3].

قال النيسابوري: وأيضاً: الصلاةُ أربعةُ أشياء: حضور، وشهود، وخضوع، وخشوع.

فالحضورُ بالنفس، فمن لم يحضرْ بالنفسِ فهو ساه.

ومن لم يشهدْ بالقلبِ فهو لاه.

ومن لم يخضعْ بالأركانِ فهو واه.

ومن لم يخشعْ بالسرِّ فهو مضاه.



---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الحاج العبدري الفاسي المالكي، المتوفى سنة ٧٣٧هـ. سكن مصر وصار ملحوظاً بالمشيخة والجلالة كما قاله الحافظ ابن حجر، وأضرَّ في آخر عمره وأقعد، مات وقد تجاوز الثمانين. الدرر الكامنة ٤/٣٥٥.

(٢) مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة. ذكر ابن حجر أنه كثير الفوائد.

(٣) وأورد الحافظ ابن حجر أقوالاً أخرى في تأويل «القدم» منها ما هو أغرب مما أورده المؤلف، إلا أنه قال في الأول: اختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمَّر كما جاءت ولا يتعرَّض لتأويله... وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك... إلخ. فتح الباري ٩/٥٧٣.



[أسئلة في الصلاة]

١٤٦ ـ سؤال: لمَ جُعلَ الركوعُ واحداً والسجودُ اثنين؟

الجواب: قال النيسابوري: قال الجاحظ: الركوعُ أيضاً اثنان[1]، لأن الركوعَ هو الانحطاط، وقد حططتَ مرَّتين، واحداً[2] للركوع، والثاني حين ترفعُ رأسكَ من الركوعِ وتنحطُّ إلى السجود، فجُعلَ ركوعاً ثانياً.

ويُقال: لأن إبليسَ أُمِرَ بالسجدةِ فأبى، وأُمرنا فسجدنا رغماً له وتبرُّؤاً منه.

وقيل: لتكونَ سجدةً للخلق، وسجدةً للرزق، فهو الخالقُ والرازق.

ويُقال: لأنَّ آدمَ لمّا سجدَ تابَ الله عليه، فرفعَ رأسَهُ من السجدة، وسجدَ ثانياً شكراً لله تعالى.

وقيل: لأنهم يُدعونَ إلى السجودِ في القيامةِ حين يُكشفُ عن ساق، فيسجدُ المؤمنون، ولا يقدرُ الكافرونَ والمنافقونَ على السجود، فإذا رأى المؤمنونَ ذلك سجدوا شكراً لله تعالى.

ويُقال: لأن الملائكةَ في السماءِ ليلةَ المعراجِ رفعوا رؤوسهم من السجدةِ وسلَّموا على النبيِّ ﷺ، ثم عادوا إلى السجدة، فلذلك صارَ السجودُ للصلاةِ اثنين.

---

(١) في النسخ: اثنين.

(٢) في النسخ: واحد.

ويُقال: لأن السجودُ أحبُ الطاعات إلى الله تعالى، فلذلك كُرِّر.

وقال ابن المهاجري: رُوي أنه كان جبريل أمَّ النبيَّ ﷺ، فأطالَ السجود، فظنَّ النبيُّ ﷺ أنه قد رفعَ رأسه، فرفعَ رأسَهُ ولم يرفعْ بعد جبريل، فعادَ إلى السجود، فصيَّرها الله عبادةً يتعبَّدُ بها الخلق[1]!

❋ ❋ ❋

١٤٧ ـ سؤال: لمَ لمْ يضعْ في صلاةِ الميِّتِ الركوعَ والسجود؟

الجواب: قيل: ليكونَ فرقاً بين الفرضِ والسنَّة.

وقيل: لأن الميِّتَ اعترضَ بين المصلي وبين الله، فلو أَمرنا بالركوعِ والسجودِ لتوهَّمَ الأعداءُ أنه للميِّت.

❋ ❋ ❋

١٤٨ ـ سؤال: لمَ يدخلُ بالتكبيرِ ويخرجُ من الصلاةِ بتسليمتين؟

الجواب: قيل: لأن التكبير واحدٌ والسلامُ اثنان، فمتى وحَّدتَ وصلتَ، ومتى ثنَّيتَ انفصلتَ، ليُعلمَ فضلُ التوحيد على التثنية.

❋ ❋ ❋

١٤٩ ـ سؤال: ما الحكمةُ في رفعِ الأيدي والجهرِ بالتكبير؟

الجواب: قيل: ليستدلَّ الأعمى بالتكبير، والأصمُّ برفعِ اليدينِ على انتقالاتِ الصلاة.

وقيل: لأن الكفرةَ كانتْ إذا صلَّتْ حملتْ أصنامها تحت آباطها، فشُرِعَ رفعُ اليدين تَبرُّؤاً من فعلهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها، وضمُّ اليدينِ إلى الصدرِ قبولُ أمرهِ ونهيه.

---

(١) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع.

وقيل: معناه: رددتُ وسوسةَ إبليس، وقبلتُ إلهامَ المَلَك.

ويُقال: معناه: إني غريقٌ في بحرِ الخطايا فخذْ بيدي وأنعشني.

ويُقال: معناه: رفعتُ يدي إلى وجهِكَ[١] واستسلمتُ لك.

❋ ❋ ❋

١٥٠ ـ سؤال: لمَ أُمِرَ الرجالُ برفعِ الأيدي إلى الآذان، وأُمِرَ النساءُ برفعِ الأيدي إلى الثديين[٢]؟

الجواب: قال النيسابوري: لأن الاستماعَ بالأذنين، فكأنه قال: سمعتُ بأذني ما أمرتني فكبَّرتُ لك.

وأما النساء، فكأنهنَّ قلن: انقَدْنَ لكَ وخضعْنَ لك.

قال: **ويُقال**: إن إبراهيمَ عليه السلام لمّا أُلقي في النار، نظرتْ سارةُ إليه فآمنتْ به، فعرَّوْها عن ثيابها، فاستحيت، فوضعتْ يديها على ثدييها، ودخلتِ النارَ خلفَ إبراهيم حتى قعدتْ عند إبراهيم، فزوَّجتْ نفسها منه بغيرِ ولي؛ ولأجلِ هذا أُمِرَ سائرُ النساء برفعِ اليدين إلى الثديين[٣].

❋ ❋ ❋

١٥١ ـ سؤال: لمَ وضعَ اليمنى على اليسرى[٤]؟

الجواب: قال النيسابوري: هو أنَّ اليمينَ[٥] حقٌّ والشمالَ باطل، فكأنه يقول: أحييتُ الحقَّ وأمتُّ الباطل.

❋ ❋ ❋

---

(١) في ب: قيدك!

(٢) لعله يعني عند تكبيرة الإحرام أو الرفع من الركوع، ولم أجده في شرح الخطيب الشربيني على منهاج النووي (مغني المحتاج). ولم يتبين لي كونه «أمراً» فلعله يعني الندب؟

(٣) هذا من الإسرائيليات، ومما لا يصدَّق.

(٤) في ب: الشمال.

(٥) في ب، ج: اليمنى.

١٥٢ ـ سؤال: لمَ جلسَ على رجلهِ اليسرى دون اليمنى؟

الجواب: قيل: معناه: فأمّا ما ليس لكَ فيه رضى فقد أسفلتهُ ووضعتهُ تحتي، ونصبتُ ما لكَ فيه رضى.

❋ ❋ ❋

١٥٣ ـ سؤال: من صلى هذه الصلاةَ أولاً؟

الجواب: قيل: أوَّلُ من صلَّى الفجرَ آدم، والظهرَ إبراهيم، والعصرَ يونس، والمغربَ عيسى، والعتمةَ موسى.

ويُقال: أوَّلُ مَنْ صلى الملائكة، فأمَّهم جبريل.

ويُقال: أوَّلُ مَنْ صلى هذه الصلواتِ(١) آدم؛ شكراً لقبولِ توبته.

❋ ❋ ❋

١٥٤ ـ سؤال: فبأيِّ نيَّةٍ يدخلُ في الصلاة؟

الجواب: قيل: بنيَّةِ المناجاةِ مع الربّ.

وقيل: بنيَّةِ أن الحُجّاجَ يطوفونَ حول بيتِكَ وأنا أطوفُ بقلبي حول عرشك.

وقيل: بنيَّةِ خطبةِ الحور، فإنَّ(٢) المصلِّيَ خاطب.

وقال ﷺ: «**المصلي خاطب، وأكثركم أزواجاً في الجنَّةِ أكثركم صلاةً في الدنيا**»(٣).

ويُقال: بنيَّةِ الاعتذارِ من التقصيرِ والاستغفارِ من الذنوب، لأن الأعمالَ بالنيّات.

---

(١) في أ: الصلاة.

(٢) في ج: قال الموصلي: لأن.

(٣) وقفت على حديث بلفظ: «أكثركم عليَّ صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة» في «بستان الواعظين ورياض السامعين» لابن الجوزي ٣٠٤/١، ٣٠٨، ولم أقف على درجته. ويأتي الحديث مكرراً مع موضوعات وردت هنا، في الفقرة (٢١٧).

ويُقال: بنيَّةِ أني أفعلُ فعلاً تشتغلُ جميعُ أعضائي به، ليغفرَ لي ببركته.

ويُقال: بنيَّةِ الغزوِ والحرب، لأن المصلِّي يحاربُ الشيطان، ومن ذلك سمِّيَ المحرابُ محراباً[1]؛ لأنه موضعُ الحرب[2].

وقد اشتملتِ الصلاةُ على التوبة، لأن من قامَ إليها رجعَ عن لهوه، فهو تائبٌ إلى اللهِ تعالى، فهي عبادة.

وفيها الحمد، وفيها الصيام؛ لأنه المصليَ لا يأكلُ ولا يشرب.

وفيها السجود، وفيها الركوع، وفيها الأمرُ بالمعروف؛ لأنه يأمرُ نفسَهُ بالمعروف، وهو حضورُ القلب، وأداءُ الواجبات.

وفيها النهيُ عن المنكر؛ لأنه ينهى نفسَهُ عن الوسوسةِ وفعلِ المبطلات.

وفيها المحافظةُ على حدودِ الله تعالى.

وفيها الجهادُ، لأنه يجاهدُ الشيطانَ والنفس. فمن صلَّى صلاةً فقد دخلَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

ودخل في قولهِ تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

والسائحون: الصائمون. قال ﷺ: **«سياحةُ أمّتي الصوم»**[3].

فسمّاهُ الله سائحاً لأنه لا يحملُ معه طعاماً ولا شراباً، كالسائحِ في الأرض.

❋ ❋ ❋

---

(١) في أ: المحارب محارباً.

(٢) يدخل في الصلاة بنية عبادة الله سبحانه.

(٣) ورد هذا الحديث في عدة تفاسير عند تفسير الآية السابقة، كما ورد عن عدة صحابة رضي الله عنهم، وساق مجموعة منها الإمام السيوطي في الدر المنثور ٥٠٣/٣، منهم ابن جرير الطبري، والبيهقي، وابن مردويه...

١٥٥ ـ سؤال: وبأيِّ شيءٍ يذكرُ عند كلِّ ركنٍ من أركانها؟

الجواب: قال النيسابوري: يذكرُ عند الأذانِ قولَهُ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١].

وعند التكبير: يذكرُ تعظيمه، حيث يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وعند رفعِ اليدينِ يذكرُ قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩].

وعند القيامِ يذكرُ قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤].

وعند الركوعِ يذكرُ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢].

وعند السجود قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

وعند السجود الثاني: ﴿يوم يسحبون في النار عل وجوههم﴾ [القمر: ٤٨].

وعند التشهد قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨].

وعند السلام قوله عليه الصلاةُ والسلامُ إخباراً عن الله تعالى: «**هؤلاء إلى الجنة ولا أباليَ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**»(١).

وعند الخروجِ من المسجد: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧](٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أوله: «خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء في الجنة...». رواه ابن حبان في صحيحه ٢/٥٠ رقم (٣٣٨) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. ورواه أحمد في مسنده ٤/١٨٦ رقم ١٧٦٩٦ وقال الأرناؤوط أيضاً: صحيح لغيره وإسناده مضطرب... وله روايات وطرق أخرى.

(٢) يأتي مثل هذا مكرراً في الفقرة (٢١٧).

ولعل الصحيح في هذا أن المصلي ينشغل بما أمر به من أقوال وأفعال أثناء الصلاة.

١٥٦ ـ سؤال: لمَ استحبَّ الجهرُ في الليلِ دون النهار؟

الجواب: قيل: لأنَّ صلاةَ الليلِ في الأوقاتِ المظلمة، فاستُحِبَّ الجهرُ فيها ليعلمَ المارُّ أن هاهنا جماعةً تصلي.

ولأن الكفارَ إذا سمعوا القرآنَ ألغوا فيه[(١)]، فأُمرنا بالجهرِ عند اشتغالهم بالنوم، وتركِ الجهرِ في وقتِ حضورهم، لئلا يلغوا فيه.

وإنما استحبَّ الجهرُ في صلاةِ الجمعةِ والعيدينِ لحضورِ أهلِ البوادي والقرى، كي يسمعوهُ فيتعلموه[(٢)].

❋ ❋ ❋

١٥٧ ـ سؤال: ما الحكمةُ في الجماعة؟

الجواب: قيل: لأن المذنبَ إذا اعتذرَ من سيِّدهِ فيجمعُ الشفعاء، والمصلي يعتذر.

ولأن طالبَ الحاجةِ يأتي بالشفعاءِ لتُقضىٰ حاجته.

ولأن الصلاةَ ضيافةٌ ومائدة، والكريمُ لا يضعُ المائدةَ إلا لجماعةٍ كثيرة.

وأيضاً: لتكونَ العبادةُ طاهرةً لله تعالى مكشوفة، لتكونَ حجَّةُ الله على خلقهِ ظاهرة.

وأيضاً: لتكونَ شهادةُ المسلمينَ بعضِهم لبعضٍ جائزةً إذا رأوهم يصلُّون.

وأيضاً: لأن عملَ الواحدِ لا قيمةَ له، وإنما القيمةُ للجماعة.

وأيضاً: قال النبيُّ ﷺ: «**ما اجتمعَ من المسلمينَ في جماعةٍ أربعون**

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

(٢) في النسخ: كي يسمعونه فيتعملونه.

رجلاً إلا وفيهم رجلٌ مغفورٌ له»[1]. أوردَهُ النيسابوري. فأرادَ أن يغفرَ لك ببركته.

وهذا هو السرُّ في قولهِ ﷺ: **«ما من ميتٍ يصلي عليه أمّةٌ من الناسِ إلا شفعوا فيه»**. رواه الطبراني في المعجم الكبير[2].

والأمَّةُ من الناسِ أربعونَ رجلاً إلى المائة، والرهطُ من التسعةِ إلى الأربعين، والنفرُ من ثلاثةٍ إلى التسعة.

وأيضاً: أحبَّ الله اجتماعَ المسلمينَ وأُلفتهمْ فأمرَ بالجماعةِ في الصلواتِ الخمس، والجمعة، والأعياد، وبالموقفِ يومَ عرفةَ لأهلِ الدنيا، فشرعَ لأهلِ المحالِّ جماعاتِ الخمسِ صلوات، وأهلِ البلدِ يومَ الجمعةِ[3] والعيدين، ولأهلِ الدنيا عرفة؛ ليتفقَّدوا من مرضَ فيعودونه، من غابَ وقد ماتَ فيصلُّون عليه.

وأيضاً: قالتِ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. فالباري تعالى يفتحُ أبوابَ السماءِ عند إقامةِ الجماعاتِ لتعلمَ الملائكةُ أنهم على خلافِ ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) لم أره بهذا اللفظ.
ويأتي قول النيسابوري في الفقرة (٢٣٣): الحكمة في الأربعين أنه لم يجتمع قط أربعون إلا ولله فيهم عبد صالح.

(٢) هذا لفظ النسائي في سننه ٧٦/٤ رقم (١٩٩٣) وقد حسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٨٧). وبلفظ: «ما من ميت يموت فيصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه». رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٦٠٣٦). ولفظه في المعجم الكبير: «ما من رجل يصلي عليه مائة إلا غفر الله له» رقم (٥٠٣) ١٩٠/١، وقال فيه الحافظ المنذري: فيه مبشر بن أبي المليح لا يحضرني حاله. الترغيب والترهيب ٣٤٣/٤، وقال الحافظ الهيثمي فيه: لم أجد من ذكره. مجمع الزوائد ٦٣/٣. وبلفظ قريب رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٠٨١) وذكر الأرناؤوط أن إسناده قوي.

(٣) الجملة السابقة لم ترد في ج.

١٥٨ ـ سؤال: ما معنى قولِه ﷺ: «صلاةُ الجماعةِ تزيدُ على صلاةِ الفذِّ بسبعٍ وعشرين»[١]. وفي رواية: «بخمسٍ وعشرين»[٢].

الجواب: قيل: لأن التضعيفَ ينتهي إلى سبعمائةِ ضعف، والخمسُ والعشرونَ والسبعُ والعشرونَ إذا ضُرِبَ أحدهما في الآخرِ بلغَ نحو سبعمائة، فسيق[٣] ذلك منتهى الضعف.

وقيل: بل أخبرهم أولاً بخمسٍ وعشرينَ ثم سبعٍ وعشرين، فكان فيه البشارةُ مرتين، وإدخالُ السرورِ على القلبِ مرَّتينِ أبلغُ من مرَّة.

فإنْ قيل: لَمَ كانتِ الحسناتُ سبعاً وعشرين؟

قيل: لأنَّ الجماعةَ مأخوذةٌ من الجمع، والجمعُ أقلُّهُ ثلاثة، وصلاةُ الإنسانِ وحدَهُ بعشرِ حسنات، والعشرُ حسناتٍ فيها واحدةٌ أصلٌ والتسعةُ تضعيفٌ بفضلِ الله تعالى، فإذا اجتمعتِ التضعيفاتُ كانت سبعاً وعشرين، فتُكتبُ بكلٍّ واحدة.

ثم إن الله تعالى أعطى ذلك لاثنين، لقوله ﷺ: **«الاثنان فما فوقهما جماعة»**[٤].

وقال الحليمي في «المنهاج»: يحتملُ أنَّما فضلتْ صلاةُ الجماعةِ صلاةَ الفذِّ بسبعٍ وعشرين، لأن كلَّ صلاةٍ أقيمتْ في الجماعةِ كصلاةِ يومٍ وليلةٍ إذا

---

(١) بلفظ «تفضل» بدل «تزيد» رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة رقم (٦٤٥).

(٢) رواه البخاري باللفظ السابق... رقم (٦٤٦). وبلفظ: «صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة» في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق رقم (٤٧٧). وباللفظ الذي أورده المؤلف، لكن آخره «خمساً وعشرين». رواه أبو نعيم في الحلية ٣٨٦/٨.

(٣) في أ، ب: فسبق.

(٤) أورده الإمام البخاري تعليقاً، وسمى به أحد أبواب كتاب الأذان من صحيحه، ورواه الحاكم في المستدرك ٣٧١/٤ رقم (٧٩٥٧)، وابن ماجه في سننه رقم (٩٧٢)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٦٦٢٠)... وضعفه في ضعيف الجامع (١٣٧).

أقيمتْ لا في جماعة، لأن فرائضَ اليومِ والليلةِ سبعَ عشرةَ ركعة، والرواتبُ عشر، فالجميعُ سبعٌ وعشرون.

ويحتملُ أن يكونَ ذلك إشارةً إلى ما فيها من الفوائدِ العائدةِ على المصلِّي من أمنهِ[1] من السهوِ عن بعضِ أركانِ الصلاة.

ولما في الجماعاتِ من إظهارِ شعائرِ الدين، ولما فيها من كثرةِ العمل، وانتظارِ الصلاة، والمشي إليها، والاجتماعِ على جماعةِ المسلمينَ وتفقُّدِ أحوالهم. وإفشاءِ السلامِ بينهم، وسؤالِ بعضهم عن بعض، وأداءِ اجتماعهم إلى إنشاءِ المساجد، وعمارة مستهدمها، ونصبِ مؤذِّنٍ وإمام، وتشبيهِ صلاتهم بالجمعة، التي هي أكملُ الصلوات، وإيقاعِ الصلواتِ في أوَّلِ وقتٍ غالباً، بخلافِ المنفردِ، فإنه يتكاسلُ فيؤخِّر، وربما فاتَهُ الوقت.

وفي الجماعةِ غيظُ الكفّارِ إذا شاهدوا اهتمامَ المسلمينَ بأمرِ دينهم.

وفيها تشبيهٌ بالملائكةِ المقرَّبين، حيث يقولون: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

وفيها تشبيهُ صفوفهم بصفوفِ المجاهدين، من الذين قال الله في حقهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

وفيها: أن صلاةَ بعضهم وراء بعضٍ أخضع، ومن التجبُّرِ أبعد.

ومن فوائدها: أنه إذا دخلَ مع القوم مَنْ لا يُحسنُ الصلاةَ تعلَّمَ منهم، فيصلِّي بصلاتهم، فتكونُ من هذا الوجهِ إعَانةً لهم على البرّ.

وفيها: أن الاقتداءَ بالإمامِ يُظهرُ الانقيادَ والطاعة.

وفيها: أن القبلةَ هي البيت، **وعنده كانت إمامةُ جبرائيلَ بالنبيِّ ﷺ**[2]،

---

(١) «من أمنه» لم يرد في أ

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّني جبريل عليه السلام عند البيت مرَّتين...». سنن الترمذي، الحديث الأول من كتاب الصلاة (١٤٩)، المستدرك ٣٠٦/١ رقم ٦٩٣، وصححه في صحيح الجامع (١٤٠٢).

ومعلومٌ أن المصلينَ جماعةً حول البيتِ عليهم استيفاءُ جميعِ الجهات، بخلافِ المنفرد.

وفيها تسليمُ بعضهم على بعض.

والإمامُ يدعو لنفسهِ وللقوم، وكلٌّ من القومِ مؤمِّنٌ[1]، ويدعو لنفسهِ وللقوم.

وفيها تشبيهٌ بالحجِّ والصوم؛ لأن المسلمينَ يصومونَ معاً ويحجُّونَ معاً، فناسبَ أن يصلُّوا معاً[2].

وفي الجماعةِ إظهارُ الاحتياج إلى غيرهِ ليصليَ معه، فيتقوَّى به.

وفي الجماعةِ سببٌ لجهرِ الإمامِ في بعضِ الصلوات، ولولا الجماعةُ ما حصلَ الجهر، الذي هو زيادةٌ في الخير.

وفيها: أن الجماعةَ زينةٌ للصلاة، لأن الجماعةَ من مناسكِ الحج، فناسبَ أن تُجعلَ من مناسكِ الصلاة[3].

وفيها: أن الجماعةَ نصرةٌ حاضرة، حتى لو وقعَ خوفٌ حرسَ بعضهم بعضاً. وصلاةُ الانفرادِ خذلانٌ ووحشة.

فهذه نحو سبعةٍ[4] وعشرينَ وجهاً وأكثر.

قال النيسابوري: وفي الجماعاتِ تذكيرٌ بجمعِ القيامةِ وتشبيهٌ[5] بها، كما قيل: اجعلوا خروجكم من منازلكم إلى أعيادكم كخروجكم من قبوركم.

ولأن الله تعالى أرادَ أن يجلِّيهم على الملائكةِ ويباهي بهم، فأمرَ في

---

(١) في النسخ: مؤمن.

(٢) لم ترد الجملة السابقة في أ.

(٣) في ب: يجعل من مناسكه.

(٤) في النسخ: السبعة.

(٥) في النسخ: تشبيهاً.

الصلاةِ بالصفوفِ في الجماعات، وفي الغزوِ بالطبول، وفي الحجِّ بالجِمال، فشهرهم عند الطاعات، وسترهم عند المعاصي.

قال جعفر: سبحان من سترَ علينا عند القبائح، ونشر منا المدائح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا من أظهرَ الجميلَ وسترَ القبيح**»[1].

❋ ❋ ❋

١٥٩ ـ سؤال: لمَ حطَّ من صلاةِ الجمعةِ ركعتين؟

الجواب: قيل: لأن الناسَ يسعونَ إليها من بعيد، فأرادَ الله أن يخفِّفَ عنهم التعبَ الذي أصابهم.

ولأن الجمعةَ عيدُ المساكين، وصلاةُ العيدِ ركعتان.

ولأن الخطبتين بدلُ الركعتين.

❋ ❋ ❋

١٦٠ ـ سؤال: لمَ قال: «أوَّلُ الوقتِ رضوانُ الله»[2] وما معنى ذلك؟

الجواب: قيل: قال بعضهم: لم يقل: «أول الأوقات» بل قال: «أول الوقت»، وعنيَ به المغرب، وأوسطهُ الظهرُ والعصرُ والعشاء، وآخرهُ الصبح، حكاهُ النيسابوري.

قال: ويُقال: الوقتُ وقتان: وقتُ الأداء، ووقتُ القضاء.

فوقتُ الأداءِ هو أوَّلُ الوقت، وهو رضوانُ الله.

---

(١) في حديث طويل أن جبريل قال للرسول ﷺ: «قل: يا من أظهرَ الجميل وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر...». رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٢٩ رقم (١٩٩٨)، والعقيلي في الضعفاء ٢/٩٢. وقد ذكر الذهبي أن الحاكم صحح إسناده، لكن ردَّه، وأن فيه من نسب إلى الكذب. لسان الميزان ١/٢٦٣.

(٢) هذا يُروى حديثاً، فقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/٤٣٥ رقم (١٨٩٢)، والدراقطني في السنن ١/٢٤٩ رقم (٢١) والتالي له، وابن حبان في المجروحين ٣/١٣٨، والديلمي في الفردوس (٨٩)، وابن عدي في الكامل ١/٢٥٦ في ترجمة إبراهيم بن زكريا، وأنه غير محفوظ، وأنه في جملة الضعفاء. وقد ضعفه الألباني للدارقطني في الموضعين، في ضعيف الجامع (٢١٣٠)، (٢١٣١).

وآخرُ الوقتِ هو وقتُ القضاء، وهو عفوُ اللّهِ عمَّن قضىٰ الصلاةَ خارجَ وقتها.

قال: ويُقال: «أوَّلُ الوقتِ» يعني في الأزمان، «رضوانُ الله» وهو وقتُ خروجِ النبيِّ ﷺ، وأوسطهُ آخرُ الزمان، وآخرهُ عند الموت.

❋ ❋ ❋

١٦١ ـ سؤال: لمَ شُرِعَ طولُ القراءةِ في صلاةِ الصبح؟

الجواب: قيل: لأنك لمّا نمتَ واستَرحتَ أمركَ بتطويلِ القراءة[١]. وإنما شُرِعَ في الليلِ قِصارُ المفصَّلِ، لأنه قد اجتمعَ عندها شغلان: شغلُ الليلِ والنهار. ولمّا تعبتَ[٢] واسترحتَ ساعةً أمركَ في العشاءِ أن تقرأ أكثر.

قال النيسابوري: وشُرعتِ النوافلُ لتكملَ الفرائض، أو تزييناً لها، كما أنَّ الحُليَّ زينةُ العروس.

قال: والسننُ سبعة:

سنَّةُ البيان، وهي بيانُ كيفيةِ الشريعة.

وسنَّةُ التحصين، مثلُ ركعتي الفجرِ والمغرب.

وسنَّةُ التزيين، مثلُ تسبيحِ الركوعِ والسجود.

وسنَّةُ التنظيف، مثلُ خمسٍ في الرأس، وخمسٍ في البدن.

وسنَّةُ التأديب، مثلُ: «**كلوا بثلاثةِ أصابع**»[٣].

وسنَّةُ الترغيب، مثلُ قيامِ الليل.

وسنَّةٌ فعلُها أحياناً وتركُها أحياناً، كالتراويح.

---

(١) سقط سطر من ج.

(٢) في ب: تعشيت.

(٣) عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها». صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة رقم (١٣١، ١٣٢).



[أسئلة في الطهارة]

١٦٢ ـ سؤال: لَمَ أمركَ بالماءِ والتراب؟

الجواب: قيل: لأن أصلَ آدمَ من التراب، وأصلُكَ من الماء، وأنهما أوسعُ شيءٍ في الأرضِ وجوداً، فأمركَ بهما لئلا تُعْذَرَ بفقد أحدهما[(١)].

❋ ❋ ❋

١٦٣ ـ سؤال: فلمَ خصَّ الأعضاءَ الأربعةَ بالوضوء؟

الجواب: قيل: لأن آدم عليه الصلاةُ والسلام توجَّهَ إلى الشجرةِ بالوجه، وتناولَ منها باليد، ومشىٰ إليها بالرِّجل، ووضعَ يدَهُ على رأسه، فأمرَهُ بغسلِ هذه الأعضاء.

ويُقال: أكثرُ معاصي بني آدمَ من هذه الأعضاءِ الأربعة[(٢)]، وأغلبُ الأعمالِ بها، فأُمِرَ بغسلها تكفيراً لخطاياه. وقد جاءَ في الحديث:

«إن العبدَ إذا غسلَ وجهَهُ خرجتْ خطاياهُ حتى تخرجَ من تحت أشفارِ عينيه»[(٣)].

---

(١) في أ، ب: لئلا يتعذر بفقدانهما، وفي ج: لئلا تعذر بفقدانهما، وأشار في هامش (أ) أنه ورد في نسخة «يتعذر لفقد أحدهما».

(٢) سقط من أ، ج من أول السطر حتى هنا. وتركيب المتن هكذا من قبل المحقق.

(٣) في حديث أنس المرفوع: «من توضأ فمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه وأنفه، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه حتى يخرج من تحت أشفار عينيه...». رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب ثواب الطهور رقم (٢٨٢).=

وكذلك في بقيَّةِ الأعضاء.

قال النيسابوري: ويُقال: لأن آدمَ عليه السلام لمّا أكلَ من الشجرةِ، وبلغتْ قوَّتَهُ إلى الأعضاءِ الأربعة، فأمرَهُ بغسلها.

ويُقال: لأن هذه الأعضاءَ ظواهر، فقال: نقِّ أنت ظواهرك، حتى أنقِّي أنا بواطنك.

ويُقال: أمرَهُ بغسلِ هذه الأعضاءِ شكراً لإعتاقها من السجودِ للصنمِ وقيامها بين يديه.

ويُقال: لأن هذه الأعضاءَ تجمعُ[1] الدنيا، فأمرَ بتطهيرها؛ لأن نجاسةَ جمعِ[2] الدنيا أكثرُ من نجاسةِ الحدث.

ويُقال: لأن العروسَ تزيِّنُ وجهها، وهذه الأعضاءُ الأربعةُ دون سائرها، فقال: أنت عروسٌ لأنك خاطبٌ للحورِ العين.

وقال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] حتى أزيِّنكم في الدنيا وأحلِّيكم في الآخرة، فقال: في الدنيا الماءُ طِيْبُ مَنْ لا طِيْبَ له، وفي القيامة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩][3].

❋ ❋ ❋

١٦٤ ـ سؤال: لمَ أمرَ بالختان؟

الجواب: قيل: للطهارةِ من البول، لأن البولَ يبقى في الكمرة، والغلافُ إذا لم يُقطعْ فحينئذٍ ينجسُ الثوب.

ويُقال: أمرَ بذلك لأنه وضعَ على كلِّ عضوٍ عبادةً وعلامةً يُعرفُ بها.

= ومن حديث أبي عبد الله الصنابجي عند أحمد أوله: «من مضمض واستنشق خرَّت خطاياه من فيه. . .». مسند أحمد ٣٤٨/٤ رقم (١٩٠٨٧)، وذكر شعيب الأرناؤوط أنه حديث صحيح وإن إسناده مرسل قوي.

(١) في ب، ج: لجمع.

(٢) في أ: جميع.

(٣) وما لم يورده المؤلف أن هذه الأعضاء عرضة للاتساخ أكثر من غيرها ولذلك أمرنا بغسلها.

فوضعَ على القلبِ التوحيد، وعلى اللسانِ الشهادة، وعلى الوجهِ الوضوء، وعلى الجبينِ السجدة، وعلى الرأسِ المسحَ وفرقَ الشَّعر، وعلى الشفةِ قصَّ الشارب، وعلى الأصابعِ تقليمَ الأظفار، وعلى العانةِ حلقها، وعلى الإبطِ نتفه، كذلك على الذكرِ الختان.

❋❋❋

١٦٥ ـ سؤال: لمَ أمرَ بغسلِ جميعِ البدنِ في الجنابةِ دون البول؟

الجواب: قيل: لأنَّ **تحت كلِّ شعرةٍ جنابة**[١].

وقيل: ليريكَ أن تحت كلِّ نعمةٍ شدَّة.

وأيضاً: لأن كلَّ عضوٍ من أعضائكَ وجدَ لذَّةَ التمتُّع، فيجبُ لكلِّ عضوٍ شكر.

وأيضاً: لمخالفةِ الكفَّار، فإنهم لا يغتسلون، فأمركَ بالغُسلِ لمخالفتهم، وبوجهِ[٢] تعدُّدهم.

ويُقال: لأنه ليس في الجنَّةِ اغتسال، ليُريهم قَدْرَ الجنَّة.

وأيضاً: التمتُّعُ في وفاقِ النفس، والاغتسالُ على مخالفتها، وخلافُ الهوى واجب.

ولأنَّ المنيَّ جاورَ مياهَ المشركينَ في صُلبِ آدم، فقال: اغتسل منه، لأن زهومةَ مياهِ المشركينَ أصابتْ ماءكَ.

وعند الموتِ يُغتسل[٣]؛ لقوله ﷺ: «**ما من ميِّتٍ يموتُ إلا يُجنبُ عند الموت**»[٤]. أوردهُ النيسابوري.

---

(١) ورد في الحديث: «تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة». رواه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة رقم (١٠٦)، وضعفه له ولأبي داود وابن ماجه في ضعيف الجامع (١٨٤٧).

(٢) في أ: وتوجه، وفي ج: ولوجه.

(٣) في ب، ج: عند الموت فيغتسل.

(٤) لم أجده.

وقال بعضُ أصحابِ القفّال: اختلفوا في معناه:

فقيل: إنه من شدَّةِ النزعِ يُنزل.

وقيل: إن الميتَ إذا فارقتْهُ الروحُ وارتاحَ[1] من شدَّةِ النزعِ التذَّ فأنزل!

***

١٦٦ ـ سؤال: الطهارةُ على كم وجه؟

الجواب: قال النيسابوري: على عشرةِ أوجه:

- طهارةُ الفؤاد، وهي صرفهُ عمّا دون الله تعالى.
- وطهارةُ السرّ، وهي رؤيةُ المشاهدة.
- وطهارةُ الصدر، وهي الرجاءُ والقناعة.
- وطهارةُ الروح، وهي الحياءُ والهيبة.
- وطهارةُ البطن، وهي أكلُ الحلالِ والعفَّةُ.
- وطهارةُ البدن، وهي تركُ الشهواتِ وكسرُ الهوى.
- وطهارةُ اليدين، وهي الورعُ والاجتهاد.
- وطهارةُ المعصية، وهي الحسرة والندامة.
- وطهارةُ اللسان، وهي الذِّكرُ والاستغفار.
- وطهارةُ التقصير، وهي[2] خوفُ الخاتمة.

قال يزيد: مُنعتِ الحائضُ الصلاةَ[3] لنجاستها، فكيف بنجاسةِ المعصية؟ فكما أنها ممنوعةٌ من الخدمةِ فمخوفٌ أن يكونَ العاصي ممنوعاً من المخدوم.

---

(١) في ب: ارتاع.

(٢) في المواضع السابقة ورد في (أ) و(ب) أحياناً «وهو» وأحياناً «وهي».

(٣) «الصلاة» لم ترد في ب، ج.

قال النيسابوري: النجاسات عشرة:

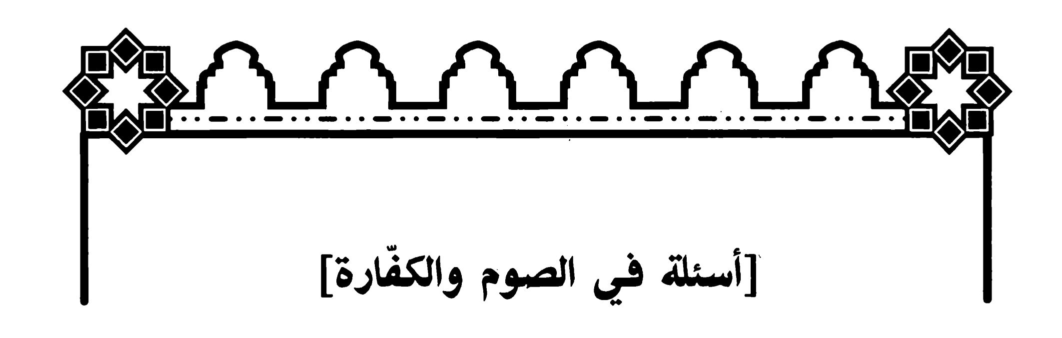
- نجاسةُ الكفر، وطهارتهُ الإخلاص، قولهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة: ٤١].
- ونجاسةُ الجهل، وطهارتهُ العلمُ والقرآن، قولهُ تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ٤].
- ونجاسةُ الحرام والشبهة، وطهارتهُ بالصوم، لقولهِ ﷺ: «**من رمضانَ إلى رمضانَ كفّارةٌ لمَا بينهما**»[1]. ولهذا يستحبُّ أكلُ الحلالِ في رمضان[2].
- ونجاسةُ المال، وطهارتهُ بالصدقةِ والزكاة، قولهُ تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].
- ونجاسةُ الحسدِ والحرص، وطهارتهُ بالفكرِ والعبر، قولهُ ﷺ: «**تفكرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنة**»[3].
- ونجاسةُ الحيض، وطهارتهُ بالنقاءِ والغُسل، قولهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
- ونجاسةُ الجنابة، قولهُ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ [المائدة: ٦].
- ونجاسةُ الحَدَث، وطهارتهُ غسلُ الأعضاءِ الأربعة.
- ونجاسةُ المعصية، وطهارتها التوبة، قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢].

---

(١) قوله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراتٌ ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر». صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس رقم (١٦/٢٣٣).

(٢) لعله يعني هنا التحري والتأكد أكثر، وإلا فهو مطلوب دائماً.

(٣) أورد له الحافظ العراقي روايات بألفاظ متقاربة... وأن إسناده ضعيف جداً. إحياء علوم الدين ٦١٥/٤ ـ ٦١٦، وينظر كشف الخفاء ٣١٠/١. وأورده ابن أبي شيبة من كلام الحسن البصري رحمه الله. المصنف (٣٥٢٢٣)...



[أسئلة في الصوم والكفّارة]

١٦٧ ـ سؤال: ما الحكمةُ في الصوم؟

الجواب: قيل: فيه حكم، منها:

قيل: أمرهُ بالصومِ لأجلِ الأغنياء، يجوعونَ فيعرفونَ قدرَ النعيم، ولا ينسون الفقراء. قيل ليوسف عليه الصلاةُ والسلام: أتجوعُ وفي يدِكَ خزائنُ الأرض؟ قال: إني إذا شبعتُ نسيتُ الجائع(١).

وقيل: لئلا تستسبعَ النفس، لأن السبعَ يأكلُ دائماً، وكذلك البهائم، فأُمرنا به لنخالفَ حالَ البهائم.

وأيضاً: ليكونَ كفّارةً لجميعِ السنةِ عن أكلِ الشبهاتِ وغيرها.

وقيل: أُمرنا بالصومِ لنقفَ على حالِ أهلِ النارِ حين يقولون: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] ونعلمَ شدَّةَ ما يُصيبهم فيها من الجوع.

❋ ❋ ❋

١٦٨ ـ سؤال: لمَ أُمرنا بشهرٍ كامل؟

الجواب: قال: ليكونَ مع الستةِ أيامٍ من شوّالَ بعددِ أيامِ السنة، لأن الحسنةَ بعشرِ أمثالها، وذلك عدلُ صيامِ الدهر.

---

(١) ذكره الراغب في محاضراته ٦٣٢/١، والدينوري في المجالسة رقم (١٩٢)...

وقيل: أُمرنا بالصومِ كما أُمِرَ آدمُ بالكفِّ عن الشجرة، ليظهرَ الخاصُّ من العامّ، لأن العامَّ يشبعونَ ولا يجوعون. قال الشاعر:

ولو[1] كانت الدنيا ثواباً لمحسنٍ   إذاً لم يكنْ فيها معاشٌ لظالمِ
فقد جاعَ فيها الأنبياءُ كرامةً   وقد شبعتْ فيها بطونُ البهائمِ[2]

وقيل: لأن الطبيبَ إذا كان حاذقاً يأمرُ المريضَ بالاحتماءِ لتصفوَ عروقهُ وتنجعَ فيه الأدوية، كذلك أمركَ الله بالصوم لتصفىٰ عروقُكَ من المعصيةِ فتنجعَ فيكَ الرحمةُ وتصلُ إليكَ الشدَّة، لأن الطاعةَ إذا كثرتْ فيها الشدَّةُ فهي أفضل.

وأيضاً: في الجوعِ قهرُ الهوىٰ، وإياسةُ الشيطان[3]، وبذرُ الحكمة، وضياءُ القلب، ورضا الربِّ.

❋❋❋

١٦٩ ـ سؤال: ما حقيقةُ الصوم؟

الجواب: قال النيسابوري: قال قوم: الصومُ في اللغةِ هو الاستقامة، كما يُقال: صامَ النهار. وقيل: خيلٌ صِيام.

❋❋❋

١٧٠ ـ سؤال: لمَ أضافَ الله تعالى الصومَ إليه فقال: «الصومُ لي وأنا أجزي به»؟[4].

الجواب: قيل: لأنه لا رياءَ فيه، ولأنه لا يطَّلعُ عليه أحدٌ إلا الله تعالى. والصومُ سرّ، والله عالمُ السرّ، والسرُّ لعالمِ السرّ.

---

(١) في ب، ج: إذا.
(٢) أورده القرطبي في تفسيره ٨٨/١٦.
(٣) في ج: قهر الشيطان وإياسة الهوى.
(٤) في حديث قدسي... رواه الشيخان في صحيحيهما، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ ١٩٧/٨، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ١٥٧/٣.

ويُقال: إن ثمرةَ الشِّبعِ الشهوة، وثمرةَ الجوعِ الحكمة، والحكمةُ لله تعالى.

قال النيسابوري: ويُقال: معناه: كلُّ تقصيرٍ يقعُ في الطاعاتِ أغفرهُ إلا الصوم. ألا ترى أن آدمَ لمّا أكلَ من الشجرةِ صارَ بينه وبين جوارهِ فراق[1]، ولولا أنه أكلَ برجاءِ[2] الوصلةِ لما ارتفع.

وقال أبو سعيد الخرّاز[3]: أضافَهُ إلى نفسهِ لأنه من أوصافِ الصمدية، لأن الصمدَ الذي لا يأكلُ ولا يشرب.

وقال الجنيد: الصومُ هو الإمساك، وأنا أخصُّ به الخواصَّ من خلقي، وهو فطامُ القلوبِ عن غيرِ الله تعالى.

❁ ❁ ❁

١٧١ ـ سؤال: ما معنى قوله: «للصائمِ فرحتان: فرحةٌ حين يُفطر، وفرحةٌ حين يلقىٰ ربَّه»[4]؟

الجواب: قيل: ليس فرحتهُ بالطعام والشراب، ولكن بتوفيقِ الله إيّاه.

وأيضاً: فرحتهُ عند إفطارهِ بأنه صامَ بأمرهِ وأُفطرَ بأمره، فاجتمعتْ له طاعتانِ في طاعةٍ واحدة.

وأيضاً: فرحتهُ عند فطره، لقولهِ ﷺ: «**للصائمِ عند فطرهِ دعوةٌ مستجابة**»[5].

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ: فراقاً.

(٢) في أ: يرجو.

(٣) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، صحب ذا النون ونظراءه. أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. ت٢٨٦هـ. حلية الأولياء ٢٤٦/١٠، العبر ٤١٢/١.

(٤) جزء من الحديث السابق. ونقلت لفظه من البخاري.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٣٩٠٤) من حديث عبد الله، وضعف له وللطيالسي من حديث ابن عمرو في ضعيف الجامع الصغير (٤٧٤٧).

١٧٢ ـ سؤال: المعاصي التي تحدثُ في رمضان، كيف تقعُ[(١)] والشياطينُ مصفَّدة؟

الجواب: قيل: تُصفَّدُ مَرَدتهم دون سائرهم.

ولأنَّ عنده آثارُ وسوستهِ السابقة، والنفسُ أمّارةٌ بالسوء.

❋ ❋ ❋

١٧٣ ـ سؤال: ما فضلُ الصومِ على غيره؟

الجواب: قال النيسابوري: لأن الصومَ صبر، لقولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قال: ولأن الصومَ انتهاء، والانتهاءُ أفضلُ من الائتمار، لقولهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦].

❋ ❋ ❋

١٧٤ ـ سؤال: لمَ أمرَ الله في كفّارةِ يومٍ بشهرين[(٢)]، ووعدَ بحسنةٍ عشراً، فلمَ زادَ ما له ونقصَ ما لنا؟

الجواب: قال: لأنه لا ينظرُ إلى قيمةِ ثلاثةِ أشياء: الخاتم، والدابَّة، والسيف؛ بل ينظرُ إلى قيمةِ صاحبها.

فالصومُ لمّا كان مضافاً إلى الله تعالى صارتْ قيمتهُ أكثر، بخلافِ الحسنةِ التي أضافها إليك.

وأيضاً: طالبَ بما لنفسهِ أكثرَ لأجلِ الفقير، حتى يُطعمَ ستينَ مسكيناً.

❋ ❋ ❋

---

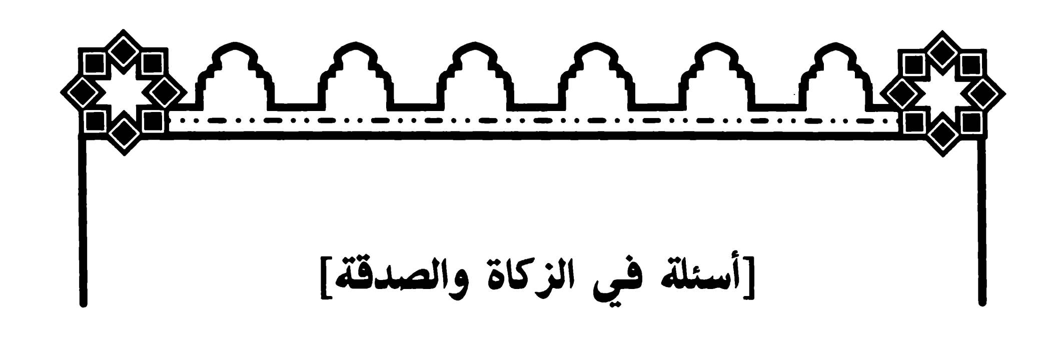
(١) في ب: الذي يُحدث في رمضان كيف يقع منه ذلك، وفي ج: المساوئ التي تحدث في رمضان كيف يقع منه ذلك.

(٢) يعني لمن جامع زوجته في نهار رمضان.

١٧٥ ـ سؤال: لِمَ أوجبَ إطعامَ ستينَ مسكيناً؟

الجواب: قيل: لأن آدمَ عليه السلامُ خُلقَ من ستينَ نوعاً من طبقاتِ الأرض، فأمرَ بإطعامِ ستينَ مسكيناً من أولادِ آدم، حتى إنه تقعُ المكافأةُ لجميعِ أولادِ آدم، لأنَه لا يخرجُ أحدٌ منهم عن هذه الستينَ نوعاً.





[أسئلة في الزكاة والصدقة]

١٧٦ ـ سؤال: لمَ أمرَ في الزكاةِ بخمسةِ دراهم[١]؟

الجواب: قيل: لأن السنةَ ثلاثمائةٍ وستونَ يوماً، وعشرةُ دراهمَ ثلاثمائةٍ وستونَ حبَّة، فقال: أعطيتُكَ مالاً كثيراً وعمراً طويلاً، فأعطِ كلَّ يومٍ منها نصفَ حبَّةٍ إلى الفقير، أعتقكَ من النارِ وأطهِّركَ من الذنوب.

فالدرهمُ على هذا ستَّةٌ وثلاثونَ حبَّةً، ونصفُ الحبَّةِ نصفٌ وربعُ فلس.

واعلمْ أنَّ كلَّ عشرةِ دراهمَ سبعُ مثاقيل، وكلُّ مثقالٍ درهمٌ ونصفٌ إلا خَرُّوبةً وسُبعَ خَرُّوبة.

❋ ❋ ❋

١٧٧ ـ سؤال: ما الحكمةُ في زكاةِ الفطر؟

الجواب: قيل: لأن الخلقَ في ضيافةِ الله عزَّ وجلَّ، ولا يحسنُ من الكريم أن يحوجَ أضيافَهُ إلى السؤال. ولهذا قال ﷺ: «**أغنوهم عن الطلبِ في هذَا اليوم**»[٢].

---

(١) لا زكاة إلا على من كانت لديه عشرون ديناراً، فإذا حال عليها الحول وجب عليه نصف دينار زكاة، وهو خمسة دراهم. ينظر مغني المحتاج ٣٨٩/١ .

(٢) عن ابن عمر قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال: «أغنوهم في هذا اليوم». رواه الدارقطني في سننه ١٥٢/٢ رقم ٦٧. وفيه أبو معشر عن نافع، قال في «الموضوعات» ٢٣١/١: أبو معشر ضعيف.

وأيضاً: يحتاجُ في قبولِ الصومِ إلى الشفعاء، فأمرتُ بالصدقةِ على المساكين ليشفعوا لكَ بقبولِ صومك.

فالزكاةُ ترفعُ الصومَ إلى الله تعالى، كما أن الصلاةَ على النبيِّ ﷺ ترفعُ الدعاء، والإيمانُ يصعدُ بالأعمال.

❋ ❋ ❋

١٧٨ ـ سؤال: لمَ أضافَ الصدقةَ إلى نفسهِ بلفظِ القرض، فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؟ [البقرة: ٢٤٥]

الجواب: قيل: ذكرَ لفظَ القرضِ لتعلمَ أنه مكافئكَ لا محالة.

وأيضاً: القرضُ لا يقعُ إلا عند المحتاج، فكأنه ذكرَ نفسَهُ محتاجاً إلى صدقتِك لتكملَ المحبَّة. ذكرَهُ النيسابوري.

قال: وأيضاً ذكرَ بلفظِ القرض لئلا تمنَّ على الفقير، وقال: دفعتَ إليَّ لا إليه، فلا تمنَّ عليه.

وأيضاً: أنت تدفعهُ إليَّ وأنا أدفعهُ إلى الفقير، لتستوجبَ أنت مني الأجرَ وترتهنَ الفقير بمنَّتي لا بمنَّتك[1].

❋ ❋ ❋

١٧٩ ـ سؤال: لمَ جعلَ ثوابَ الصدقةِ أفضلَ من ثوابِ سائرِ الأعمال؟

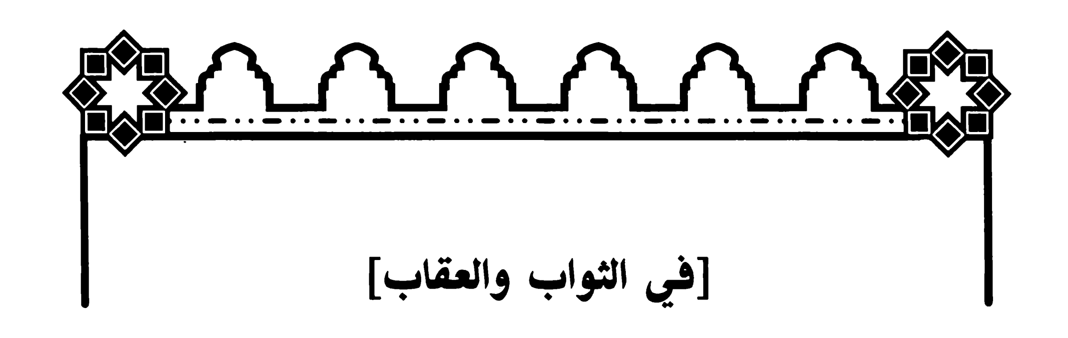
الجواب: قيل: لأن إعطاءَ المالِ أشدُّ على القلبِ من سائرِ الأعمال، وكلُّ عملٍ تحبُّهُ أكثرَ فثوابهُ أكثر. ألا ترى إلى صلاةِ المريضِ والشيخ، ونفقةُ الشحيحِ الصحيح أفضلُ لكثرةِ محبَّته.

وأيضاً: فإن الفقيرَ يُسَرُّ بالنفقة، وليس شيءٌ أفضلَ من إدخالِ السرورِ على قلبِ المؤمن.



---

(١) في ب: وترتهن الفقير منتي لأمنتك، وفي ج: ويرتهن الفقر مني لا منك؟



[في الثواب والعقاب]

١٨٠ ـ سؤال: ما معنى قولهِ ﷺ: «ويلٌ لمن غلبَ آحادهُ أعشاره»[1]؟

الجواب: قيل: الآحادُ السيِّئات، لأن كلَّ سيِّئةٍ تُكتبُ بواحدة. والأعشارُ أصولُ الحسنات، وتضاعيفُ الحسنات، فإن الحسنةَ بعشرِ أمثالها.

❋ ❋ ❋

١٨١ ـ سؤال: ما الحكمةُ في تضعيفِ الحسنات؟

الجواب: قال النيسابوري: لئلا يفلسَ العبد إذا تجمَّعَ الخصماءُ في طاعته، فيدفعُ إليهم واحدة، ويبقى له تسعة.

فمظالمُ العبادِ تُوفَى من أصولِ حسناته ولا تُوفَى من التضعيفات، لأنها فضلٌ من الله تعالى.

وقد ذكرَ ذلك البيهقيُّ في كتاب «البعث والنشور» فقال: إن التضعيفاتِ فضلٌ من الله تعالى لا يتعلَّقُ بها العباد، بل يدَّخرها للعبد، فإذا أدخَلَهُ الجنَّةَ أثابَهُ بها.

---

(١) لم أقف عليه حديثاً، بل ورد من قول الضحاك: هلك من غلب آحاده عشرات. التذكرة في الوعظ لابن الجوزي ٩٤/١، ومن قول ابن مسعود في عدة مصادر تفسيرية (الدر المنثور ٣٩٩/٤، تفسير السمرقندي ١٣٨/٢). وفي تفسير القرطبي: «وفي الخبر: الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة واحدة وأغفر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره». التفسير ١٥١/٧.



أسئلة في الحج

١٨٢ ـ سؤال: لمَ وضعها بوادٍ غيرِ ذي زرع[١]؟

الجواب: قيل: لكيلا يتَّكلَ مَنْ هناك على آخرَ غيرِ الله تعالى، إذ ليس هناك ضياعٌ ولا مال؛ ليكونَ التوكُّلُ أصحّ.

وأيضاً: لئلا يستوطنَهُ الجبابرة.

وأيضاً: لفضيلةِ الفقر، ليقولوا: لولا فضيلةُ الفقرِ لما أفقرَ الله سكانَ بيتهِ وحَرَمه.

وأيضاً: ليتفرَّغوا إلى خدمته، ولا يشتغلوا بزرعٍ ولا غيره، وليكونَ ردّاً على الكاسبينَ وطالبي الرزق[٢].

❋ ❋ ❋

١٨٣ ـ سؤال: ما الحكمةُ في تجريدِ الناسِ في الإحرام؟

الجواب: قيل: ليعلمَ أن بابَهُ على خلافِ أبوابِ الملوك، لأن العادةَ جرتْ أن يتزيَّنوا باللباسِ الفاخرةِ إذا قصدوا بابَ مخدومهم، فأرادَ أن يكونَ فرقاً[٣].

---

(١) يعني أم إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام.

(٢) هذا ليس بشيء.

(٣) ويجوز بالرفع، ولعله أفصح.

وأيضاً: من أهدى إلى الملوكِ ما ليس في خزائنهم يكونُ أرفعَ قدراً، وليس شيءٌ إلا وهو في خزائنِ الله تعالى سوى الافتقار، فقال: عزِّ نفسك وافتقرْ إليَّ لأعطيكَ ما ليس لك.

اللهمَّ أغننا بالافتقارِ إليك، ولا تفقرنا بالاستغناءِ عنك.

❋ ❋ ❋

١٨٤ ـ سؤال: ما الحكمةُ في الوقوفِ بعرفةَ والمشعرِ الحرام دون الحرم؟

الجواب: قال النيسابوري: قال ذو[١] النون: لأن الكعبةَ بيتُ الله، والحرمَ حجابه، والمشعرَ بابه، فلمّا قصدَهُ الوافدونَ أوقفهم بالبابِ الأوَّل، فيتضرَّعونَ إليه حتى يأذنَ لهم بالدخول. ثم أوقفهم بالحجابِ الثاني وهو المزدلفة، فلمّا نظرَ إلى تضرُّعهم أمرهم بتفريقِ قرباتهم وقضاءِ تفثهم، فلمّا فعلوهُ رحمهم وطهَّرهم من الذنوب. ثم أمرَ بزيارةِ بيتهِ على الطهارة، فلذلك سمِّيَ طوافَ الزيارة.

❋ ❋ ❋

١٨٥ ـ سؤال: ما معنى الحجّ؟

الجواب: قال النيسابوري: قال بعضهم: الحجُّ حرفان: الجيمُ جرمُ العبد، والحاءُ حلمُ الربّ. معناه: جئتُ بجرمي إلى حلمِكَ وحرمك، فاغفرْ لي[٢].

❋ ❋ ❋

١٨٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في العَدْوِ والهرولة؟

الجواب: قال النيسابوري: خمسةُ أشياءَ من أفعالِ المجانين: التعرِّي،

---

(١) في النسخ: ذا.

(٢) أين المؤلف من قول العلماء وأهل اللغة من أن معناه القصد، يعني القصد إلى بيت الله الحرام؟!

والصياح، والعدو، والرمي، والحلق. فأمرَ الحجّاج بهذه الخمسةِ ليسوِّيَ بينهم وبين المجانين! والإشارةُ فيه أن القلمَ مرفوعٌ عن المجانين، كذلك رُفعَ القلمُ عن الحاج(١).

والحكمةُ في رمي الجمارِ أن إبراهيم عليه السلام لمّا قصدَ ذبحَ إسماعيلَ عرضَ له الشيطانُ فقال: إن هذا وسوسةٌ من الشيطان؛ فأمرَ بالرمي إلى الشيطان، فصار سنَّةً لأولاده.

❊ ❊ ❊

١٨٧ ـ سؤال: ما معنى قوله: «الجمعة حجُّ المساكين»(٢)؟

الجواب: قيل: لما فيها من الاجتماعِ والفضيلة.

وقال الله تعالى في الحج: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال في الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

والحجُّ لا يجبُ إلا في وقتٍ خاصّ، كذلك الجمعة.

ولأن الحجَّ لا يجبُ إلا على المستطيع، وكذلك الجمعة.

ولأن الاجتماعَ فيها واجب، كما أن الاجتماعَ بعرفةَ واجب.

والدعاءُ فيها في الخُطبةِ واجب، كما أن الدعاءَ بعرفةَ وغيرها مطلوب.

---

(١) الجواب كما ترى، لا يحسن ذكره ولا إيراده، وكيف يسمي التلبية صياحاً ومن أفعال المجانين؟ وهي سنّة خليل الرحمٰن وخاتم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؟! ولكنه الإغراب في القول، وإيراد الأجوبة ولو كانت ضعيفة جداً أو خرافية؟!

(٢) هذا يرد حديثاً، أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس بسند ضعيف، قاله الحافظ العراقي. إحياء علوم الدين ١٩٧/٤. ورواه ابن زنجويه في ترغيبه، والقضاعي، عن ابن عباس أيضاً، وهو ضعيف. ضعيف الجامع (٢٦٥٩).

وفي الجمعةِ **ثلاثُ خصال**:

الأولى: فيها ساعةٌ لا يوافقُ فيها سائلٌ إلا أعطاهُ الله مسألته.

الثانية: أنَّ مَنْ راحَ إلى الجمعةِ في الساعةِ الأولى كان كالمتصدِّقِ ببدنة.

الثالثة: أنَّ من حضرَ الخطبةَ(١) واستمعَ لها وتركَ اللغوَ رُحم؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

والمرادُ بالقرآنِ الخطبة، سُمِّيتْ قرآناً لأنه يُتلىٰ فيها القرآن(٢).

❋ ❋ ❋

١٨٨ ـ سؤال: لمَ أُمِرَ بالأكلِ من الأضحية؟

الجواب: قال بعضهم: ليكونَ أمناً لجميعِ الخلقِ من الآفاتِ إذا أكلوا منها. حكاهُ النيسابوري. فلحومُها على هذا دواءٌ وشفاء.

قال: وأيضاً: أُمرنا بالأكلِ منها حتى لا يذبحوا إلا سميناً.

قال: وأيضاً: ليكونَ فرقاً بين المؤمنِ والكافر، لأن الكافرَ يذبحُ ولا يأكل، فقال للمؤمن: اذبحْ وكُلْ، لتعلمَ أن هذه ذبيحةُ المؤمن.

وأيضاً: أمرَ المؤمنَ بالأكلِ ليعلمَ أنه لا حاجةَ له فيه، بل أمركَ بالذبحِ لأجلِكَ ولأجلِ الفقير.

❋ ❋ ❋

١٨٩ ـ سؤال: لمَ سمِّيتْ عرفةُ عرفة(٣)؟

الجواب: قال النيسابوري: قال قومٌ: العَرْفُ الطِّيب، كما قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٦]. أي: طيَّبها لهم(٤).

---

(١) في ب: الجمعة.

(٢) وردت روايات في ذلك دون التصريح بأن المراد بالقرآن الخطبة. ينظر الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٨٧.

(٣) في هامش أ: لأنه مأخوذ من العرف، وهو الطيب.

(٤) الصحيح أنهم يعرفون منازلهم في الجنة ويهتدون إليها لا يخطئون. ينظر تفسير الطبري ٢٨/٢٦.

فعلى ما ذُكرَ يكونُ ذلك من بابِ تسميةِ السببِ باسمِ المسبِّب، لأن عرفةَ سببٌ لطيبِ الجنَّة، أو لعرفِ الجنَّة.

وقيل: لأنَّ آدمَ وحوَّاءَ تعارفا هناك.

وقيل: جبريلُ علَّمَ إبراهيمَ مناسكَ الحجِّ فيها.

ويُقال: هناك تُعرفُ بركةُ جماعةِ المسلمين، لأنهم ليس مع الكفّارِ - مع كثرتهم - جمعٌ مثلَ ما للمسلمينَ، ومثلهم كالكلب والغنم.

ويُقال: عرفةُ رفعة، فمن قصدَهُ صارَ رفيعاً.

ويُقال: من عرفَهُ فله عرفه، أي معروفه، كما قيل: من قبَّلَ الحجرَ فله القبلة، أي الإقبالُ من الله تعالى عليه، ومن لم يقبِّلْهُ فلا قبلةَ له.

ويحتملُ أن هذا الاسمَ منقولٌ من جملةٍ صُرِّحَ فيها بالفعلِ والمفعول، والمعنى: مَنْ وقفَ عرَّفَهُ الله له، أو مَنْ أتىٰ بابَ الكريمِ عرفه.

❋ ❋ ❋

١٩٠ - سؤال: لمَ سُمِّيَ مقامُ إبراهيمَ مباركاً[(١)]؟

الجواب: قيل: مباركاً على من نزلَ بهمَّتهِ وطلبَ الطريقَ إلى ربِّه.

ويُقال: مباركاً فيه للمغفرةِ والرحمة.

❋ ❋ ❋

١٩١ - سؤال: لمَ سُمِّيَ البيتُ عتيقاً؟

الجواب: قيل: لشرفه.

وقيل: لقِدَمه، لأنه أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ في الأرض، كما قال الله تعالى[(٢)].

وقيل: لأنه عُتِقَ من رقِّ الجبابرة.

وقيل: لأنه يعتق.

---

(١) لعله يعني الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

(٢) في الآية السابقة.



[أسئلة في الجهاد]

١٩٢ ـ سؤال: لمَ أُمرنا بالغزوِ والقتال؟

الجواب: قال النيسابوري: لتتبيَّنَ شجاعةُ أمَّتنا[١].

وأيضاً: أمَّةُ محمدٍ ﷺ عقلاءُ صلحاء يصلحون للغنيمةِ، وسائرُ الأمم سفهاءُ لا يصلحونَ لذلك[٢]. قال الله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**من بدَّلَ دينَهُ فاقتلوه**»[٣].

وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤].

فجعلَ الأحكامَ والحدودَ إلينا ليكونَ أوجعَ للعدوّ.

❋ ❋ ❋

١٩٣ ـ سؤال: متى اشترى الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم؟

الجواب: قيل: كانَ ذلك في صُلبِ آدم.

وقيل: بل هو في القِدم.

وقيل: يكونُ ذلك عند خروجِ الغازي من عتبةِ بابه.

---

(١) للجهاد أسباب ودوافع نبيلة، أهمها إعلاء كلمة الله.

(٢) لا يُقال مثلُ هذا، سامح الله المؤلف والنيسابوري معه، فإن الأمم السابقة مسلميهم إخوة لنا، وقد أبيحت لنا الغنائم بتشريع من الله تعالى، ولم يبح لأنبيائه السابقين وأتباعهم بتشريع منه سبحانه، فهو الحكيم العليم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة ٨/٥٠.

١٩٤ ـ سؤال: كيف جازَ البيعُ مع العبد؟

الجواب: قيل: يجوزُ لله ما لا يجوزُ للعبد.

ذكرَهُ والذي قبله[١] النيسابوري.

ويُقال: لَمَ يقعْ شراءٌ أفضلَ من هذا، لأن الله تعالى اشترى وأعطى الثمنَ الجنَّة، والمبيعُ أنفسُ المؤمنين وأموالهم، والبائعُ المؤمنون.

❋ ❋ ❋

١٩٥ ـ سؤال: معِ مَنْ كان هذا الشراء؟

الجواب: قال قوم: مع آدم، وأنت داخلٌ في هذا الشراء، كما أنه عرضَ الأمانةَ على آدمَ وأنت داخلٌ في قبولها.

وقيل: كان هذا الشراءُ مع نفسه، كرجلٍ له طفلٌ يشتري شيئاً له من نفسه، فيكونُ بائعاً ومشترياً.

ويُقال: عرضَ يومَ الميقاتِ ألفَ حرفةٍ على ذرِّيةِ آدم، فاختارَ كلُّ واحدٍ حرفة، وبقيتْ طائفةٌ لم تخترْ شيئاً، فقال الله تعالى: لَمَ لا تختارونَ شيئاً؟ قالوا: نحن ننتظرُ وعدك، فقال الله تعالى: أنا لكم من وراءِ تجارةِ كلِّ تاجر، وهذا الشراءُ معهم.

ويُقال: إن الله يعتقُ الغازي ثم يشتريه، ليكونَ ذلك الشراءُ مع الأحرار.

❋ ❋ ❋

١٩٦ ـ سؤال: ما الفائدةُ في الشراء؟

الجواب: قال: لأن السيِّدَ إذا أحبَّ عبداً وأرادَ أن يبسطَ إليه قال: بعني هذا، وفي الأصلِ[٢] هو له.

---

(١) في أ: وهو الذي نقله.

(٢) في ب: الأخذ.

ويُقال: هذا مع التلجئةِ والحمايةِ[1] ليدفعَ أطماعَ الشيطانِ عنهم.

ويُقال: إن إبليسَ يدِّعي فيك الرهن؛ لقولهِ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] فقال: اشتريتُكَ قبل أنْ رهنتَ نفسكَ، ليكونَ الحكمُ لي لا لك.

وقال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَسُمِ الرجلُ المسلمُ على سَوْمِ أخيه، ولا يَخْطُبْ على خِطْبَتِهِ**»[2].

كذلك لا ينبغي لإبليسَ أن يدخلَ على بيعِ الله تعالى.

وقيل: ذُكرَ لفظُ الشراءِ ليسهلَ على المؤمنِ الجهاد، لأن تسليمَ المبيعِ أسهلُ من تسليمِ العارية.

❊ ❊ ❊

١٩٧ ـ سؤال: لمَ وقعَ الشراءُ على النفسِ والمالِ دون القلب؟

الجواب: قيل: لأن القلبَ أكثرُ قيمةً من الجنَّة، لأنه ينظرُ إلى الحقِّ، وفيه المعرفة.

واشترى النفسَ ـ وهي كفٌّ من ترابٍ ـ بالجنَّة[3].

قالت عائشةُ رضيَ الله عنها: إن الله لم يجعلْ لأبداننا ثمناً دون الجنَّة، فلا تبيعوها إلا بها.

وأيضاً: القلبُ ملك، والنفسُ عبد[4]، فاشترىٰ العبدَ لا الملك.

ويُقال: اشترىٰ النفسَ بالجنَّة، والقلبَ بالرؤية، لأن الرؤيةَ أشرفُ من الجنَّة.

---

(١) في ج: التجلبة والجماعة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه، رقم (١٤١٣/٥٤).

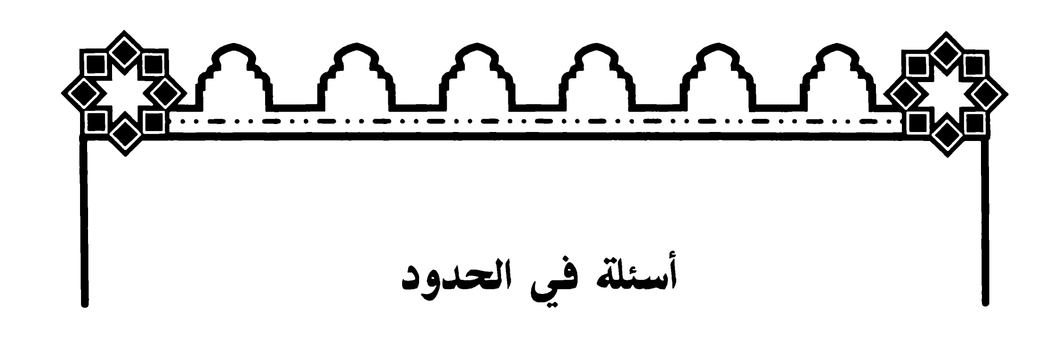
(٣) لم يرد هذا السطر مع كلمتين تسبقانه في ج.

(٤) في النسخ: ملكاً... عبداً.

وباعَ إخوةُ يوسفَ يوسفَ بثمنٍ بخس، واشتراكَ مولاكَ بجنَّته.

ثم قال للملائكةِ حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]: هم ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢]. فسكتوا عن الجواب.





أسئلة في الحدود

١٩٨ ـ سؤال: لمَ قُدِّمتِ «الزانيةِ» في الذكرِ على «الزاني»، وأُخِّرتِ «السارقةُ» في الذكرِ على «السارق»، حيث قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور: ٢]، **وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾**؟ [المائدة: ٣٨].

الجواب: قيل: لأن السرقةَ تُفْعَلُ بالقوَّة، والرجلُ أقوى من المرأة، والزنا يُفْعَلُ بالشهوة، والمرأةُ أكثرُ شهوة، والمرأةُ أدنى للرجلِ إلى نفسها منه إليها. ولهذا لو اجتمعَ جماعةٌ على امرأةٍ لم يقدروا عليها إلا بمرادها.

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ولم يقل: «وعصتْ حوَّاء»، مع أنه أكلتْ قبل آدم، ودعتْهُ إلى الأكل؟

قيل: قال ابن الجوزي: لأن حوّاء كانت حرمةً لآدم، وسترُ الحُرمِ من الكرم.

فإنْ قيل: لمَ قُطعتْ يدُ السارقِ دون غيرها؟

قيل: لأنها باشرتْ فقُطعت.

فإن قيل: فهلاّ قُطعَ ذكَرُ الزاني لأنه باشرَ الزنا؟

قيل: لأن فيه النسل، ولأن المباشرةَ في الزنا تقعُ أيضاً بغيرِ الذكر، واللذَّةُ تحصلُ بجميع[1] البدن، فناسبَ أن يُفَرَّقَ الضربُ على البدنِ لينالَ المشقَّةَ كما نالَ اللذَّةَ.

---

(١) في ب: لكل.

وقال النيسابوري: إنما قُطعتْ يدُ السارقِ لأنها أخذتِ المال، الذي هو يدُ المعنيِّ[1] وعماده، فقال: أخذَ[2] يَد إنسانٍ فخذوا يده.

❋ ❋ ❋

١٩٩ ـ سؤال: لِمَ أمرَ بالرجمِ للمحصَنِ دون غيره؟

الجواب: قيل: لأنه فعلَ فعلَ الحميرِ والكلاب، والحميرُ والكلابُ تُضرَبُ بالحجارةِ والخشب. قاله النيسابوري.

وقيل: إنه لمّا تزوَّجَ وامتثلَ أمرَ الله تعالى، حصلتْ له الكرامةُ بإجلاسهِ على الكرسيِّ ونثرِ السكَّرِ عليه، كذلك إذا خالفَ أمرَ الله تعالى، تُحْفَرُ له حفيرةٌ وتُنْثَرُ الحجارةُ عليه. ذكرَهُ أيضاً النيسابوري.

والأصحُّ أنه لا يستحبُّ الحفرُ[3] للرجل.

وقال الغزالي: إنما وجبَ الرجمُ على المُحْصَنِ، لأنه لمّا تزوَّجَ ذاقَ طعمَ الغَيْرة، وعلمَ مقدارَ ضررها. فإقدامهُ على الزنا مع علمهِ بعظيمِ قبحهِ وما يترتَّبُ عليه من الغيرةِ أوجبَ عليه الرجم؛ لأنه فعلَ مع الناسِ ما لا يحبُّ أن يُفْعَلَ معه.

وأما الذي لم يتزوَّج، فلم يعرفْ مقدارَ الغيرة، فوجبَ عليه الجَلْدُ خاصَّة.

❋ ❋ ❋

٢٠٠ ـ سؤال: ذهبَ ابنُ عباسٍ وجماعةٌ على أن الأرقّاءَ لا يُجلدونَ إلا إذا تزوَّجوا، لقولهِ تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

ومعنى «أُحصنَّ»: تزوَّجن. ومفهومه: أنهنَّ إذا لم يتزوَّجْنَ لا يجبُ عليهنَّ الحدُّ.

---

(١) في ب: المعنى.
(٢) في ج: يقال من أخذ.
(٣) في أ: الحفيرة.

الجواب: أنَّ ذلك إنما يأتي على قراءةِ من ضمَّ الهمزةَ من «أُحصنَّ». وأمّا على قراءةِ من فتحَ الهمزةَ فمعناه: أسلمن. وهذا قول الأكثرين. وعلى القراءةِ الأخرى فلا حجَّةَ في الآية؛ لأنه إذا وجبَ عليهم الحدُّ رُفِعَ[(١)] الإحصانُ دون الرجمِ بالتزويج؛ فلأَنْ لا يجبُ عليهم الرجمُ إذا لم يتزوَّجْنَ بطريقِ الأولى.

فالآيةُ سيقتْ لنفي[(٢)] الرجمِ عن الأرقاء، وذلك بمفهومِ الموافقة.

❁ ❁ ❁

٢٠١ ـ سؤال: فإنْ قيل: لمَ جُلِدَ البِكْرُ مائةَ جلدة؟

الجواب: قال النيسابوري: لأن السنةَ ثلاثُمائةٍ وستُّونَ يوماً، يذهبُ منها في الحيضِ كلَّ شهرٍ عشرةُ أيام، فيكونُ مائةً وعشرينَ يوماً، وللنُّفَساءِ أربعينَ يوماً، تبقى مائتان[(٣)]، لكلِّ واحدٍ من الزانيين مائة، على عددِ أيامِ الاستمتاعِ الذي يسلمُ لهما ولم يشتغلا فيه بالوطءِ الحلال.

قال: ويُقال: لأنَّ أربعَ نسوةٍ حلال، فيذهبُ من كلِّ شهرٍ خمسةُ أيامٍ على أوسطِ أيام، تبقى خمسةٌ وعشرونَ يوماً تكونُ للأربعمائةِ[(٤)] يومٍ، فاضربوهُ مائةَ جلدةٍ حيث لم يشتغلْ بالحلال.

قال: ولأن السنةَ اثنا عشرَ شهراً، وفي كلِّ شهرٍ أربعُ جُمعات، وكلُّ شهرٍ ثلاثونَ يوماً وثلاثونَ ليلة، وكلُّ يوم وليلةٍ أربعٌ وعشرون ساعةً، فتكونُ جملتهُ مائة. فلمّا لم يشتغلْ في جميعِ هذه المدَّةِ بالحلال، فاجلدوهُ مائة.



---

(١) في ج: دفع.
(٢) من قوله: «الرجم» حتى هنا، سقط من أ.
(٣) في النسخ: مائتين.
(٤) في أ: الأربعمائة.

٢٠٢ ـ **سؤال: لمَ قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؟** [النور: ٢].

[الجواب]: قال: لأنه لم يرحمْ نفسَهُ ولا أخاه، إذ زنا بامرأته؛ فلا ترحموه.

وأيضاً: هتكَ سترَ مؤمنٍ وحرمتَهُ فلا ترحموه؛ لأن الرحمةَ والحرمةَ في الحروفِ واحد، فكأنه قال: حُرمتي لأهلِ رحمتي، ورحمتي لأهلِ حرمتي، فمن لا حُرمةَ له لا رحمةَ له.

❋ ❋ ❋

٢٠٣ ـ **سؤال: لمَ أُمرنا بضربِ الزاني على الظهر؟**

الجواب: قيل: لأن الله تعالى وضعَ الأمانةَ في الظهر، وهي ماءُ الشهوة، فضيَّعها إذ وضعها في غيرِ موضعها، فاجلدوا ظهره.

❋ ❋ ❋

٢٠٤ ـ **سؤال: لمَ قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال في جميعِ الأحوال: استروا عليه؟**

الجواب: قيل: ليكونَ عبرةً لسائرِ الخلق، ويرتدعَ في المستقبل.

وأيضاً: ليحفظوا عددَ الضرب.

والطائفةُ اثنتان[١]، وقيل: ثلاثة.

❋ ❋ ❋

٢٠٥ ـ **سؤال: لمَ طلبَ على الإشهادِ على الزنا أربعةً دون غيره؟**

الجواب: قيل: طلباً للستر، وتعليلاً لإقامةِ الحدّ.

ولأن الزانيينِ اثنان، فاحتيجَ لكلِّ واحدٍ شاهدان[٢]، فيكونُ أربعاً.

❋ ❋ ❋

---

(١) في النسخ: اثنان.

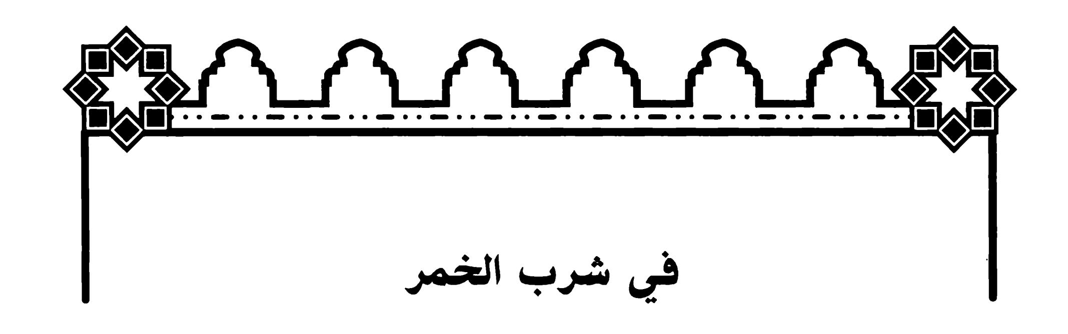
(٢) في النسخ: شاهدين.

٢٠٦ ـ سؤال: لِمَ لم تؤخذِ الدِّيَةُ من قاتلِ الخطأ؟

الجواب: قيل: لأنه لم يتعمَّدِ القتل، بل أخطأ، فلا تقتلوه، ولا تأخذوا الدِّيَةَ إلا من عاقلته، كي لا يُستأصل، لأنه لم يقصد استئصالَ غيره[١].



(١) في أ: لأنه لم يقصده كاستئصال غيره.



في شرب الخمر

٢٠٧ ـ سؤال: لمَ كان حدُّ الخمرِ أربعين؟

الجواب: قيل: لأن الخمرَ إذا شربها الإنسانُ يبقىٰ في عظمهِ ولحمهِ أربعينَ يوماً، وهو قولهُ ﷺ: «**شاربُ الخمرِ لا تُقبلُ له صلاةٌ**[١] **أربعونَ يوماً**»[٢]. وبعد الأربعينَ تُقبلُ صلاته، لأنه بعد الأربعينَ تذهبُ عنه آثارُ الخمر.

❊ ❊ ❊

٢٠٨ ـ سؤال: لمَ جازَ ضربُ الشاربِ ثمانين؟

الجواب: قيل: الشربُ مظنَّةُ القذف، فأقيمتِ المظنَّةُ مقامَ المظنون.

قال عمر[٣] رضي الله عنه: أرى أنه إذا سكرَ هذى، وإذا هذى افترى.

قال النيسابوري: وقال بعضهم: **لأنَّ رجلاً سكرانَ دخل مسجدَ**

---

(١) في أ، ب: شهادة.

(٢) قوله ﷺ: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه...». حديث صحيح، قاله في صحيح الجامع (٦٣١٢).

(٣) هكذا... والصحيح أن قائله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما استشارة عمر في ذلك، كما في مصادر عديدة، منها الموطأ ٨٤٢/٢ رقم (١٥٣٣).

رسولِ الله ﷺ، فأمرَ بضربه، فكانوا أربعينَ رجلاً، فضربَهُ كلُّ واحدٍ ضربتين، فلذلك صارَ جلدهُ ثمانين[1].



(١) لم أجده بهذا اللفظ، والوارد في هذا عند البخاري رحمه الله، عن أبي هريرة قال: أُتي النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه. فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم». صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر رقم (٦٧٨١). وعن علي قوله: إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة. تفسير القرطبي ٢٩٨/٦.



أسئلة في العيد

٢٠٩ ـ سؤال: لمَ سُمِّيَ عيداً؟ ولمَ استحبَّ التزيُّنُ فيه؟ وما الحكمةُ في العيد؟

الجواب:

أ ـ قال النيسابوري: أما حكمةُ العيدِ فلأنَّهُ أرادَ تعليمَ الشكر، لأن في الشاهدِ إذا أعطى السيِّدُ خادمَهُ نعمةً فهو يجمعُ الناسَ ليشكرَ سيِّدَه.

يُقال: أعطيناكَ الشهرَ المبارك، والليلةَ المباركةَ ليلةَ القدر، فاجمعِ الناسَ لشكري في العيد.

وقيل لواحد: ما العيد؟ قال: مائدةُ الطفيليين. ومعناهُ أنه يُغْفَرُ للطالحِ بالصالح، و«**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[١].

وقال آخر: مركبُ الكُسالى يحملهم[٢] إلى طاعته.

وقال آخر: هو حبلُ الضعفاءِ يعتصمونَ به ليجرَّهم إلى كرمه.

وأيضاً: كلُّ من عجزَ عن فتحِ بابِ مدينةٍ يجمعُ أحبّاءه، لذلك[٣]

---

(١) جزء من حديث، هو آخر جملة فيه، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر رقم (٢٦٨٩).

(٢) في النسخ: تحملهم.

(٣) في أ: لذلك اليوم.

فالمؤمنُ يطلبُ فتحَ بابِ الجنَّة، فأمرَهُ[1] بجمعِ الأحبّاء.

ب ـ وأيضاً: كلُّ من نجا من محنةٍ يزيِّنُ نفسَهُ ويزورهُ[2] أصحابه. فالمؤمنُ يومَ العيدِ نجا من محنةِ الصوم، فيومُ العيدِ يومُ الزينةِ والزيارة.

وأيضاً: الأمراءُ يزيِّنونَ خواصَّهم، ويجعلونَ عليهم الزينةَ كي يرهِّبَ منهم العدوَّ، ويرغِّبَ فيهم الوليَّ[3]. فالله تعالى يزيِّنُ المؤمنينَ في السنةِ مرَّتين، ويخلعُ عليهم الكرامة، ويطهِّرهم بالمغفرة.

جـ ـ وأمّا تسميتهُ عيداً، فقيل: معناه: عادوا إلى مثلِ ما كانوا عليه حين خرجوا من بطونِ الأمَّهاتِ بغيرِ ذنب.

وقيل: عادوا من الطاعاتِ إلى الطاعات، وذلك أن الإفطارَ طاعة، كما أنَّ الصومَ طاعة.

وقيل: سُمِّيَ عيداً لعودِ السرورِ بعوده.

وقيل: لكثرةِ عوائدِ الله تعالى فيه على خلقه.

وقيل: لعودهِ بعودِ السنين.

ويُقال: عادوا إلى الله تعالى بالأمانةِ فعادَ عليهم بالرحمة.

❊ ❊ ❊

٢١٠ ـ سؤال: قولهُ ﷺ: «ما من أيامِ العملُ فيهنَّ أحبُّ إلى الله تعالى من عشرِ ذي الحجَّة»[4] هل يقتضي تفضيلُ العملِ فيها على العملِ

---

(١) في أ: فأمر.

(٢) في ب، جـ: ويروه..

(٣) في أ: فيرغب فيهم المولى.

(٤) حديث صحيح يرد بألفاظ متقاربة، منها عند ابن خزيمة: «ما من أيام العمل الصالح أحبّ إلى الله من هذه الأيام، يعني أيام العشر». صحيح ابن خزيمة رقم **(٢٨٦٥)**. وعند البخاري: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر». صحيحه، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق رقم **(٩٦٩)**.

في رمضان، وقد وردَ في روايةٍ: أن قيامَ كلِّ ليلةٍ منها يعدُّ قيام ليلةِ القدر[1]؟

الجواب: قيل: تعرَّضَ بعضهم لكونِ هذه العشرِ أفضلَ من كلِّ عشرٍ من جميعِ السَّنَة، حتى يكونَ أفضلَ من كلِّ عشرٍ من عشورِ رمضان، لظاهرِ هذا الخبر.

وقال آخر: لا يعارضُ هذا أنَّ رمضانَ أفضلُ الشهور، كما روى النسائي أنه ﷺ ذكرَ رمضانَ وفضَّلَهُ على سائرِ الشهور، وقال: «**من صامَهُ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه**»[2].

وأفردَ الحليمي في «الشُّعَب» أنه ﷺ قال: «**سيِّدُ الشهورِ شهرُ رمضان**»[3]. لأنَّ رمضانَ أفضلُ من ذي الحجَّة.

وإذا قوبلتِ الجملةُ بالجملة، وفضِّلتْ إحدى الجملتين، لا يلزمُ تفضيلُ كلِّ الجميع[4] كلِّ أفرادِ الجملةِ الفاضلةِ على كلِّ أفرادِ الجملةِ المفضولة.

وهذا كما أن جنسَ الصلاةِ أفضلُ من جنسِ الصوم، وصومُ يومٍ أفضلُ من ركعتينِ بلا شكّ، كما قاله النووي في شرح المهذَّب.

---

(١) يعني حديث: «ما من أيام الدنيا أحب إلى الله سبحانه أن يتعبَّد له فيها من أيام العشر، وإن صيام يوم فيها ليعدل صيام سنة، وليلةٍ فيها بليلة القدر». رواه ابن ماجه (١٧٢٨)، والترمذي (٧٥٨) وقال: حديث غريب، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. العلل المتناهية ٧٢/٢، وضعفه في ضعيف الجامع (٥١٦١).

(٢) «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه». صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان إيماناً واحتساباً رقم (٣٨)، سنن النسائي رقم (٢٢٠٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٣٧٥٥، ٣٦٣٧) وقال في الأخير: في إسناده ضعف. كما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٣٢١). وأورده البيهقي موقوفاً على عبد الله بن مسعود في المصدر السابق (٣٦٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٠٠٠).

(٤) في ب: بجمع، وفي ج: لجميع؟

وكما أن جنسَ الإنسِ أفضلُ من جنسِ الملائكةِ، لا يلزمُ منه تفضيلُ كلِّ آحادِ بني آدمَ على جبريلَ عليه السلام.

والصوابُ الذي يجبُ اعتماده، أنَّ كلَّ عشرِ فردٍ[(١)] من رمضانَ أفضلُ من عشرِ ذي الحجَّة، لأن الله تعالى أوجبَ فيه الصوم، والواجبُ[(٢)] فضِّلَ على غيره[(٣)].

وقد قال ﷺ: **«وما تَقرَّبَ المتقرِّبونَ إليَّ بمثلِ أداءِ ما افترضتُ عليهم»**[(٤)].

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من أفطرَ يوماً من رمضانَ بغيرِ عذرٍ لم يقضِ عنه صومُ الدهر»**. رواه أحمد[(٥)].

وقال النيسابوري في كتاب **«اللطائف والحكم»**[(٦)]: وأمّا العشرُ فهو أفضلُ الأيّامِ وأحبُّها عند الله تعالى بعد شهرِ رمضان، وهي التي ناجىٰ فيها موسىٰ ربَّه، وفيها إحرامُ جميعِ الخلقِ بالحجّ.

وقد ذكرَ الله العشرَ في عشرِ آياتٍ من القرآن:

- قولهُ تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] وهي في العشر.
- ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٣] وهو عرفة، من العشر[(٧)].

---

(١) في أ: ورد، وفي ب: فرض.

(٢) في جـ: وللواجب.

(٣) فضل العشر الأواخر من رمضان لأن فيها ليلة القدر، التي فيها نزل القرآن الكريم.

(٤) جزء من حديث قدسي شريف، أوله: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه...». صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع **١٩٠/٧**.

(٥) حديث: «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كلّه وإن صامه». رواه أحمد والأربعة، وهو ضعيف. ضعيف الجامع **(٥٤٦٢)**.

(٦) أورده في كشف الظنون بعنوان «لطائف الحكم» ولم يذكر اسم النيسابوري ولا سنة وفاته. ويأتي في الفقرة **(٢١٧)** بعنوان: «المعاني والحكم» ولعله غيره.

(٧) القول بأن «مشهود» هو يوم عرفة، ورد في أكثر من حديث، أخرجه الترمذي وابن أبي الدنيا وابن جرير الطبري وآخرون. ينظر الدر المنثور للسيوطي **٥٥٢/٦**.

- وقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].
- وقوله: ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٤٢].
- وقولهُ تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢].
- وقولهُ تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ [الفجر: ١ ـ ٢].
- وقولهُ تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].
- وقولهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [التوبة: ٣].
- وقال تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣].
- وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [الحج: ٢٨].

والصحيح أن المعدودات أيام التشريق.

ووجدَ آدمُ التوبةَ في أيام العشر، وإسماعيلُ الفداء، وهودُ النجاة، وموسى النجاة[1]، ومحمد الرسالة ﷺ، وأصحابهُ المغفرةَ والرضوان، ونوحُ الإجابة، وفتحُ الحديبيةِ للنبيِّ ﷺ كان في يوم العشر، ونزولُ المغفرة، قولهُ تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، والنصرةُ كانت فيه، والبشارةُ بفتحِ خيبرَ كانت فيه.

وأما الثلاثةُ أشهر: فرجب، وشعبان، ورمضان.



---

(١) سقطت الجملة السابقة من أ.



[فضائل الأوقات]

٢١١ ـ سؤال: ما الحكمةُ في تفضيلِ الأوقاتِ بعضها على بعض؟

الجواب: قيل: هو أنَّ سائرَ الأمم كان لهم عمرٌ طويلٍ، وعملٌ كثير، فأرادَ الله أن تكونَ أمَّتنا سابقةً عليهم، فأعطاها الأوقاتَ الفاضلةَ لينميَ لنا أعمالنا، ويباركَ في أعمارنا، لنسبقَ سائرَ الأمم.

أ ـ فجعلَ رجبَ شهره، وشعبانَ شهرَ رسوله، ورمضانَ شهرَ عباده، كمصباحٍ في زجاجة، كالمشكاة(١).

رجب، وهو شهرُ الاستغفار، وشعبانُ شهرُ الصلوات، ورمضانُ شهرُ قراءةِ القرآن.

والحكمةُ في قوله: «**رجبُ شهرُ الله**»، أي: إنْ رجعتَ إلى بابي في رجبَ أغفرْ لكَ بلا شفيع، وإنْ رجعتَ في شعبانَ احتجتَ إلى شفاعةِ المصطفى، وإنْ رجعتَ في رمضانَ احتجتَ إلى شفاعةِ المؤمنين.

قال النيسابوري رحمه الله: ويُقال: معناه: أغفرُ لكَ في رجبَ بلا

---

(١) يشير إلى حديث ورد في ذلك، هو «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي». رواه الديلمي وغيره عن أنس مرفوعاً، لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات بطرق عديدة، وكذا الحافظ ابن حجر في كتاب «تبيين العجب فيما ورد في رجب». كشف الخفاء ١/٤٢٤. ورواه أبو الفتح بن أبي الفوارس في أماليه عن الحسن مرسلاً، وهو ضعيف. ضعيف الجامع الصغير (٣٠٩٤).

شفيع، وأغفرُ لكَ في شعبان وأُرضي عنكَ رسولي، وأغفرُ لكَ في رمضانَ وأشفِّعكَ في المؤمنين.

وجعلَ الله هذه الثلاثةَ أشهر كحمّام فيه ثلاثةُ بيوت، فيدخلُ العبدُ في أوَّلها فيجلسُ ساعةً ثم يعتاد، ثم يدخَلُ البيتَ الثاني، ثم يدخلُ البيتَ الثالثَ فيطهِّرُ نفسه، كذلك الأشهرُ الثلاثة.

وسمّاهُ رجباً لترجيبِ الأشجارِ فيه، يُقال: ترجَّبتِ الأشجارُ إذا أورقت. كذلك المؤمنُ يورقُ بالطاعةِ في رجب.

وقيل: رجبُ نهرٌ في الجنَّةِ يشربُ منه صُوّامُ رجب.

وسُمِّيَ شعبانَ لأنه يتشعَّبُ فيه خيرٌ كثيرٌ كرمضان.

ويُقال: معناه شاعَ بانَ[١].

ورمضان: رضا الرحمٰن، ومحلُّ الغفرانِ والإحسان[٢].

ب ـ ولمّا مضى على الخلقِ خمسةُ أشهرٍ لم يكنْ بينها أيامٌ فواضل، دخلتْ عليهم الفترةُ والخلالة[٣]، فجاءَ الله بسبعةِ أشهرٍ متواليات: أوَّلها رجبُ شهره، ثم شعبانُ شهرُ رسوله، ثم رمضانُ شهرُ عباده، ثم شوّال، ثم ذو القعدة، ثم ذو الحجَّةِ أشهرُ الحُجّاج، ثم المحرَّم شهرُ الأنبياء.

وقال ﷺ: «**أفضلُ الصيامِ من بعد رمضانَ شهرُ الله المحرَّم**»[٤].

فأتاهم بالسبعةِ ليُدركوا فيها ما فاتهم في الخمسةِ أشهر، ويُحيوا فيها ما أماتوا.

---

(١) في أ: شاع ذكره وبان.

(٢) في ب، جـ: «رضي الرحمٰن» فقط. قال في القاموس المحيط: سُمِّي به لأنهم لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق فائقٌ زمنَ الحرِّ والرَّمض. أو من رمضَ الصائمُ: اشتدَّ حرُّ جوفه، أو لأنه يحرقُ الذنوب.

(٣) في أ: الفترة والجلالة، وفي جـ: المغفرة والجلالة.

(٤) حديث صحيح يأتي أوله: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل...». صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم ١٦٩/٣، الزهد لابن المبارك ٧٥١/٢ رقم (٩٦٤)، صحيح الجامع الصغير (١١١٦).

جـ ـ وأمّا أيامُ التشريقِ فهي أيامُ الذكرِ والتسبيح.

والحكمةُ في وضعِ التكبيرِ، ثم في هذه الأيامِ الخمسِ شيئان:

أحدهما: هذه الأيامُ أيامُ أكلٍ وشربٍ وبِعالٍ[١]، فلم يُردْ أنْ يُخليها من الطاعة، فقرنها بالذكرِ والتكبيرِ موافقةً للخليل عليه الصلاة والسلام، **لأنه** لمّا رأى الكبشَ نزلَ من السماءِ كبَّرَ الله تعالى، **وأُمرنا** بالتكبيرِ اقتداءً به، لنشاركهُ في ثوابه.

د ـ وأما يومُ عاشوراءَ فيومٌ فاضل. قيل: سُمِّيَ عاشوراءَ لأن العشرَ عاشَ نوراً، بإسقاطِ النونِ للتخفيف. والمعنى: من عرفَ حقَّ هذا اليومِ عاشَ نوره.

ويُقال: من عرفَ حقَّهُ يعيشُ إلى سنةٍ[٢] في النور، ويكونُ أمرهُ كلُّهُ منوَّراً ببركته.

ويُقال: لأن الله تعالى أنزلَ عشرةَ أشياءَ على عشرةِ أنبياءَ في ذلك اليوم.

وقيل: إنه كان للنبيِّ ﷺ عشرُ معجزات، فتمَّتْ في ذلك اليوم، فسُمِّي عاشوراء[٣].

ويُقال: لأنَّ الله تعالى نظرَ إلى أمَّةِ محمد ﷺ عشرَ مرّاتٍ بالرحمةِ في ذلك اليوم[٤].

وقيل: لأنه عليه الصلاةُ والسلام فرغَ من قراءةِ القرآنِ عشرَ مرّاتٍ في ذلك اليوم[٥].

وقيل: لأن الله تعالى نجَّى عشرةَ أنبياء من المخاوفِ في ذلك اليوم.

---

(١) في أ: ويقال. والمقصود الزواج.
(٢) في أ: السنة القابلة.
(٣) لم أره.
(٤) لم ترد هذه الفقرة مع كلمتين من الفقرة السابقة في أ.
(٥) لم أره.

حكى ذلك كله النيسابوري.

هـ ـ قال: أما ليلةُ القدرِ فليلةٌ فاضلة، وأسماؤها أربعة؛ ليلةُ البركة، [وليلةُ اللهمّ، وليلةُ الرحمة.

وأعطىٰ الله تعالى لأمَّتِهِ خمسَ ليال، وأفضلها][1] ليلةُ القدر، وليلةُ عاشوراء، وليلةُ الجائزة ـ وهي آخرُ ليلةٍ من شهرِ رمضان ـ وليلةُ المزدلفة.

وسُمّيتْ ليلةَ القدر، قيل: لإكمالِ الطاعةِ فيها.

وقيل: لتقديرِ الأمورِ فيها[2].

وقيل: لكثرةِ قدرها عند الله تعالى.

وقيل: لقدرِ أمَّةِ محمدٍ ﷺ في هذه الليلة.

وهي خيرٌ من ألفِ شهرٍ لا يكونُ فيها ليلةُ القدر.

وقيل: **أوحى الله تعالى إلى النبيِّ ﷺ أن ملكَ داودَ أربعونَ سنة، وملكَ سليمان مائةً وأربعونَ سنةً وثلاث، وهما ألفُ شهر**[3]، فخيرُ أمَّتكَ في هذه الليلةِ أكثرُ من ملكهما ألفَ شهر.

ويُقال: بقيَ موسىٰ في التيهِ أربعين سنة، وغربةُ يوسفَ أربعونَ[4] سنة، فثوابُ أمَّتكَ في هذه الليلةِ خيرٌ من ثوابِ موسىٰ ويوسفَ في ألفِ شهر.

ويُقال: بقيَ يحيى بن زكريا في الدنيا[5] أربعينَ سنة، ويبقى عيسى بعد نزولهِ [من السماءِ إلى الأرضِ][6] أربعين سنة، ففضلُ أمَّتِكَ في هذه الليلةِ أكثرُ من فضلهما ألفَ شهر.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في ب، ج.

(٢) لم يرد هذا السطر في أ.

(٣) في ب، ج: وقيل: ملك داود أربعين سنة، وسليمان أربعين سنة.

(٤) في النسخ: أربعين.

(٥) في أ: العبادة.

(٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في ب، ج.

و ـ وأمّا ليلةُ الجمعةِ فهي الليلةُ الغرّاء:

وفيها وعدَ يعقوبُ عليه الصلاةُ والسلامُ الاستغفارَ لبنيه بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨].

ويومُ الجمعةِ سيِّدُ الأيام.

وله سبعةُ أسماء[١]: يومُ المزيد، ويومُ العيد، واليومُ الأغرّ، واليومُ الأزهر، ويومُ الزينة، ويومُ العَرُوبة، ويومُ الجمعة.

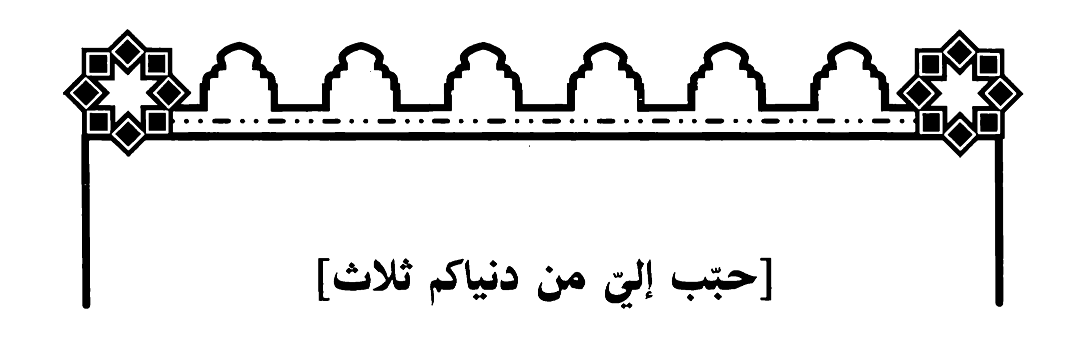
وفيه ستمائةِ ألفِ عتيقٍ من النار.

وفيه ساعةٌ لا يُحالُ فيها بين الدعاءِ والربّ.

وهو عيدُ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّة، يُنْظَرُ إلى الربِّ على مقدارِ الذهابِ إلى الجمعة، فمن أكثَرَ أُكْثِرَ له، ومن أقلَّ أُقِلَّ له.



(١) في ب: أشياء.



[حبّب إليّ من دنياكم ثلاث]

٢١٢ ـ سؤال: قولهُ ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: الطِّيب، والنساء، وجُعلت قرَّةُ عيني في الصلاة»[(١)]؟

الجواب: [(٢)]قال النيسابوري: قال بعضهم: لو حُبِّبَ إليَّ الدنيا لأحببتُ هذه الثلاث. ألا ترى أنه لمّا قال: «من دنياكم» أضافَ الدنيا إليهم[(٣)]؟

وقال قوم: معناه: أو حُبِّبَ إليّ، ونظيرهُ في القرآن: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: ٢٢]. معناه: أو تلك نعمة، كأنَّ الناسَ قالوا: حُبِّبَ إلينا النساءُ والطيب، فأجابهم إلى ذلك وقال: مَنْ جُعلتْ قرَّةُ عينهِ في الصلاة يُحَبَّبُ إليه النساءُ والطيب؟

والدليلُ عليه قولهُ ﷺ: **«ولكن صاحبكم خليلُ الرحمٰن»**[(٤)]. انتهى.

---

(١) يأتي بألفاظ متقاربة، رواه أحمد في المسند ١٢٨/٣، ٢٨٥، وابن أبي عاصم في الزهد رقم (٢٣٤) وقال محققه: إسناده ضعيف، والحاكم في المستدرك ١٦٠/٢ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) أوله في أ: وأما قوله: «ثلاثة» ففيه نظر.

(٣) تكلمته في أ: ولم يضفها إلى نفسه، فإنه ورد عنه ﷺ أنه قال عند موته: «ما لي وللدنيا». وكان معه ثلاثة دنانير، فرمى لعلي رضي الله عنه.

(٤) حديث طويل جاء في آخره: «وإن صاحبكم خليل الله». رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، الباب (١٥)، رقم (٣٦٥٩، ٣٦٦١)، وقال في الموضعين: حديث حسن غريب.

وقيل: إن من شرفِ الأنبياءِ كثرةُ النساء، فحُبِّبَ إليه النساءُ والطيب[١].

وعادةُ الناسِ يسألونَ عن الثلاثة، فإنه ذكرَ الطيبَ والنساءَ ولم يذكرِ الثالثة.

والجوابُ على هذا التقديرِ هي الصلاة.

ولا يلزمُ من كونِ الصلاةِ محبَّبةً إليه أنْ تكونَ الثلاثةُ محبَّبَةً إليه، لأن سلبَ المحبَّةِ عن المجموعِ لا يلزمُ منه سلبها عن كلِّ فرد، فالكلُّ ليس محبوباً إليه، والبعضُ محبوبٌ[٢] إليه.

ومن أثبتَ قال: أما الطيبُ فلأنه يذكرُ رائحةَ الجنَّةِ وينعشُ الحرارةَ الغريزية.

وأيضاً: **كان رسولُ الله ﷺ يتطيَّبُ لقدومِ الملائكةِ عليه، والملائكةُ تحبُّ الطيب**[٣].

قيل: ولمّا تزوَّجَ عليٌّ فاطمةَ **أمرهُ النبيُّ ﷺ أن يصرفَ ثلثَ مهرها في الطيب**[٤].

وكان رسولُ الله ﷺ لا يدخلُ بيتاً فيه كلب[٥]، قيل: لقبحِ رائحةِ الكلب.

---

(١) لم يرد هذا السطر في ب، ج.

(٢) في النسخ: محبوباً.

(٣) قد يفهم هذا من الحديث التالي: «أنا أناجي من لا تناجي». وورد عن عائشة رضي الله عنها قولها: «كان رسول الله ﷺ يكره أن يخرج إلى أصحابه تَفِلَ الريح، وكان إذا كان من آخر الليل مسَّ طيباً». رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» رقم (**٢٣٣**) وقال محققه: حسن.

(٤) أورده بصيغة الضعف. ولم أجده.

(٥) الوارد في هذا أن الملائكة لا تدخل... من ذلك قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة». صحيح البخاري، كتاب المغازي، الباب **١٢** رقم (**٤٠٠٢**). ومنه قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «منعني الكلب الذي كان في بيتك. إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة». صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان رقم (**٢١٠٤**).

وكان لا يأكلُ الثوم، ويقول: «**أنا أناجي مَنْ لا تناجي**»[1]. يقول لبعضِ أصحابه.

وأيضاً: الطيبُ يقوّي الباه، والداعيةُ إليه[2] الجماعُ المؤدّي لكثرةِ النسل.

وأما النساءُ فمعناه: نساءُ أمَّتي، لبقاءِ النسل[3]، لقوله: «**والمولودُ من أمَّتي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها**»[4].

وقال: «**إني مكاثرٌ بكم الأمم**»[5].

وقال[6] النيسابوري: وقيل: المعنى: أحبُّ إلى أمَّتي هذه الثلاث، فأضافَ محبوبهم إلى نفسه.

ويُقال: المرادُ بالطِّيبِ الصوم، لأن «**خلوفَهُ أطيبُ من ريحِ المسك**»[7].

وأيضاً[8]: حبُّ اضطرارٍ لا اختيار؛ لأن الطيبَ لغذاءِ الروح، والنساءَ لغذاءِ النفس، والصلاةَ لغذاءِ السرّ.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ١٥٩/٨، وآخره: «كُلْ فإني أناجي من لا تناجي».

(٢) في ب، ج: إلى.

(٣) لم يرد هذا السطر في ب.

(٤) لم أجده.

(٥) «تزَّوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى». رواه البيهقي عن أبي أمامة رفعه، وصححه في صحيح الجامع (٢٩٤١).

(٦) في أ: قاله.

(٧) «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ ١٩٧/٨.

(٨) «وأيضاً» لم يرد في أ.

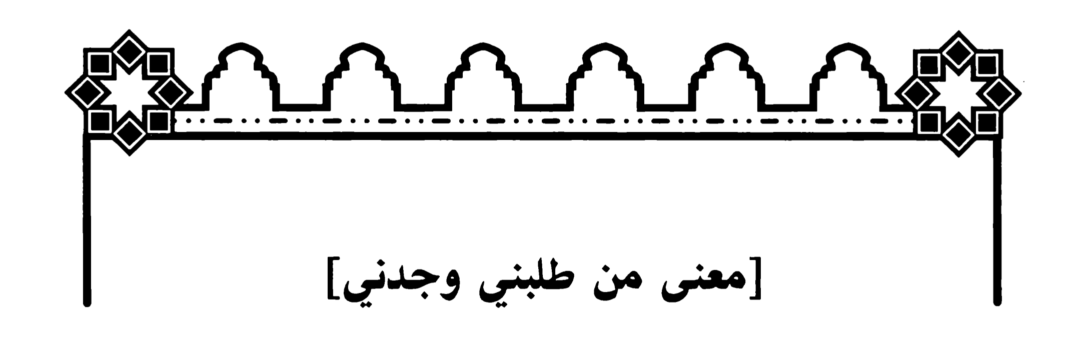
قال الإمام الغزالي رحمه الله: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكم**» أي من عالمِ الشهادة[1].

وعالمُ الدنيا يُسمَّى عالمَ المُلْك، وعالمَ الخَلْق، وعالمَ الشهادة.

وعالمُ السماواتِ يُسمَّى عالمَ المَلَكوت، وعالمَ الأمر، وعالمَ الغيب.



(١) قال رحمه الله: «... وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة، وهو من الدنيا». إحياء علوم الدين **٣/٣٢٢**.



[معنى من طلبني وجدني]

٢١٣ ـ سؤال: ما معنى قولهِ ﷺ عن الله تعالى: «من طلبني وجدني»[(١)]؟

الجواب: قال الجنيد: من طلبني لنفسهِ بنفسهِ من عند نفسهِ لا يجدني، ومن طلبني مني بي من عندي وجدني.

وبالجملةِ لا يوجدُ المولى بالطلب، لأنه موجودٌ بلا طلب.

وقال داود عليه السلام: أين أجدُكَ إذا طلبتك؟ قال: أخطأتَ في[(٢)] أوَّلِ قدمٍ رفعته، لأنك مطلوبٌ غيرُ طالب.

وقال رجلٌ للشبلي[(٣)]: هِل وجدَهُ أحد؟ فقال: هل فقدَهُ أحد؟

وقال: من طلبني بغيري فقدني، ومن طلبني بي وجدني؟[(٤)]

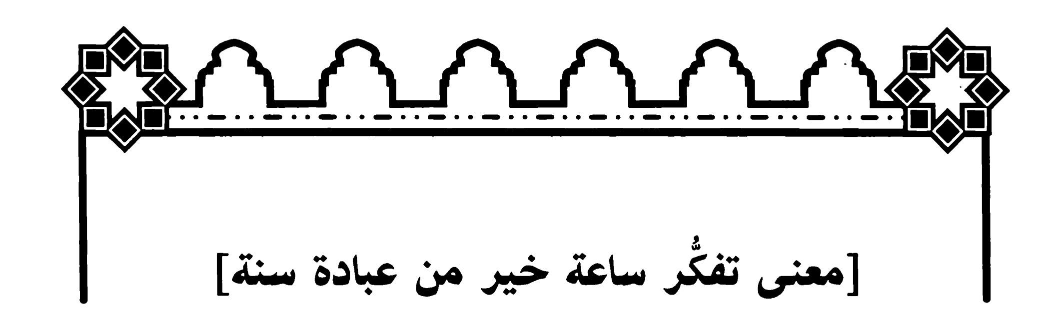
---

(١) يروى الحديث عن أبي الدرداء رفعه: «يقول الله تعالى: من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني». إتحاف السادة المتقين ٩/٦٢٤، وورد في خبر طويل عن سهل بن عبد الله التستري قال: قال الله لآدم: يا آدم إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني... يا آ دم، من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني... حلية الأولياء ١٠/١٩٣.

(٢) في ب: في خطاه، وفي ج: في أخطأتِ.

(٣) أبو بكر الشبلي دُلَف بن جحدر، الزاهد، صاحب الأحوال والتصوف. قرأ في أول أمره الفقه، وبرع في مذهب مالك، ثم سلك وصحب الجنيد، وكان أبوه من حجّاب الدولة. ت٣٣٤هـ. العبر ٢/٥٠.

(٤) في أ: ومن طلبني بلا واسطة وجدني.



[معنى تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة]

٢١٤ ـ سؤال: ما معنى قولهِ ﷺ: «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنة»[١]؟

الجواب: قيل: فيه دليلٌ على أن التفكُّرَ أعلى العبادات، لأن فعلَ القلبِ أعلى من فعلِ النفس.

قال النيسابوري: رُويَ أن المقدادَ بنَ الأسودِ[٢] قال: دخلتُ على أبي هريرةَ رضيَ الله عنه، فسمعتهُ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: **«تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنة»**، ثم دخلتُ على ابن عباسٍ فسمعتهُ يقول: قال عليه الصلاةُ والسلام: **«تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سبعِ سنين»**، ثم دخلتُ على أبي بكرٍ فسمعتهُ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: **«تفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سبعينَ سنة»**.

قال المقداد: فدخلتُ على رسول الله ﷺ فأخبرتهُ بما قالوا، فقال: **«صدقوا»**. ثم قال: **«ادعهم إليّ»**. فدعوتهم، فقالَ لأبي هريرة: **«كيف تفكُّرُكَ، وفي ماذا»**؟

---

(١) سبق تخريجه في الرقم (١٦٦) وأنه ضعيف جداً. وجاء في هامش أ: قال ابن حجر: الحديث من أوله إلى آخره لا أصل له، وهو حديث باطل.

(٢) هو المقداد بن عمرو الكندي، المعروف بالمقداد بن الأسود، صاحب رسول الله ﷺ. كان الفارس الوحيد الذي شهد بدراً، واختلف في الزبير، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ت٣٣هـ. تهذيب الكمال ٤٥٢/٢٨، العبر ٢٥/١.

قال: في قولهِ تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩١].

قال: «**تفكُّرُكَ خيرٌ من عبادةِ سنة**».

ثم سألَ ابن عباسٍ عن تفكُّرِهِ فقال: في الموتِ وهولِ المطلع.

قال: «**تفكُّرُكَ خيرٌ من عبادةِ سبعِ سنين**».

ثم قال لأبي بكر: «**كيف تفكُّرُك**»؟

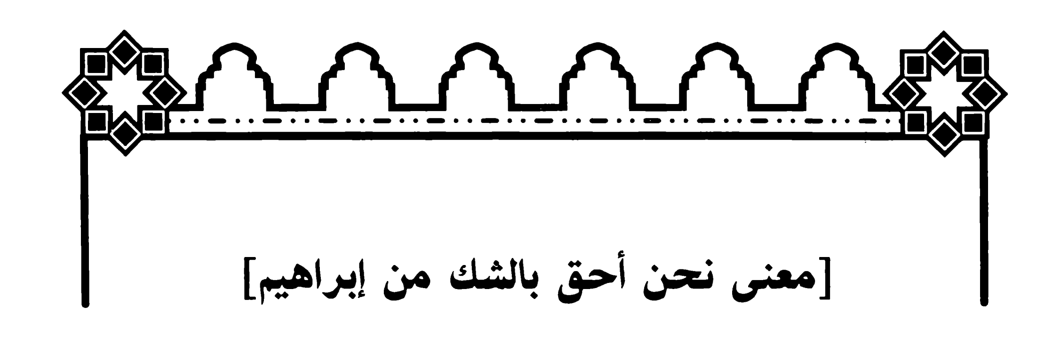
قال: تفكُّري في النارِ وفي أهوالها، وأقول: يا ربِّ اجعلني يومَ القيامةِ من العِظَم بحالٍ يملأ النار مني حتى يصدقَ وعدك، ولا تعذِّبْ أمَّةَ محمدٍ ﷺ في النَار.

فقال ﷺ: «**تفُكُرك خيرٌ من عبادةِ سبعينَ سنة**».

ثم قال: «**أرأفُ أمتي بأمتي أبو بكر**»[1].



(١) سبق القول إن هذا الحديث لا يصح. وأشار إلى نماذج أخرى له في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» رقم (٩٤)، وكذا في «أسنى المطالب» رقم (٥٠٠) وقال: ينسب إلى السري السقطي، وينسب إلى ابن عباس، وإلى أبي الدرداء وليس من المرفوع، ويأتي أوله أيضاً «فكرة ساعة. . .» وأنه موضوع في ضعيف الجامع (٣٩٨٨).
والجملة الأخيرة منه: «أرأف أمتي» رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢١٠/٦ رقم (١١٩٦٧)، والحاكم في المستدرك ٦١٦/٣ رقم (٦٢٨١) وفي سنده الكوثر بن حكيم، قال الذهبي: ساقط. لكنه يأتي بسند صحيح بلفظ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر. . .». الذي رواه الترمذي في سننه (٣٧٩١) وقال: حديث حسن صحيح.



[معنى نحن أحق بالشك من إبراهيم]

٢١٥ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم»(١).

ظاهرُ الخبرِ يوجبُ الشكَّ، وليس له شكّ، ولا لإبراهيم.

لأنه قال حين سأله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ولكن أردتُ أن أنظرَ هل أصلحُ للخُلَّة؟ فشَكَّ ألسنَ المنافقين، وسرَّ قلوبَ المؤمنين بقوله: بلى.

كذلك قال عليه الصلاةُ والسلام: نحن أحقُّ بالشكِّ في أنفسنا: هل نصلحُ للمحبَّةِ أم لا؟

وبذلك فُسِّرَ قولهُ تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: من فضيلتِكَ في شكّ، ﴿فَسْـَٔلِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] أي جاهلاً عن مرتبتك، فهداكَ وعرَّفك(٣).

---

(١) حديث: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾». رواه الشيخان، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١﴾ ٤/١١٩، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٧/٩٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

(٣) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في معنى الآية الكريمة: وجدك بين ضالين فاستنقذك من ضلالتهم الدرر المنثور ٦/٦١١.

وقيل: طلبَ إبراهيمُ الترقِّي من علمِ اليقين إلى عينِ اليقين، فأعطاهُ الله تعالى فوق ذلك، وهو حقُّ اليقين.

والفرقُ بين علم اليقين وعينِ اليقينِ، أن علمَ اليقينِ هو المستفادُ من الأخبار، وعينُ اليقينِ مستفادٌ من المشاهدة، وحقُّ اليقينِ يكونُ بالمعاينةِ والمباشرة.

وقال تعالى في حقِّ الكفار: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧].

ولمّا دخلوها وباشروا عذابها قال تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٣ ـ ٩٥].

وأمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلام أن يأخذَ أربعةً من الطيرِ فيقطِّعهنَّ ويفرِّقهنَّ ويدعهنَّ ليحصلَ له علمُ اليقينِ، وعينُ اليقينِ، وحقُّ اليقين؛ وهذا هو أعلى المقامات.

فإن قيل: ما معنى قولِ عليٍّ رضيَ الله عنه: لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً[(١)]؟

قيل: قال الشيخ عز الدين[(٢)]: ما ازددتُ يقيناً بالإيمانِ بها، وإن كان إذا رآها أبصرَ من التفاصيلِ والهيئاتِ ما لم يحطْ به قبل ذلك. وكذلك إبراهيمُ لمّا رأى كيفيةَ الإحياءِ لم يزددْ يقيناً بالإيمانِ بقدرةِ الله على الإحياء[(٣)]، وإنْ كان قد وقفَ من كيفيةِ الإحياءِ على ما لم يقفْ عليه مع الإيمانِ به، كمن رأى بناءً عجيباً، وشيئاً غريباً، فإنه يعلمُ أن له صانعاً، وإذا لم يفهمْ كيفيَّةَ البناءِ والتصنيعِ، فطلبَ أن ينظرَ إلى كيفيةِ البناءِ، فإنه لا يزدادُ يقيناً بأن البناءَ صدرَ من صانعٍ قادر، ولم يردْ بقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ من شدَّةِ تطلُّبهِ للذَّةِ[(٤)] الكيفيةِ.

---

(١) تفسير أبي السعود ١/٥٦، ٤/٤.

(٢) لعله سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله.

(٣) لم ترد الجملة السابقة في أ.

(٤) في جـ: لهذه.

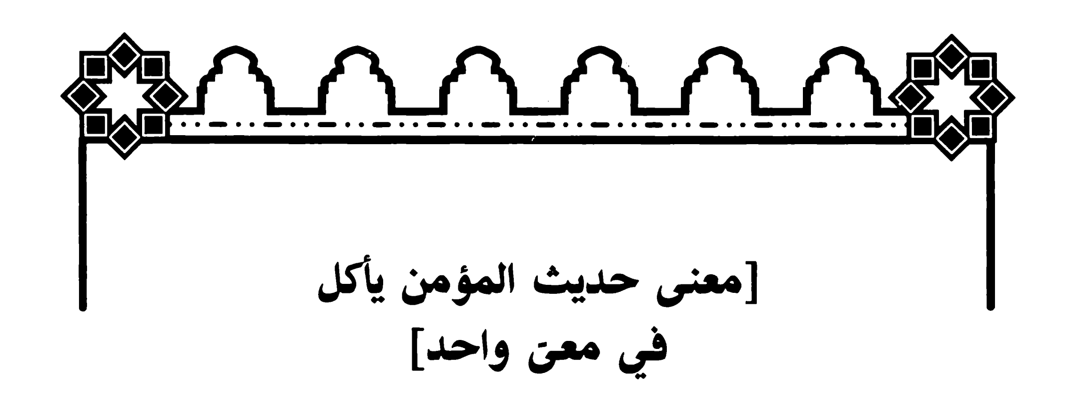
وهكذا انتهت الجملة في النسخ.

وقيل: إنه لمّا بُشِّرَ بالخُلَّةِ طلبَ أن يخرقَ له العادةَ في كيفيةِ الإحياءِ حتىٰ يسكنَ قلبهُ إلى اتِّخاذهِ خليلاً، فإن العادةَ لا تخرقُ إلا لخليلٍ كريم[1] على الله. فلمّا أُجيبَ إلى ذلك سكن قلبهُ إلى أنَّ خُلَّتَهُ انتهتْ إلى حدٍّ يخرقُ العادة فيها بدعائه ﷺ[2].



(١) في ب: الخليل كرمه.

(٢) انظر وجوهاً في هذا الموضوع مع الأدلة في: رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ المنسوب لابن طولون ـ ولعله العلاء الكيلكدي ص**٤٢ ـ ٤٧**.



[معنى حديث المؤمن يأكل في معىً واحد]

٢١٦ ـ سؤال: ما معنى قوله ﷺ: «المؤمنُ يأكلُ في معىً واحد، والكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمعاء»(١)؟

الجواب: قيل: المعنى: إن المؤمنَ همَّتهُ الآخرة، والمهمومُ يقلُّ أكله، والكافرُ همَّتهُ الدنيا، فهو يأكلُ بسبعِ شهوات. والمرادُ بالسبعِ المبالغةُ في كثرةِ الأكل(٢).

وقيل: المرادُ بالأكلِ التبسُّطُ في الدنيا في أنواعِ الملبسِ، والمطعمِ، والشربِ، والمنكحِ، والمسكنِ، والمركبِ، واقتناءِ الأموال. فالكافرُ ينبسطُ في هذه السبعة، والمؤمنُ يقتصرُ على قدرِ الحاجةِ منها.

وقيل: المرادُ أن المؤمنَ إذا أكلَ [أكلَ] قدرَ الشِّبَع(٣) الشرعي، وهوَ ثلثُ البطن، كما قال ﷺ: **«بحسبِ ابنِ آدمَ لُقيماتٍ يُقمنَ صُلبه، فإنْ كان ولا بدَّ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه»**(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معىً واحد رقم (٥٣٩٣).

(٢) في (أ) زيادة: والكافر يأكل في سبعة أمعاء، ذكره أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة.

(٣) في أ: السُّبع.

(٤) جزء من حديث رواه بألفاظ متقاربة. الترمذي في سننه (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك ٣٣١/٤ وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع رقم (١).

وقال ﷺ: **«طعامُ الواحد يكفي الاثنين»**[1].

فالثلثُ يكفي اثنين[2]، فالثلثُ طعامُ واحد، إذا قُسمَ بين اثْنينِ كفى كلَّ واحدٍ السُّدس. فالمؤمنُ يكفيهِ سدسُ بطنه.

ويستحبُّ للآكلِ إذا أكلَ أن يُبقي فضلةً من طعامه، فيسلمُ له شِبَعُ[3] بطنه، وفيه الكفاية. وإليه الإشارةُ بقولهِ ﷺ: **«لقيماتٍ يُقمنَ صُلبه»**.

وأما الكافرُ فإنَّهُ يأكلُ ملءَ بطنه، فحصلَ أنه يأكلُ في سبعةِ أمعاء، وأنه يأكلُ سبعةَ أضعافِ المؤمن، وأن المؤمنَ يأكلُ سُبعَ ما يأكلُ الكافر. ذكرَ ذلك الكَلَاباذي[4].

وقيل: هو خاصٌّ في رجلٍ كان اسمهُ جهجاه بن سعد الغفاري، كان يُكثرُ الأكلَ في كُفره، فلمّا أسلمَ أقلَّ الأكل، **فمدحهُ رسولُ الله ﷺ**[5].

قال النيسابوري: ويُقال: للمؤمن معىً واحد، وللكافرِ سبعةُ أمعاء، أحدها طبع، وستَّةٌ حِرْص. فالمؤمنُ يأكلُ بالطبعِ لا بالحرص، والكافرُ يأكلُ بالطبعِ والحرص.



---

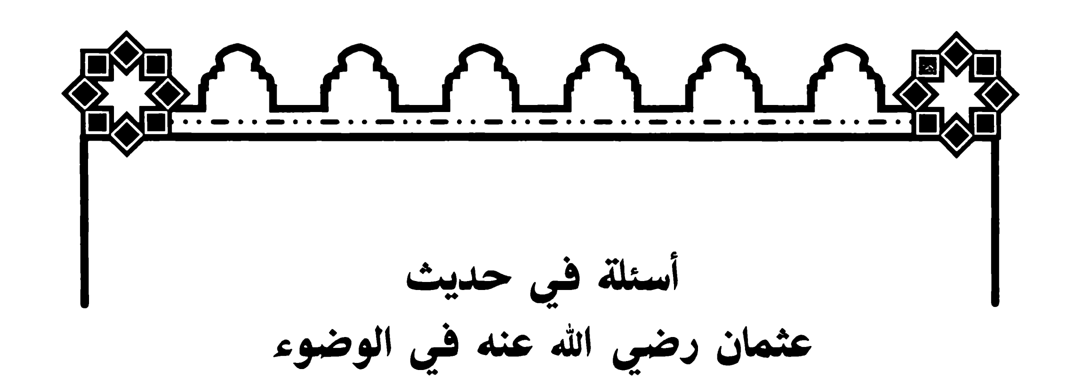
(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل رقم (٢٠٥٩).

(٢) لم ترد هذه الجملة في أ، ج.

(٣) في ج: سبع.

(٤) محمود بن أبي بكر الكلاباذي البخاري، شمس الدين أبو العلاء. محدِّث متقن وفرضي نابغة، جمُّ الفضائل، واسع الرحلة، توفي بدمشق سنة ٧٠٠هـ. الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية ٤٥٣/٣.

(٥) الحديث في سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معىً واحد، رقم (١٨١٨، ١٨١٩) وصححهما، وذُكر جهجاه راوياً في الأول، ولم يسمَّ الشخص هنا، لكنه مسمى في المعجم الكبير للطبراني (٢١٥٢) في قصة، وكذا في الآحاد والمثاني (٩٩٨). قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وأبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٣٢/٥.



أسئلة في حديث
عثمان رضي الله عنه في الوضوء

٢١٧ ـ أنه دعا بوَضوء، فأفرغَ على يديه من إناء، فغسلهما ثلاثَ مرّات، ثم أدخلَ يمينَهُ في الوَضوء، ثم تمضمضَ واستنشقَ واستنثر، ثم غسلَ وجهَهُ ثلاثاً، ويديهِ إلى المرفقينِ ثلاثاً، ثم مسحَ رأسه، ثم غسلَ رجليهِ ثلاثاً، ثم قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضَّأ نحوَ وُضوئي هذا، ثم قال:

«مَنْ تَوضَّأَ نحوَ وُضوئي هذا، ثم صلَّى ركعتين، لا يحدِّثُ فيهما نفسه، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه»[(١)].

لمَ قال: «نحوَ وضوئي هذا» ولم يقل: «مثلَ وضوئي»؟ وهل بين المثلِ والنحوِ فرق؟

الجواب: إنما قال ﷺ: **«نحوَ وضوئي»** ولم يقل: «مثلَ وضوئي» لوجوه:

---

(١) يأتي بألفاظ متقاربة، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ٤٨/١، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله رقم (٢٢٦).
وفي (أ) أورد رواية في آخرها: «ما تقدم من ذنبه وما تأخر». ومما وقفت على ذلك حديث: «لا يُسبغ عبدٌ الوضوء إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». رواه البزار بإسناد حسن. الترغيب والترهيب ١٥٣/١.

الأول: أنه ﷺ وقَّتَ حصولَ ذلك الثوابِ على الإتيانِ بوضوءٍ يقاربُ وضوءه، ولم يشترطْ في الحصولِ الإتيانَ[1] بمثلِ ذلك الوضوء، ليتيسَّرَ ذلك على الأمَّةِ والتوسعةِ عليهم في أبوابِ الفضل.

ويقربُ منه قولهُ ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا**»[2] أي: لن تستطيعوا الإتيانَ بما أُمرتم به، فقاربوا الإتيانِ بمثله.

والذي يقربُ من الشيءِ هو النحوُ.

الثاني: أنه ﷺ قال: «**نحو وضوئي**» ولم يقلْ: «مثلَ وضوئي» لأنَّ أحداً من الأمَّةِ لا يستطيعُ أن يأتيَ بمثلِ العبادةِ التي أتىٰ بها النبيُّ ﷺ في صفاتها الكاملة، من الإخلاص، وحضورِ القلب، والخشوع، والمراقبة، وحسنِ الأداء[3]، أشارَ إلى ذلك بقولهِ ﷺ: «**أنا أتقاكم لله وأشدُّكم له خشية**»[4].

وقد قيلَ في قولهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] إنما قال تعالى: ﴿لَّكَ﴾ لأن عبادتَهُ ﷺ مقطوعٌ بقبولها.

وقيل: لأنَّ فرائضَهُ لا تكملُ من نوافلهِ، لكمالها وعدمِ نقصها، بخلافِ الأمَّة، فإنَّ النوافلَ تجبرُ ما يقعُ في فرائضها من الخللِ[5].

الثالث: لا بدَّ في حصولِ ذلك من مراعاةِ «النحو»، فيأتي بوضوءٍ يقاربُ ذلك الفعل، ولا يأتي به بعيداً عنه، لأن مدلولَ النحوِ القصد، ونحا إذا قصد، ونحا نحوَهُ أي قصدَ قصدَهُ.

---

(١) في ب: ولم يشرط الإتيان.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة ٧/١٨١ ـ ١٨٢.

(٣) في أ: الأدب.

(٤) هكذا أورده المؤلف، وهو في الصحيح بلفظ: «... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له...». صحيح البخاري، كتاب النكاح، الحديث الأول من الباب الأول ٦/١١٦.

(٥) في أ: فإن فرائضهم تكمل بالنوافل فتجبر ما يقع فيها من الخلل.

الرابع: وهو موقوفٌ على مقدِّمة، وهو أنَّ المثلينِ بينهما تغايرٌ بالذات، واتِّحادٌ في العوارضِ والصفات، لأن المثلينِ هما اللذان يثبتُ لكلِّ واحدٍ منهما ما يثبتُ للآخر، ويستحيلُ على كلٍّ منهما ما يستحيلُ على الآخر.

وقد تُطلقُ المماثلةُ ويُرادُ بها التساوي في بعضِ الوجوهِ مجازاً لا حقيقة، ويدلُّ عليه قولهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥] فإنهم لم يعتبروا في الجزاءِ المماثلةَ من كلِّ وجه، **لأنه ﷺ أوجبَ في الضَّبُعِ كبشاً من الغنم**[١]، وحكمَ الصحابةُ رضيَ الله عنهم في النعامةِ ببدنة، وفي الغزالةِ بعنز، وفي الأرنبِ بعَناق[٢]، وفي اليربوع بجَفْرة[٣]، مع أنَّ هذه الحيواناتِ ليستْ متماثلةً في جميعِ الصفات، بل اكتفوا بالشبهِ الواحد[٤]، حتى حكموا في الحمامِ بشاةٍ[٥]، لأنها تشبههُ في عَبِّ الماء[٦].

فظاهرُ الآيةِ يقتضي إيجابَ الجزاءِ لمثلِ الصيدِ لا للصيد، لقوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. ومن المعلومِ أن الجزاءَ واجبٌ للصيدِ لا لمثلِ الصيد.

وقد أشكلَ ذلك على مثلِ الواحدي[٧]، فادَّعى أن «مثل» زائدة، وأن

---

(١) عن جابر قال: جعل رسول الله ﷺ في الضبع يصيبه المحرم كبشاً، وجعله من الصيد. سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب جزاء الصيد يصيبه المحرم رقم (٣٠٨٥).

(٢) العناق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول. والمقصود أنثى المعز. كما في مغني المحتاج ٥٢٦/١.

(٣) الجفر من أولاد الشاء: ما عظم واستكرش، أو بلغ أربعة أشهر. والمقصود أنثى المعز إذا بلغت أربعة أشهر، كما في مغني المحتاج ٥٢٦/١.

(٤) في أ: بالشبهة الواحدة.

(٥) ذكره في المصدر السابق، وأنه استثناء من قياس، وأن في مستند الصحابة وجهين، أصحهما توقيف بلغهم فيه، والثاني: ما بينهما من الشبه وهو إلف البيوت...

(٦) عبَّ: أي شرب الماء بلا مص وهدر.

(٧) المفسر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أحد من برع في العلم، وكان رأساً في العربية. ت٤٦٨هـ. العبر ٣٢٤/٢.

المعنى: فجزاءُ ما قتلَ من النعم. ووجَّهَهُ الزمخشريُ بأنَّ أصله: فجزاءُ مثلَ ما قتلَ، بنصبِ «مثل» على أنه معمولٌ للمصدر، والمعنى: فعليه أن يجزيَ مثلَ ما قتل، أي يدفعَ مثلَ ما قتل[١]، ثم أضيفَ المصدرُ إلى «مثل» كما تقول: عجبتُ من ضربِ زيداً، ثم: من ضربِ زيدٍ.

ويجوزُ أن يُرادَ بالجزاءِ القيمة، ويكونُ المعنى: فعليه قيمةُ مثلِ المقتولِ، إنْ كان له مثلٌ من النَّعم، لأنه إذا وجبتْ قيمةُ المثلِ وجبتْ قيمةُ مماثله[٢]، وهو الصيد، لأنه قد سبقَ أنَّ المثلين هما اللذان يثبتُ لكلٍّ منهما ما يثبتُ للآخر.

وعلى هذا ينزلُ مذهبُ أبي حنيفةَ رحمهُ الله، فإنه اعتبرَ قيمةَ الصيد[٣]، فإن بلغتْ قيمتهُ ثمنَ هدي تُخيِّرَ بين أن يهدي من النَّعم ما قيمتهُ قيمةُ الصيد، وبين أن يشتريَ بقيمتهِ طعاماً، فيعطيَ كلَّ مسكينٍ نصفَ صاع، وإنْ شاءَ صامَ عن طعامِ كلِّ مسكينٍ يوماً.

هذا كلُّهُ على قراءةِ الجرّ، وقُرئ ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برفعِ الجزاء، ومثل[٤].

قال الزجّاج[٥]: والمِثْلُ على هذا نعتٌ للجزاء، أي: فعليه جزاءٌ مماثلٌ لما قتل. ويكونُ ذلك الجزاءُ من النَّعم.

وجوَّزَ الزجّاجُ أن يُرفع «جزاءُ» على الابتداء، ويكون «مثلُ»[٦] خبراً له، والمعنى: فجزاءُ ذلك الفعلِ مثلُ ما قتل.

---

(١) لم ترد الجملة السابقة في ج.
(٢) في ج: مماثلة من النعم.
(٣) في ب: المصيد.
(٤) في أ، ج: والمثل.
(٥) هو إبراهيم بن السَّري، أبو إسحاق الزجاج، نحوي العراق وصاحب المبرِّد، صنَّف التصانيف الكثيرة. ت٣١١هـ. العبر ١/٤٦١.
(٦) من قوله: «مثل» حتى هنا، سقط من ج.

قال الزمخشري: وقرأ عبد الله «فجزاؤه[1] مثل ما قتل»، وقرأ محمد بن مقاتل: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ بمعنى: فليجزِ جزاءً مثل ما قتل.

ويحتملُ على قراءةِ الجرِّ[2] أنه تعالى إنما أوجبَ جزاءَ المثل، لأن الصيدَ المقتولَ نجس، لأنه ميتة، ولا قيمةَ له إلا بفرضهِ حيّاً.

وقد يُعْدَمُ الصيدُ فلا يمكنُ تقويمهُ حالةَ الأداء، فاعتُبِرَ جزاءُ المثلِ لأنه يوجدُ أيَّ وقتٍ طلبه.

وأما قولهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فقد أكثرَ العلماءُ فيه.

قال أبو علي في «المصابيح»: والذي عندنا ـ والله أعلم ـ أنه لا مثلَ له، ولا ما يقاربهُ في المماثلة، لأنه نفىٰ التشبيهَ[3] به، ثم نفىٰ التشبيهَ الأبعدَ عمّا يشبهه، فكأنه قال: لا يُشبههُ شيءٌ تشبيهاً بعيداً ولا قريباً.

ولما كان التشبيهُ في المشاهدِ[4] يصحُّ في طرفين: أن يشبهَ به شيءٌ في أفعاله، وهو أقربُ الشبهين، الثاني: أن يُشبهَ به في ذاته، وهو أبعدُ الشبهين، لأن الذوات متغايرة.

ونحواً منه: أنهم إذا أرادوا الشبهَ الملاصقَ المقارن يقولون: هو كزيد، وإذا أرادوا بُعْدَهُ منه قالوا: كأنه زيد.

ومنه قولهُ تعالى عن بلقيس: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، وقولُ ابن أبي ذئب[5]:

(١) في أ: فاليجز إجزاء، وفي ج: فليخرجوا.

(٢) في ب: ويحتمل قراءة الجزاء، وفي ج: . . . قراءة الجر.

(٣) في ج: الشبه.

(٤) في ب: المشاهد.

(٥) في أ: ابن أبي ذؤيب، وفي ج: ابن أبي ذئبة.

فوالله لا ألقى ابنَ عمٍّ كأنه يشبّهُ[1] ما دام الحمامُ ينوحُ

أي: لا ألقى أحداً يشبهه، ولا شبهاً بعيداً.

فظهرَ بذلك أن قولَهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أبلغُ من نفي الشَّبَهِ.

والمِثْلُ مَنْ ليس كمثلهِ شيء، وأبلغُ من «ليس» هو «كشيء»[2].

وذكرَ الزمخشري كلاماً حاصله: أنهم إذا قصدوا المبالغةَ في إثباتِ شيءٍ لشيءٍ أو نفيهِ عنه، أثبتوهُ لمثلهِ أو نفوهُ[3] عنه، لأنهم إذا أثبتوهُ أو نفوهُ عمَّن يسدُّ مسدَّه وعمَّن هو على أخصِّ أوصافه، فقد نفوهُ عنه وسلكوا به مسلكَ الكناية، تسميةَ الشيءِ[4] باسمِ غيرهِ مبالغة.

قال: ومثلُ ذلك قولُكَ للعرب: لا تخفروا[5] الذِّمَم، فإنه أبلغُ من قولك: أنت لا تخفرُ الذِّمَم.

وإذا قصدوا نفيَ البخلِ عن إنسانٍ قالوا: مثلُكَ لا يبخل، فنفوا البخلَ عنه، وهم يريدونَ نفيَهُ عن ذاتهِ؛ قصداً للمبالغة.

قال: وإذا عُلِمَ أنه من بابِ الكنايةِ لم يقعْ فرقٌ بين قوله: «ليس كالله[6] شيء» وبين قولهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلا ما تعطيهِ الكنايةُ من فائدتها، وكأنهما عبارتانِ متعقبتانِ على معنى واحد[7]، وهي نفيُ المماثلةِ عن ذاتهِ.

ونحوهُ قولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فإن معناه:

---

(١) في لسان العرب «نُشَيْبة» وقد أبقيته كما هو لما يتعلق به من شرح آت. ينظر لسان العرب ٢/٦٢٧، ٤/٢٢.

(٢) في ب، ج: والمثل ليس مثله شيء وأبلغ من ليس هو كثير (وفي ج: هو كشيء).

(٣) في أ: نفيه.

(٤) في ج: تسمية للشيء.

(٥) في أ: قولك للعرب: العرب لا تحقروا الذمم.

(٦) في أ: كما لله.

(٧) في أ: على واحد.

إنه جواد، من غيرِ تصوير، ويداهُ نعمتاهُ[1] على خلقهِ في الدنيا والآخرة.

فلمّا استعملوا اليدَ فيمن لا يدَ له، كذلك فرضوا المِثْلَ فيمن لا مِثْلَ له.

ثم قال: ذلك أن يزعمَ أن كلمةَ التشبيهِ كُرِّرتْ للتأكيد، كما كرَّرها من قال:

وصـــالـــيـــاتٍ كَـــكَـــمـــاً يـــؤثـــيـــن[2].

ومن قال: أصبحتْ «مثل» كعصفٍ مأكول[3].

قال أبو علي في المصابيح: والبيتُ الأوَّلُ أنشدَهُ سيبويه، وهو من أصحِّ الضرورات، ومثلهُ لا يردُ في أجلِّ[4] رُتبِ البلاغة.

قال: وقال بعضهم: إن «مثل» وقعَ هاهنا صفة، لأنَّ «مثل» بمعنى مثيل، يقول: مِثْل، ومَثَل، ومَثِيل، كشِبْه، وشَبَه، وشبيه، بمعنى شبه[5]، وبدّل بمعنى بَدَل، كذلك مَثَل[6] بمعنى مِثْل. والمَثَلُ: الوصف[7]، ومنه قولهُ تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفةُ الجنَّة ﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقولهُ تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧] أي الوصفُ الأعلى، في السماواتِ والأرض.

وقيل: الكافُ صلة، و«مثل» أصلية، والمعنى: ليس هو كشيء. حكاهُ البغوي.

وقال بعضهم: «لا»[8] زائدة، والنفيُ واردٌ على مثلِ المثل، وإذا وردَ

---

(١) في ب، جـ: نعمتان.

(٢) في ب: ليات حكماً يوسين، وفي جـ: وصاليات حكماً يوثفين. وفي هامش أ: وصل لياتِ حكماً يوسين.

(٣) في ب: أصبحت كعصف مأكول.

(٤) في ب: أحلى.

(٥) في جـ: شبيه.

(٦) من قول: «كشبه» حتى هنا، سقط من ب.

(٧) في أ: للوصف.

(٨) هكذا في النسخ.

النفيُ على مثلِ المثلِ لزمَ منه نفيُ المثل، فإنه يَثْبتُ[1] لكلٍّ من المثلينِ ما يثبتُ للآخر، كما سبق.

فإنْ قيل: فإذا لزمَ من نفي المثلِ نفيُ مثله، فيلزمُ نفيُ الباري تعالى، وهو محال.

قيل: سلبُ[2] مثلهِ سبحانه ليس على جهةِ الحقيقة، بل هو على سبيلِ الفرض، أي: لو كان له مثلُ اسم لكان منتفياً.

وأيضاً: السالبةُ البسيطةُ لا تستلزمُ[3] وجودَ الموضوع، لأنك إذا قلت: ليس زيدٌ بقائم، أي: زيدٌ ليس بقائم، صدق ذلك على وجودِ زيد، وسلبِ القيامِ عنه. وصدق حيث لا يوجدُ زيدٌ بالكلِّية.

ولهذا كانتْ أعمَّ من الموجبةِ بالمعدولةِ المحمول، كقولك: زيدٌ وهو ليس بكاتب، فإنها تلتزمُ وجودَ الموضوع.

قيل: ولهذا لا يصحُّ قولك: شريكُ الباري ليس هو بموجود، لأنك في الأوَّلِ أثبتَّ ثم سلبت، وفي الثاني سلبت، ومتى تقدَّمَ حرفُ السلبِ على الرابطةِ كانتِ القضيَّةُ موجبةً[4] معدولة. وهذا معنىً دقيقٌ فتأمَّله.

ويظهرُ في الآيةِ جوابٌ آخرَ لم يذكروه، وهو أنَّ أوصافَ الذمِّ والنقصِ[5] إذا قُصِدَ سلبُها عن أحد، فالأولى من وجهةِ الأدبِ عدمُ استنادها إليه في مقامِ الشرف، ولا يُسنَدُ[6] إلى المناسبِ الملائم، لأن فيه[7] إيهامَ إسنادِ الوصفِ إليه ثم سلبهِ عنه.

---

(١) في ب: ينسب.
(٢) في ب: سلبه.
(٣) في ب: لا تلتزم، وكذا فيما يأتي بعد سطور.
(٤) في ج: موجودة.
(٥) في ب: والتنقص.
(٦) في ج: في مقام فلا يسند.
(٧) في ب: فيها.

ولهذا كان قولك: الكريمُ مثلُكَ لا يبخل، أحسنَ من قولك: أنت لا تبخل[1]، لأن فيه إيهامَ إسنادِ البخلِ إليه ثم سلبهِ عنه، لما عُلِمَ أن[2] السلبَ مسبوقٌ بالإيجاب، أو بما يوهمه.

ولذلك[3] قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولم يقل: «ليس كالله شيء»، فسلبَ المثلَ عن مماثلٍ على سبيلِ الفرض، ولا حقيقةَ لذلك المماثل[4]، فانتفى عنه المثل ـ سبحانه ـ بطريقِ اللازم، كما عُلِمَ فيما سبق.

وظهرَ بمجموعِ الآيتينِ أن «المِثْلَ» يَطلقُ ويُستعملُ مُجازاً[5] في غيرِ ما وُضِعَ له.

ويدلُّ على ذلك أيضاً قولهُ ﷺ: **«إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقول»**[6] مع أن السامعَ لا يجيبُ المؤذِّنَ برفعِ صوته، وإلا لكان يكونُ مؤذِّناً[7]، بل يأتي بمثلِ قوله، لا صفةِ قوله.

على أنَّ هذا الحديثَ عامٌّ مخصوصٌ عند الجمهور، فإنه لا يوافقهُ في الحيعلتين، بل يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وقيل: يقولُ ذلك أيضاً، وقيل: يجمعُ بينهما. حكاهُ الشيخُ علاءُ الدين مغلطاي[8] في «شرح البخاري».

فظهرَ أيضاً بهذا الحديثِ أن لفظَ «المِثْل» يُطلقُ على المساوِئِ في بعضِ الوجوه. وإذا ثبتَ ذلك ففي «مثل» نفي «النحو» من بابِ أولى.

---

(١) سقطت الجملتان السابقتان من أ.
(٢) في جـ: لما أن.
(٣) في ب، جـ: وكذلك.
(٤) في ب: المتماثل.
(٥) في ب: مجاباً.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن ٤/٢.
(٧) في أ، جـ: لكان مؤذناً.
(٨) مغلطاي بن قليج البكجري، علاء الدين الحنفي، مؤرخ من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب، تركي الأصل، له مآخذ على المحدثين وأهل اللغة. ت٧٦٢هـ. الأعلام ٧/٢٧٥.

الخامس: إنما قال ﷺ: «**نحوَ وُضوئي**» ولم يقلْ «مثل» لأنَّ أفعالَ المكلَّفينَ مغايرةٌ كتغايرِ الذوات، فالمثليَّةُ فيها لا تتحقَّق؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الروم: ٢٢][1].

ومن جملةِ آيات الله تعالى اختلافُ أفعالنا أيضاً، حتى إنَّ الشخصَ الواحدَ لا يماثلُ فعلُهُ اليومَ فعلَهُ بالأمس.

وقولهُ ﷺ: «**من توضّأ نحوَ وُضوئي هذا ثم قامَ فصلَّى ركعتينِ لا يحدِّثُ فيهما نفسَهُ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه**»، رتَّبَ المغفرةَ على **ثلاثةِ شروط**:

● **الأول**: بـ «نحو وضوئي» ومراعاةُ الكيفيةِ المذكورة، من تثليثِ الغَسْل في الأعضاء، والإتيانِ بغسلِ الكفَّين، والمضمضة، والاستنشاق، فإنْ نقصَ من ذلك أو تركَ هذه السنن، وأتى بواجباتِ الوضوء، احتملَ حصولُ الثوابِ وحصولُ المغفرة؛ لأنَّ مَنْ أتىٰ بالواجباتِ فقد أتىٰ بنحوِ قوله.

فعلى هذا إذا توضَّأ مرَّة، ثم صلَّى، غُفِرَ له.

ويحتملُ منعُ الحصول؛ لتفريطهِ في السنَّةِ بتركِ الإتيانِ بكلِّ ما فعله.

ولو زادَ في الوضوءِ، فغسلَ أربعَ مرّات، أو أسرفَ في الماءِ من غيرِ[2] حاجته، فالمتَّجَهُ عدمُ الحصول، لأنه زادَ على النحو، وغلا في الدِّين، وعُدَّ من المسرفين.

وقد حكى الدارميُّ في «الاستذكار»[3] قولاً أنه لا يصحُّ وضوؤه، كمن زادَ في الصلاةِ ركوعاً أو سجوداً، ويشهدُ لذلك قولهُ ﷺ: «**كلُّ عملٍ ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[4].

---

(١) ذكره الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٠٨/٣.

(٢) في أ، ج: من نحو.

(٣) الاستذكار في الفقه الشافعي، لأبي الفرج محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي الحافظ. ت٤٤٨هـ.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وهو في الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام رقم (١٨/١٧١٨).

● **الثاني**: قولهُ ﷺ: «**ثم قامَ فصلَّى**» فيه دليلٌ على اشتراطِ الصلاةِ من قيام، وهذه الروايةُ في مسلم أيضاً[1]. فلو صلَّى من قعودٍ لم يحصلْ له هذا الثوابُ المرتَّب، لإخلالهِ بالقِيام.

● **الثالث**: أنه لو صلَّى ركعةً واحدةً لم يحصلْ له ذلك، لأن الأجرَ إذا رُتِّبَ على درهمينِ لم يحصلْ على درهم، ولو زادَ على ركعتينِ فصلَّى أربعَ ركعاتٍ أو ثلاثاً، فالظاهرُ الحصول، لأنه قد أتى بالركعتينِ وزيادة.

ولم يُبيَّنْ في هذا الحديثِ ما ينوي بالركعتين، وقد قيل: ينوي بهما سنَّةَ الوضوء، لحديثِ بلالٍ المخرَّجْ في الصحيحين، أنه كان متى توضَّأ صلَّى، وقال: إنه أرجى عملٍ له[2].

قال النووي في شرحِ مسلم: في هذا الحديثِ دليلٌ على استحبابِ ركعتينِ عقبَ الوضوء، وهو سنَّةٌ مؤكدة.

قال: قال أصحابنا: وتُفْعَلُ هذه الصلاةُ في أوقاتِ النهي وغيرها؛ لأن لها سبباً.

قال: فلو صلَّى فريضةً أو نافلةً مقصودةً حصلتْ هذه الفضيلة، كما تحصلُ تحيَّةُ المسجدِ بصلاةِ ركعتينِ. انتهى[3].

ولو توضأ وأحرمَ بأربعِ ركعات، ثم سها في ركعتين، وحضرَ قلبهُ في

---

(١) لفظه عنده: «ما من مسلم يتوضأ فيُحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين. . .». كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم (٢٣٤). وقد يوجد بألفاظ وطرق أخرى.

(٢) قال رسولُ الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليل خشف نعليك بين يديَّ في الجنَّة». . . إلخ. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل بلال رضي الله عنه، رقم (٢٤٥٨) واللفظ له، صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار ٤٨/٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٨/٣.

ركعتين، ثم سلَّم، فظاهرُ الحديثِ حصولُ هذا الثواب؛ لأنه صدقَ عليه أنه صلى ركعتينِ لم يحدِّثْ فيهما نفسه.

وهل يستحبُّ في هاتينِ الركعتينِ التطويلُ أو الإسراع؟

المتَّجهُ استحبابُ الإسراعِ تعجيلاً لحصولِ المغفرة، ولأنه قد يموتُ قبل إكمالها إذا طوَّلها.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«إذا قام أحدكم من الليل، فليفتتحْ صلاتَهُ بركعتينِ خفيفتين»**(١).

وقد ذكروا له **معنيين**:

ـ **أحدهما**: الإسراعُ والمبادرةُ إلى حلِّ عُقَدِ الشيطان، لما وردَ في قولهِ ﷺ: **«يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ أحدكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَد، يضربُ مكانَ كلِّ عقدة: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقد. فإنْ هو استيقظَ فذكرَ الله انحلَّتْ عُقدة، فإذا توضَّأ انحلَّتْ عُقدة، فإذا صلَّى ركعتينِ انحلَّتْ عُقَدُهُ كلُّها؛ فأصبحَ نشيطاً طيِّبَ النفس، وإلا أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلان»**(٢).

وفي روايةِ ابن ماجه: **«يعقدُ الشيطانُ في حبلٍ على قافيةِ أحدكم»**(٣).

والحبلُ هنا مجاز، ولطولهِ مناسبة، لقوله: «عليكَ ليلٌ طويل».

قال بعضُ أشياخنا: المرادُ بقولهِ ﷺ: **«إذا هو نام»** النومُ عن صلاةِ العشاء، لأن من صلى العشاءَ ثم نامَ لا يُصبحُ خبيثَ النفس، وإنما يُصبحُ خبيثاً إذا تركَ الواجب.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل، رقم (٧٦٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس ٤٦/٢ (مع اختلاف في بعض الألفاظ).

(٣) لفظه عنده: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم بالليل بحبل فيه ثلاث عقد...». سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، رقم (١٣٢٩).

ـ **والثاني**: أنه إذا قامَ من الليلِ ثم شرعَ في الصلاة، فربما بقيتْ عنده بقايا نومٍ وشواغل، فإذا صلَّى ركعتينِ حصل له إدمانٌ على الطاعةِ وإقبالٌ على العبَّادة.

قال الحليمي: ولهذه الحكمةِ قُدِّمتِ النوافلُ على الفرائضِ.

وعلى المعنيين يستحبُّ الإسراعُ في ركعتي الفجر، والتطويلُ في صلاةِ الصبح.

ويقربُ من المعنى الأوَّلِ[(١)] **أقوالٌ** حكاها بعضُ العلماءِ في الإتيانِ بكلمةِ الشهادة: هل يستحبُّ فيها المدُّ أم الإسراع؟

قيل: يستحبُّ المدّ، فيقول: «لا إلٰه إلا الله» بالمدّ.

وقد وردَ: «**من قال لا إلٰه إلا الله مادّاً بها صوته**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**يُغْفَرُ للمؤذِّنِ مدى صوته**»[(٣)]. وفي رواية لأحمد: «**مدَّ صوته**»[(٤)].

والمرادُ بمدِّ الصوت: الموضعُ الذي ينتهي إليه صوته. ومدُّ الشيءِ نهايتهُ.

والقولُ الثاني: أنه يُستحبُّ القصرُ مخافةَ أن يموتَ قبل إتمامها.

والثالث: إنْ كان كافراً استحبَّ له[(٥)] القصر؛ لئلا يموتَ قبل إتمامها،

---

(١) في أ: من هذا المعنى.

(٢) ورد في حديث ابن عباس: «إن الله عزَّ وجلَّ خلق ملكاً يوم خلق السماوات والأرض فأمره أن يقول لا إلٰه إلا الله، فهو يقول لا إلٰه إلا الله مادّاً بها صوته...». الفردوس للديلمي رقم (٦٣٧). وأورده صاحب «تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة» في مصنفه هذا رقم (٣٣).

(٣) رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن الكبرى ٤٣١/١ رقم (١٨٧٢). وبلفظ: «المؤذن يغفر له مدى صوته». رواه ابن حبان (١٦٦٦) وقال فيه الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرطهما.

(٤) مسند أحمد (٦٢٠١) بلفظ: «يغفر الله للمؤذن مد صوته»، وقال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(٥) من قوله: «القصر» حتى هنا، سقط من أ، ج.

فيكونُ كافراً. وإن كان مسلماً استحبَّ له المدُّ كالمؤذِّن.

وقولهُ ﷺ: «**ثم قامَ فصلَّى**» فيه دليلٌ على اشتراطِ الصلاة، لكنه معارضٌ بما رواهُ الترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ العبدَ إذا توضَّأ خرج نقيّاً من الذنوب**»[1].

ورواه الإمامُ أحمد وزاد: «**فإنْ صلَّى كانتْ صلاتهُ نافلة**»[2].

وفيه دليلٌ على أنه لا بدَّ أن يتركَ الوسوسةَ في أوَّلِ صلاته.

وينبغي أن يأتي بالصلاةِ عقبَ الوضوء، لتتَّصلَ الوسيلةُ بالمتوسَّلِ إليه.

فإنْ قيل: لمَ قال ﷺ: «**ثم قام فصلَّى**» فأتىٰ بـ «ثم» في الأول، وبالفاءِ في الثاني؟

قلت: لأنَّ الصلاةَ لا تقعُ في موضعِ[3] الوضوء، ولا تفعلُ إلا في مكانٍ آخرَ غالباً، فلا بدَّ من مهلةٍ في الزمانِ يمكنهُ المشيُ فيها إلى موضعِ الصلاةِ المهيّأ لها؛ فلذلك أتى بـ «ثم».

فإذا قامَ إلى الصلاةِ يستحبُّ التحرُّمُ عقبَ الإتمام[4]، وتركَ الوسوسةَ عند التكبير. وهذا سرٌّ لطيفٌ فاعرفه.

---

(١) أورده المؤلف باختصار، ويكون أوله: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء... حتى يخرج نقياً من الذنوب». سنن الترمذي رقم (٢) وقال: حديث حسن صحيح. وكذا هو عند مسلم رقم (٢٤٤)، وعند أحمد (٨٠٠٧).

(٢) هذه الزيادة واردة في مسلم وغيره، وهي من حديث بلفظ: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة». صحيح مسلم رقم (٢٢٩).

أما عند أحمد فالذي وقفت عليه من حديث أبي أمامة، وهو بلفظ: «ما من عبد مسلم يسمع أذان صلاة، فقام إلى وضوئه، إلا غفر له بأول قطرة تصيب كفه من ذلك الماء، فبعدد ذلك القطر حتى يفرغ من وضوئه إلا غفر له ما سلف من ذنوبه وقام إلى صلاته وهي نافلة». المسند رقم (٢٢٢٤٢).

(٣) في ب: موقع.

(٤) في ب: الإمام.

الرابع[1]: قولهُ ﷺ: «**لا يحدِّثُ فيهما نفسه**».

اعلمْ أنَّ الغزاليَّ قد ذكرَ في كتاب «الجواهر» أن النفسَ والروحَ والعقلَ بمعنى، قال: وهو السرُّ الربانيُّ الذي يمتازُ به نوعُ الإنسان، وهو الذي يحصلُ به الإدراكُ ويُفْهَمُ به الخطاب.

والناسُ في هذا كثير، والذي يترجَّحُ ويقربُ أن الإنسانَ له **نفسان**: حيوانية، ونفسٌ روحانية.

فالنفسُ الحيوانيةُ لا تفارقهُ إلا بالموت.

والنفسُ الروحانيةُ التي هي من أمرِ الله، فبها يفهمُ ويعقل، وهي التي يتوجَّهُ لها الخطاب، وهي التي تفارقُ الإنسانَ عند النوم، وإليها الإشارةُ بقولِهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢].

والمعنى: أن الله تعالى يتوفَّى الأنفسَ عند الموت، وعند النوم. ثم إنه تعالى إذا أرادَ الحياةَ للنائم ردَّ عليه روحَهُ فاستيقظ، وإذا قضىٰ عليه بالموتِ أمسكَ روحَهُ فلم يستيقظ، ويموت؛ وهو معنى قولِهِ تعالى: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾.

وأما الروحُ الحيوانيةُ فلا تفارقُ الإنسانَ بالنوم، ولهذا يتحرَّكُ النائمُ ويتنفَّسُ وحرارةُ جسمهِ باقية، وإذا ماتَ فارقَهُ جميعُ ذلك.

وقولهُ ﷺ: «**لا يحدِّثُ فيهما نفسه**» المراد بالنفسُ: الروحانية، وهو من مجازِ[2] التجريد، لأنه جرَّدَ من نفسهِ نفساً وخاطبها، نظيرَ قولهِ تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

والأنفسُ ثلاثة:

- نفسٌ **مطمئنة**: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧].

---

(١) بل الخامس.

(٢) في ب: مجاري، وفي ج: يجاز (بدون نقط).

- ونفسٌ **لوّامة**، في قولهِ تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة: ٢].
- ونفسٌ **أمّارة**، في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

واختُلفَ في أن حقائقها مختلفة، وأن الحقيقةَ واحدة، وهذه الأوصافُ عوارض. واختارَهُ الطوفي في «أسرار التنزيل»[(١)]؛ لأن النفسَ الكافرةَ قد تصيرُ مؤمنةً ولو كانتِ الذاتُ مختلفةً لم تتغيَّر.

والنفسُ الأمّارةُ قد تصيرُ لوّامة، وهي التي تلومُ نفسها عن فعلِ المعصية.

والأمّارةُ قد تترقّى[(٢)] في الطاعةِ حتى تصيرَ مطمئنَّة.

واعلمْ أن المعنى الواصلَ إلى القلبِ تارةً يكونُ بخطابِ الله تعالى، وخطابهُ كلامه، وكلامُ الله تعالى يباينُ كلامَ البشرِ من **ثلاثةِ أوجه**:

أحدها: أنه يُسْمَعُ من غيرِ حرفٍ ولا صوت، فكذلك سمعَهُ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ في مناجاته[(٣)].

الثاني: أنه لا تقطيعَ فيه ولا تنفُس، لأنه لا يكونُ بجارحة.

الثالث: أنه لا يُسْمَعُ بالأذنِ وحدها، بل يُسمعُ بسائرِ البدنِ من سائرِ الجهات. وتحصلُ اللذَّةُ بسماعه؛ لأنه تعالى ليس في جهة. وكذلك سمعَهُ موسى عليه الصلاةُ والسلام.

وقد يكونُ المعنى الواصلُ للقلبِ من جهةِ المَلَك، وقد يكونُ من جهةِ الشيطان.

فأوَّلَ ما يحدثُ في القلبِ الغفلة، فإنْ أنقذَهُ الله بالتوجُهِ وإلا

---

(١) لم أقف على عنوان هذا الكتاب بين مؤلفاته، إذا كان المقصود به الفقيه الحنفي المتهم بالتشيُّع: سليمان بن عبد القوي الصرصري، نجم الدين، المتوفى سنة ٧١٦هـ. الدرر الكامنة ٢/٢٤٩.

(٢) في أ: تتردد، وفي ج: تتوفى.

(٣) الكلمتان الأخيرتان لم تردا في ب، ج.

صارتْ[1] خطرة، فإن ردَّها الله وإلا صارتْ فكرة، فإن صرفها الله وإلا صارتْ عَزْمة، فإن حماهُ الله وإلا وقعتْ معصية، فإن أنقذَهُ الله بالتوبةِ وإلا وقعتْ قسوة، فإن ألانها الله وإلا صارتْ طبعاً ورَيْناً. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]. قاله الشيخ عبد العزيز الديريني[2].

قال: وإنما تحصلُ القسوة من مبالغةِ دواعي الشهوة، فإن الشهوةَ والصفوةَ لا تجتمعانِ[3] في الخاطر، والذي يخطرُ في القلب: إن كان باعثاً على الخيرِ فهو من جهةِ المَلَك، ويسمَّى إلهاماً، وإن كان باعثاً إلى الشرِّ فهو من جهةِ الشيطان، ويسمَّى وسوسة.

فالخاطرُ معفوٌّ عنه بالإجماع. وإذا خطرَ في قلبِ الشخصِ الزنا والسرقة، أو فعلُ معصية، فتارةً يعرضُ الإنسانُ عنه، وتارةً يهمُّ بفعله. فإذا همَّ بفعله، فتارةً يعزمُ عليه ويصمِّم، وتارةً ينحلُّ عنه عزمهُ وينصرفُ[4] عنه همُّه. فإن صرفَ عنه همَّهُ ولم يعزمْ لم يؤاخذ، وإنْ عزمَ على الفعلِ وصمَّم ولم يفعلْ فقد اختلفوا في تأثيمه:

فقيل: لا إثمَ عليه، لقولهِ ﷺ: «**إن الله تجاوزَ عن أمَّتي ما حدَّثتْ به أنفسها، ما لم تعملْ أو تتكلمْ**»[5] وهذا لم يتكلمْ ولم يعملْ به إلا الآن.

والصحيحُ أنه يأثمُ بالتصميم والعزم[6] على الفعلِ كما يأثمُ المصرُّ على فعلِ المعصية، ولقولهِ ﷺ: «**إذا التقى المسلمانِ بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ**

---

(١) في ب، ج: فإن أيقظه الله وإلا صارت.

(٢) في ب: الدميري. وهو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد الديريني المصري، نسبة إلى ديرين من قرى الغربية بمصر، له مصنفات عديدة. ت٦٩٧هـ. هدية العارفين ١/ ٥٨٠.

(٣) في النسخ: لا تجتمعا.

(٤) في ب: ينخل عنه عزمه ويصرف.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، رقم (٥٢٦٩) ولفظه منه.

(٦) في ب، ج: على العزم.

في النار». قيل: يا رسول الله، هذا القاتلِ فما بالُ المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتلِ صاحبه**»[1].

فانظرْ كيف دخلَ النارَ بالحرصِ على القتل، وإنْ لم يقتل.

وأجابَ الأوَّلُ عن هذا بأنه إنما أثمَ لأنه قد عملَ بما صمَّمَ عليه، فإنه شهرَ السلاحَ على أخيه، فدخلَ في قولِهِ ﷺ: «**ما لم تعملْ أو تتكلم**»، فيكونُ إثماً بذلك.

وبنوا على هذا الخلافِ ما لو اشترى سلاحاً للتجارةِ، ثم قصدَ إمساكَهُ لقطعِ الطريق، فإن قلنا: لا يأثمُ بالتصميم سقطتْ عنه زكاةُ التجارة، كما لو نوى إمساكَهُ للقُنية[2]. وإن قلنا: يأثمُ لم ينقطعْ حولُ التجارة. ذكرَ ذلك في «الكفاية»[3].

إذا علمتَ ذلك، فالمصلي إذا خطرَ بقلبهِ خاطرٌ وصرفهُ عنه همُّهُ واشتغلَ بالصلاة؛ لم يؤاخذْ بذلك، ولا يكونُ ذلك قادحاً في حصولِ هذا الأجر. ويشهدُ لذلك قولهُ ﷺ: «**لا يحدِّثُ فيهما نفسه**». وإنما يحدِّثُ نفسَهُ إذا كان فاعلاً للحديث.

أمّا إذا كانتْ نفسهُ تحدِّثهُ وهو لا يجيبها ولا يحدِّثها، ويصرفُ همَّهُ عنها، لم يضرَّهُ ذلك، وقد قال في «شرح مسلم»: إن حديثَ النفسِ معفوٌّ عنه، كما ذكرتُ لك.

فإنْ حدَّثتْهُ نفسهُ ثم طاوعها وحدَّثها، نُظِر: إن كان ذلك فيما يتعلَّقُ بأمورِ الآخرةِ لم يضرَّهُ ذلك، ولم تفتْ عليه هذه الفضيلة، كذا قال الشيخ تقي الدين في «شرح العمدة»[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ رقم (٣١).

(٢) القنوة: الكسبة، وهو ما يكون خالصاً للمرء ثابتاً عليه. ويعني هنا التقوُّت لا التجارة.

(٣) لعله «الكفاية في فروع الشافعية» لأبي حامد محمد بن إبراهيم السهيلي الجاجرمي. ت٦٢٣هـ.

(٤) يعني العمدة في فروع الشافعية أيضاً، وشرحها للعلامة تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن الملقن. ت٧٠٢هـ.

قال: وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني لأجهِّزُ الجيشَ وأنا في الصلاة.

وما ذكرَهُ محمولٌ عل ما إذا لم يتَّسعْ[1] معه الوقتُ لتجهيز الجيشِ وتدبير أمرِهِ خارجَ الصلاة، فإن اتَّسعَ كان ذلك قادحاً؛ لأن المصليَ مأمورٌ بتدبُّرِ القرآنِ واستحضارِ أفعالها[2]، وهذا مما يشوِّشُ فكرَهُ فيها.

وليس الاشتغالُ بكلِّ عبادةٍ مطلوباً في الصلاة، ولهذا تكرهُ قراءةُ القرآنِ في الركوعِ والسجود، ويُكرَهُ للمصلِّي أن يسمعَ[3] قراءةَ غيرِ إمامه.

وذكر النيسابوري في كتاب «**المعاني والحكم**»[4] أن الصلاةَ أربعةُ أشياء: حضور، وشهود، وخضوع، وخشوع.

فالحضورُ بالنفس، والشهودُ بالقلب، والخضوعُ بالأركان، والخشوعُ بالسرّ.

فمن لم يحضرْ بالنفسِ فهو ساه، ومن لم يشهدْ بالقلبِ فهو لاه، ومن لم يخضعْ بالأركانِ فهو واه، ومن لم يخشعْ بالسرِّ فهو مضاه.

ثم قال: بأيِّ شيءٍ يدخلُ المصلي في الصلاة؟ قيل: بنيَّةِ المناجاةِ مع الربّ.

وقيل: بنيَّةِ أن الحجّاجَ يطوفونَ حول بيتِكَ وأنا أطوفُ بقلبي حول عرشك.

وقيل: بنيَّةِ خطبةِ الحورِ العين، لأن المصليَ خاطب، قال ﷺ: «**المصلي خاطب، وأكثركم أزواجاً في الجنَّةِ أكثركم صلاةً في الدنيا**»[5].

---

(١) في ب، جـ: يسع.
(٢) في أ: أفعاله.
(٣) في أ، جـ: يستمع.
(٤) مرَّ في الرقم (٢١٠) بعنوان «اللطائف والحكم» ولعله غيره.
(٥) سبق تخريج الحديث في الفقرة (١٥٤) مع تكرار موضوعات قبل الحديث وبعده هناك.

ويُقال: بنيَّةِ الاعتذارِ من التقصير، والاستغفارِ من الذنوب، لأن الأعمالَ بالنيَّاتِ.

ويُقال: بنيَّةِ أني أفعلُ فعلاً يشتغلُ جميعُ أعضائي به، ليغفرَ لي ببركته.

وإليه الإشارةُ بقولهِ ﷺ: «**لو خشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه**»[1].

ويُقال: بنيَّةِ الغزوِ أو الحرب، ولأن المصليَ يحاربُ الشيطان. ومن ذلك سُمِّيَ المحرابُ محراباً، لأنه موضعُ الحرب. وقد قال ﷺ: «**إن الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدم، فضيِّقوا مجاريهِ بالجوع**»[2].

وفي الصحيحِ: **أنه يأتي الإنسانَ في الصلاةِ فيقولُ له: اذكرْ كذا، اذكرْ كذا، حتى لا يدريَ الرجلُ كم صلى**[3]!

وقولهُ ﷺ: «**إنه يجري من ابن آدمَ مجرى الدم**»، قال الغزالي: إن المرادَ وسوسةُ الشيطان، تجري من ابنِ آدمَ كما يجري فيه الدم. انتهى.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢/٢٨٥ رقم (٣٣٦٥). وقال المناوي: رواه الحكيم في نوادره عن أبي هريرة بإسناد ضعيف، والمعروف أنه من قول ابن المسيب. التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٠٨. لكن قال الألباني: موضوع. ضعيف الجامع (٤٨٢١)، وهو من قول ابن المسيب كما رواه ابن المبارك في الزهد رقم (١١٨٨)، وعبد الرزاق في مصنفه في أكثر من موضع.

(٢) روى قسمه الأول الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته ٨/١١٤. قال الألباني: «أما زيادة «فضيقوا مجاريه بالجوع» فلا أصل لها، خلافاً لمن وهم، كما نبّهنا عليه في تعليقنا على الحديث في رسالة الصيام لابن تيمية ٧٥ ـ ٧٦». قاله في صحيح الجامع الصغير رقم (١٦٥٨) (الهامش).

(٣) قوله ﷺ من حديث أبي هريرة: «إذا نودي بالأذان أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمعَ الأذان، فإذا قُضي الأذان أقبل، فإذا ثُوِّب بها أدبر، فإذا قُضي التثويب أقبلَ يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لِمَا لم يكن يذكر، حتى يظلَّ الرجل إن يدري كم صلى، فإذا لم يدر أحدكم كم صلى فليسجد سجدتين وهو جالس». رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة، رقم (٨٣/٣٨٩).

والوسوسةُ إلقاءُ[1] الشيطانِ المعنى في القلبِ من غيرِ صوت. والقلبُ له أذنانِ يسمعُ بهما، كما في الرأسِ أذنانِ.

وعن الحسنِ البصري أن بعضهم سألَ ربَّهُ أن يُريَهُ الشيطانَ كيف يوسوسُ لابنِ آدم، فأراهُ الإنسانَ في صورةِ بلُّورٍ حتى صارَ يصفُ جميعَ أعضائه، وجاءَ الشيطانُ في صورةِ ذباب، فأدخلَ خرطومَهُ في مرفقهِ الأيسرِ حتى وصلَ إلى قلبه، وصارَ يوسوسُ.

وأصلُ الوسوسةِ الصوتُ الخفيُّ.

وقد اشتملتِ الصلاةُ على التوبة، لأن من قامَ إليها رجعَ عن لهوه، فهو تائبٌ إلى الله تعالى، فهي عبادة.

وفيها الحمد[2].

وفيها الصيام، لأن المصلِّيَ لا يأكلُ ولا يشرب.

وفيها الركوع، وفيها السجود.

وفيها الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر، لأنه يأمرُ نفسهُ بالمعروف، وهو حضورُ القلب، وينهاها عن المنكر، وهو الوسوسةُ وفعلُ المبطلات.

وفيها المحافظةُ على حدودِ الله تعالى.

وفيها الجهاد، لأنه يجاهدُ الشيطان والنفس. فمن صلى ركعتينِ لا يحدِّثُ فيهما نفسَهُ فقد دخلَ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، لأنه دخلَ في قولهِ تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

واستحقَّ البشارَ بقولهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

---

(١) من قوله: «الشيطان» حتى هنا، سقط من ج.

(٢) لم ترد هذه الجملة في ج.

واستحقَّ كثرةَ الخيرِ والثوابِ لإتيانهِ بهذه الثمانيةِ أوصاف، المختومةِ بواوِ الكثرة في قولهِ تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾. وهذه الواوُ من عادةِ العرب أن يأتوا بها في ثامنِ العدد. فإذا عدُّوا سبعةً أثبتوا الواوَ في الثامن.

قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]. أثبتَ الواو في الثامنة[١].

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾. قال أبو طالب: وهذه واوُ الكثرة، وبعضهم قال: هي واوُ الثمانية[٢].

وأثبتَ للجنَّةِ ثمانيةَ أبواب، بقولهِ تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ولجهنَّمَ سبعةَ أبواب، بقولهِ تعالى: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١][٣].

والسائحون: الصائمون. قال ﷺ: «**سياحة أمتي الصوم**»[٤]. سمّاهُ سائحاً لأنه لا يحملُ معه طعاماً ولا شراباً، كالسائحِ في الأرض.

قال النيسابوري: ينبغي للمصلِّي أن يذكرَ عند الأذانِ قولَهُ تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١].

وعند التكبيرِ يذكرُ عظمةَ ربِّه، حيث يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وعند رفعِ اليدينِ يذكرُ قولَهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦].

---

(١) في ب: الثمانية، وفي جـ: الثانية!

(٢) هذا رأي بعض علماء اللغة، منهم ابن خالويه والحريري وغيرهما. وقد ذهب المحققون من العلماء إلى أن هذه الواو ليست واو الثمانية، وإنما جاءت لمعان سامية وأغراض لطيفة، في كل الآيات السابقة. التفصيل في كتاب «نوادر الشوارد» للمحقق ص٢٩٩.

(٣) لم ترد الآي في أ.

(٤) سبق تخريجه في الرقم (١٥٤).

وعند القراءةِ يذكرُ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤].

وعند الركوعِ قولهُ تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ﴾ [السجدة: ١٢].

وعند السجودِ الأوّلِ يذكرُ قولَهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢].

وعند السجودِ الثاني: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر: ٤٨].

وعند التشهُّدِ قولَهُ تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ [الجاثية: ٢٨].

وعند السلام قولَهُ عليه الصلاةُ والسلام إخباراً عن الله عزَّ وجلَّ: «**هؤلاء في الجنة ولَا أبالي، وهؤلاءِ في النارِ ولا أبالي**»(١).

وعند الخروجِ من المسجد: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وهذا الذي ذكرَهُ حسن، لأنه يكونُ معيناً للمصلي على تركِ الوسوسة.

ومن صلَّى هكذا فقد صلَّى، وصدقَ عليه أنه قد صلَّى ركعتينِ ولم يحدِّث فيهما نفسه.

وقد كان من السلفِ مَنْ إذا صلَّى اشتغلتْ حواسُّهُ بالله تعالى ومناجاتهِ حتى يغيبَ عن حواسِّه، كما حُكي عن عروةَ بن الزبير رضي الله عنه(٢)، أنه كان أصابتْهُ الآكلة، فقطعتْ رجلهُ في الصلاةِ ولم يشعرْ بها! ولمّا رأى ابنهُ ذلك وقعَ فمات، وكان صغيراً، فلمّا سلَّمَ عروةُ من الصلاةِ رأى ابنَهُ ميتاً ورجلَهُ مقطوعة، فقال: اللهمَّ إن كنتَ أخذتَ ولداً فقد أبقيتَ أولاداً، وإن كنتَ أخذتَ عضواً فقد أبقيتَ أعضاء، فلك الحمدُ على ما أخذت، ولك الحمدُ على ما أبقيت(٣).

---

(١) سبق تخريجه في الرقم (١٥٥).

(٢) الفقيه المدني الشهير. كان يصوم الدهر، ومات وهو صائم، ويقرأ كل يوم ربع ختمة، ويقوم الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله. ت٩٤هـ. العبر ١/٨١.

(٣) الخبر في كتاب الصبر لابن أبي الدنيا رقم (١٥٤)، وتهذيب الكمال ٢٠/٢٠، وحلية الأولياء ٢/١٧٨. ولعل الذي ساقه عن ولده رواية، ومما قرأته في ذلك أنه سقط عن ظهر بيت فوقع تحت أرجل الدواب فقطعته، كما في المصادر السابقة.

وكان الجدارُ يقعُ بجانبهم ولا يسمعونه[1].

واستشكلَ أبو عبد الله بن الحاج في «المدخل» صحَّةَ صلاتهم، وقال: من دخلَ إلى حالةٍ لا يميِّزُ فيها بين المحسوسات، كيف يكونُ عارفاً بأحوالِ الصلاةِ وتميُّزِ أركانها؟

وأجابَ بأنهم لم يُسْلَبوا هذا القدر، فرضيَ الله عنهم، ورضيَ عنا بهم.

وقولُهُ ﷺ: **«غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه»** قال النوويُّ في شرحِ مسلم: المرادُ الصغائرُ من الذنوبِ[2]، وقد قال الأصحاب: نظيرُ ذلك في قولِهِ ﷺ: **«صيامُ يومِ عرفة، إني أحتسبُ على الله أن يكفِّرَ السنةَ التي قبله، والسنةَ التي بعده»**[3].

ونازعهم صاحب «الذخائر»[4] وقال: ما قالوهُ يحتاجُ إلى دليل، وفضلُ الله أوسعُ من ذلك.

وظاهرُ هذا الحديثِ يقتضي العموم، لأن قولَهُ ﷺ: **«ما تقدَّمَ من ذنبه»** ما: صفةُ عموم، فكأنَّهُ قد خُصِّصَ بقولِهِ ﷺ: **«الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، كفَّارةٌ لما بينهنَّ ما اجتنبتِ الكبائر»**[5].

وفي هذا الحديث دقيقة، وهو أن قوله ﷺ: **«ما اجتنبتِ الكبائر»** هل هو قيدٌ في التكفيرِ حتى لو كان مصرّاً على الكبائرِ لم يُغفرْ له شيءٌ من الصغائر، أو هو قيدٌ في التعميم، أي تعميم المغفرة، فعلى هذا تُغفرُ الصغائرُ وإن ارتكبتِ الكبائر؟

---

(١) في جـ: وكان الجدال يقع بجانبهم ولا يسمعون به. وفي ب: وكان الجدار يقع بجانبهم لا يسمعون به. ولم يبد معناه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٨/٣.

(٣) حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان، وصححه في صحيح الجامع (٣٨٥٣) واللفظ منه.

(٤) الذخائر في فروع الشافعية، لمؤلفه مجلي بن جميع، كما يأتي بعد قليل.

(٥) هكذا... وسبق تخريجه في الرقم (١٦٦) ويراجع نصف الكامل في الهامش هناك.

والأقربُ الثاني، وإلا لم يكنْ لذلك تأثيرٌ في التكفير، لأن الصغائرَ تُكفَّرُ باجتنابِ الكبائر، بدليلِ قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١].

وفي الآيةِ والحديثِ دليلٌ على انقسام الذنوبِ إلى صغائرَ وكبائر.

وقد خالفَ الأستاذُ أبو إسحاقَ الإسفراييني[(١)] فقال: ليس في الذنوبِ صغيرة، والذنوبُ كلُّها كبائر، نظراً إلى عظمةِ من يُعصىٰ.

وفي الحديثِ والآيةِ دليلٌ أيضاً على أن الكبائرَ متميِّزةٌ عن الصغائر.

وحكى. . .[(٢)] في «التذكرة» قولاً أن الكبائرَ مبهمةٌ في المعاصي كما أخفى الله ليلةَ القدرِ في رمضان، وساعةَ الإجابةِ في يومِ الجمعة.

وفائدةُ إبهامِ الكبائرِ التجافي عن الوقوعِ في سائرِ المعاصي، لأنه ما من معصيةٍ إلا ويَجوزُ أن تكونَ من الكبائر.

وهذا القولُ غيرُ بعيدٍ.

إذا علمتَ ذلك، فقولهُ ﷺ: «**غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبهِ**» مخصوصٌ بالصغائر، وأما الكبائرُ فلا يكفِّرها إلا التوبة.

وفيه نظرٌ للقاضي مجلي السابق ذكره[(٣)].

واعلمْ أن من الأعمالِ ما يرفعُ الذنبَ السابقَ ولا يرفعُ اللاحق، ومنها

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني، الأصولي المتكلم الشافعي، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، أملى مجالس، وكان شيخ خراسان في زمانه. ت٤١٨هـ. العبر ٢/٢٣٤.

(٢) في ج: السبكي. ولم أقف له على كتاب بهذا العنوان. وفي أ: المتنبي! وفي ب: المسيلي. ومن الأسماء القريبة لهذا «السمديسي» صاحب «تذكرة المقتفين لآثار أولي الصفا. . .» كما في إيضاح المكنون ١/٢٧٧.

(٣) أورد عنوان كتابه «الذخائر» ولم يذكر اسمه، وهو مجلّي بن جميع بن نجا المخزومي القرشي القاضي، أبو المعالي الأوسوفي المصري الشافعي. ت٥٥٠هـ. هدية العارفين ٢/٤.

ما يرفعُ الذنبَ السابقَ واللاحق، ويُسمَّى رافعاً ودافعاً.

فمن صلَّى ركعتينِ بالصفةِ المذكورةِ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه، فالركعتانِ رافعتانِ للذنب.

وصومُ عرفةَ يكونُ رافعاً لذنوبِ السنةِ المستقبلة، حتى إذا فعلَ ذنباً لم تكتبْهُ عليه الملائكة.

وصدقةُ الفطرِ طُهرةٌ للصائمِ من لغوهِ ورفثهِ الواقعِ في رمضان، كما جاءَ في الخبر[1].

وعندنا يجوزُ تقديمُها من أوَّلِ رمضان، فهي حينئذٍ تكونُ دافعةً لما يقعُ من الصائمِ من اللغوِ والرفث، فإنْ تأخَّرتْ كانتْ رافعة.

وهذا ما يسَّرَهُ الله تعالى على سبيلِ الاختصار، والعدول عن الأكثار، ومعاني كلامِ رسولِ الله ﷺ منطويةٌ فيما أُعطيَهُ من جوامعِ الكلم، فلا تحيطُ بها الأفكارَ، ولا تحويها الأسفار، والحمدُ لله على ما يسَّرَ من بعضِ معانيها، حمدَ من أخلصَ لله في الجهرِ والإسرار. وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّمَ على دوامِ الليلِ والنهار.



(١) فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين... سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر رقم (١٨٢٦)، والحاكم في المستدرك ٥٦٨/١ رقم (١٤٨٨) وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.



[نكتة في حديث]

٢١٨ ـ سؤال: روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حين يُصبح: اللهمَّ إنَّ أشهدُكَ، وأشهدُ حملةَ عرشِكَ، وملائكتك، وجميعَ خلقك، بأنكَ أنت الله لا إلٰه إلا أنت وحدكَ لا شريك لك، وأن محمداً عبدُكَ ورسولك، أربعَ مرات، أعتقَهُ الله ذلك اليومَ من النار»(١).

ما الحكمةُ في ترتيبِ العتقِ على قولِ ذلك أربعَ مرات؟

[الجواب]: قيل: لأنه أشهدَ الله تعالى وحملةَ عرشهِ وملائكتَهُ وجميعَ خلقه، فأعتقَ الله تعالى بشهادةِ كلِّ شاهدٍ رُبعه.

وهذا كما أن الإنسانَ يُهدرُ دمهُ(٢) إذا شهدَ عليه أربعةٌ في الزنا، كذلك يُعْصَمُ دمُ هذا من النارِ إذا شهدَ أربعةٌ على إيمانه.

وقال بعضُ الأشياخ: تكريرُ هذه الكلماتِ أربعَ مرّاتٍ تبلغُ حروفُها ثلاثمائةٍ وستينَ حرفاً، وابنُ آدمَ مركَّبٌ من ثلاثمائةٍ وستينَ عضواً،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٧٠٤/١ رقم (١٩٢٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو داود (٥٠٦٩، ٥٠٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/٦ (٩٨٣٧، ٩٨٣٨)، والترمذي (٣٥٠١) وغيرهم، وضعفه الألباني للأربعة. ضعيف الجامع (٥٧٢٩، ٥٧٣١). وليس فيها التصريح بقوله: «أربع مرات»، وإنما يفهم من بعض رواياتها كذلك، وهي بألفاظ متقاربة.

(٢) في ج: يهددونه؟

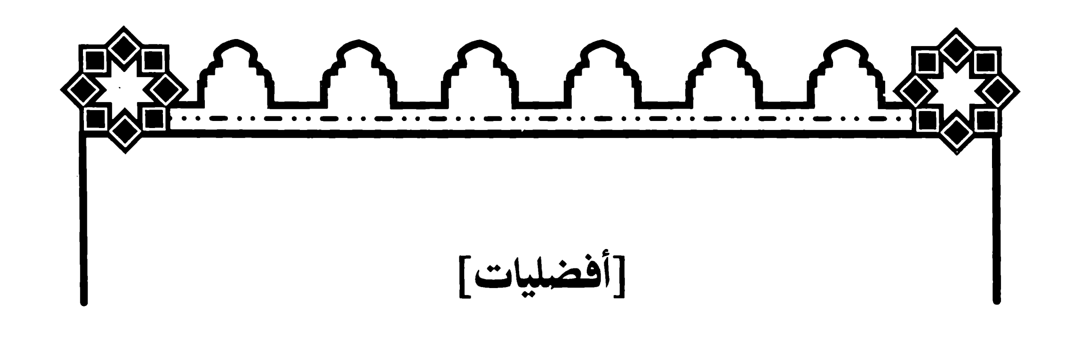
أعتقَ[1] الله تعالى بكلِّ حرفٍ منها عضواً من أعضائه، فإذا قالها مرَّةً أعتقَ ربعه.

وهذا إنما يكونُ على الروايةِ الأخرى، وهي: «**أنك أنتَ الله لا إلٰه إلا أنت**» بإسقاطِ «الذي». وأما بإثباتِ «الذي»[2] فإنها تبلغُ فوق الثلاثمائةِ وستينَ في روايةِ أبي داود.



(١) في النسخ: عتق.

(٢) بإثبات «الذي» وجدته في مسند الشاميين ٣٠٢/٤، وقد يكون في غيره أيضاً.



[أفضليات]

٢١٩ ـ سؤال: أيُّما أفضل: المشرقُ أو المغرب؟ وأيُّما أفضل: السماءُ أم الأرض؟ وأيُّ بقاعِ الأرضِ أفضل؟ وأيُّ الأرَضينَ أفضل؟ وأيُّ السماواتِ أفضل؟

الجواب: قيل:

١ ـ **أما الأول**: فقال الطوفي في كتاب «أسرار التنزيل»: اختلفَ في أيِّ جهتي الجهتينِ أفضل؟ فقال المشارقة: المشرقُ أفضل، واحتجُّوا **بوجوه**:

أ ـ **الأول**: أن الله تعالى لم يذكرِ الجهتينِ في موضعٍ إلا قدَّمَ المشرق.

ب ـ **الثاني**: الفضاءُ يكون مظلماً فلا يضيءُ إلا بطلوعِ الشمسِ من المشرق.

ج ـ **والثالث**: أن الأئمةَ الأربعةَ في الفقهِ من المشرق.

د ـ **والرابع**: أن الأرضَ التي بوركَ فيها بنصِّ القرآنِ هي أرضُ مصرَ والشامِ وأرضُ الجزيرةِ من المشرق، لأن الناسَ اتفقوا على أن أرضَ مصرَ هي حَدٌّ ما بين المشرقِ والمغرب، فما كان من مصرَ إلى جهةِ طلوعِ الشمسِ فهو شرق، فيتناولُ الحجازَ والشامَ واليمنَ والعراقَ وما بينها[1]. والمصرُ في اللغةِ الحدّ، ولما ذكرنا سمِّيتْ مصرُ بمصر.

---

(١) في النسخ: بينهم.

واحتجَّ المغاربةُ **بوجوه:**

أ ـ أحدها: أن الله تعالى بدأ بذكرِ المغربِ في قصَّةِ ذي القرنين، فقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: ٨٥ ـ ٨٦].

ب ـ والثاني: قولهُ ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين**»[1]. وفي رواية: «**لا يزالُ أهلُ المغربِ ظاهرين**»[2].

وأجيبَ بأن الثابتَ وهم[3] بالشام، لأن الشامَ غربيُّ المدينة. وأما لفظُ «المغرب» فلا يثبت، وإن ثبتَ فهو محمولٌ على «الغرب» التي يُستقى[4] بها، وأكثرهم باليمن.

ج ـ الثالث: أن المغربَ اختصَّ بظهورِ الأهلَّةِ التي هي مواقيتُ للناسِ والحج، ترمقها أبصارُ الناسِ دون المشرق.

وعُورِضَ بطلوعِ الشمسِ من المشرق، وبأن القمرَ يطلعُ أوَّلاً من المشرقِ ممحوّاً، ثم يظهرُ بالمغرب، وبابُ التوبةِ سعتهُ أربعونَ عاماً، ثم إنه يُغلقُ بالمغرب.

د ـ الرابع: المهديُّ يظهرُ بالمغرب.

وأُجيبَ بأن المشهورَ ظهورهُ بمكةَ أو اليمنِ أو العراق.

قالتِ المغاربة: نحن لا يظهرُ الدجّال من عندنا، ولا يأجوجُ

---

(١) تتمته: «على الحق». صحيح مسلم، كتاب الإمارة، الباب (٥٣) رقم (١٩٢٠).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩٦/٣، وهو في صحيح مسلم «بالغرب» ولفظه فيه: «لا يزالُ أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». صحيح مسلم رقم (١٩٢٥). قال الإمام النووي: قال علي بن المديني: المراد بأهل الغرب العرب، والمراد بالغرب الدلو الكبير لاختصاصهم بها غالباً. وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض. وقال معاذ: هم بالشام... إلخ. صحيح مسلم بشرح النووي ٦٨/١٣.

(٣) في ب: وهو.

(٤) في ب: نستقي بها، وفي ج: المغرب التي يستقى.

ومأجوج، ولا سائرُ الفتن، ولا أشارَ النبيُّ ﷺ إلى بلدنا فقال: «**الفتنةُ من هاهنا**»[1].

قالتِ المشارقة: هذا عدولٌ عن تقديره المناقبِ إلى التعويضِ بالمثالب، فإن كان الأمرُ كذلك فيكفيكم أن الشمسَ آيةُ النهارِ، وأنها تغربُ عندكم وتظلمُ الأقطار، ويغلقُ بابُ التوبةِ من جهتكم فلا تنفعُ التوبةُ بعد ذلك ولا الاستغفار.

٢ ـ وأما **تفضيل السماءِ على الأرضِ** فاختلفوا فيه:

فقال الشيخُ جلالُ الدين إمامُ الفاضلية: والأكثرونَ على تفضيلِ الأرضِ على السماء، لأن الأنبياءَ خُلقوا من الأرض، وعبدوا الله فيها، ودُفنوا فيها.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن غلظَ كلِّ أرضٍ سبعمائةِ سنة، وإن غلظَ كلِّ سماءٍ خمسمائةِ سنة**». رواه أحمد في المسند[2].

٣ ـ وأما بقاعُ الأرضِ فاتَّفقوا على أنَّ أفضلها البقعةُ التي دُفنَ فيها

---

(١) في (أ) زيادة: وأشار إلى المشرق. قال ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: «ها إن الفتنة هاهنا، إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان». صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٩١/٤.

(٢) الوارد عند أحمد في هذا قوله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض... قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلىٰ سماء مسيرة خمسمائة سنة...». مسنده ٢٠٦/١ رقم (١٧٧٠)، وفي الرقم (٨٨١٤) قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف.
وورد في المستدرك (٣١٣٧) وفي سنده واه، كذا، وفي الرقم (٣٤٢٨) أن الذهبي قال: وقد مر وهو صحيح، ثم في الرقم (٣٥٤٧) إعادة لذكر يحيى بن العلاء وأنه واه، وهو موجود في سند الطريق السابق للحديث.
وفي الرقم (٨٧٥٦) ورد أول الحديث: «إن الأرضين بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة...». وفيه قول الذهبي: إنه منكر. وليس في تلك الأحاديث الرقم «سبعمائة».

رسولُ الله ﷺ، وبعد ذلك الأفضلُ عند الشافعيِّ حَرَمُ مكَّة، ثم المدينة، ثم بيتُ المقدس.

وروى الترمذيُّ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**صلاةٌ في مسجدِ قباءَ كعمرة**»[(١)].

٤ ـ وأما السماءُ الأولى، فقال بعضهم: إنها أفضلُ مما سواها؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

٥ ـ وكذلك الأرضُ الأولى، لانتفاعنا بها، ودفنِ الأنبياءِ بها، وهي مهبطُ الوحي، وغيرُ ذلك.

وفي كلامِ بعضهم أن الأرضَ العليا أفضلُ مما تحتها، لاستقرارِ ذرِّيةِ آدمَ فيها، وهو أفضلُ الأنبياءِ والمرسلين، خلا خاتمهم سيدنا رسولِ الله ﷺ، بدليلِ قولهِ ﷺ: «**آدمُ فمن دونه تحت لوائي**»[(٢)].

وبما عُلم من تخصيصه[(٣)]، ومن ذلك إرسالهُ إلى ملائكةِ السماءِ لينبِّئهم بما عُلِّمَ من الأسماء، وإسجادُ الملائكةِ له، وخلقهُ وتصويرهُ بيدِ الربِّ عزَّ وجلَّ بلا واسطةٍ في الجنَّة وإسكانهُ فيها.

قال: وذكرَ إمامٌ كبيرٌ من أئمةِ التفسير، أنَّ ليلةَ القدرِ أفضلُ من سائرِ الليالي، لما حصلَ فيها من إنزالِ القرآن، وأن يومَ الجمعةِ ويومَ عرفةَ ـ على خلافٍ فيهما ـ أفضلُ من سائرِ الأيَّام، لما في يومِ عرفةٍ من تجلِّي الحقِّ عزَّ وجلَّ ومباهاتهِ الملائكةَ بالحج[(٤)]، وفيضِ عظَمِ فضلهِ وعفوهِ ورحمتهِ عليهم بالعتقِ من النارِ والمغفرة، ولما حصلَ في يومِ الجمعةِ من خلقِ آدمَ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم (١٤٠٩) ولفظه منه، وصححه في صحيح سنن ابن ماجه (١١٥٩).

(٢) أول الحديث: «إن لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا...». رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٤٦، ٢٦٩٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٢٨) وقال محققه (حسين أسد): إسناده ضعيف.

(٣) يعني آدم عليه السلام.

(٤) في ب: بالحاج.

وقبولِ توبته، وإجابةِ الدعاءِ في ساعةٍ منه، والإذنِ لأهلِ الجنَّةِ في زيارةِ الربِّ عزَّ وجلَّ. انتهى.

وقد تقدَّمَ أن يومَ الجمعةِ عيدُ أهلِ الجنَّة، ينظرونَ إلى الربِّ عزَّ وجلَّ بقدرِ ذهابهم إلى الجمعة، فمن أكثرَ أُكثرَ له.

وروى أبو هريرةَ مرفوعاً: **أن آدم عليه السلامُ أُخرجَ من الجنَّةِ يومَ الجمعة**(١). انتهى.

قال بعضهم: والصلاةُ خلفَ مقامِ أبينا إبراهيم عليه الصلاةُ والسلامُ أفضلُ ممَّا سواهُ من المسجدِ الحرام؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

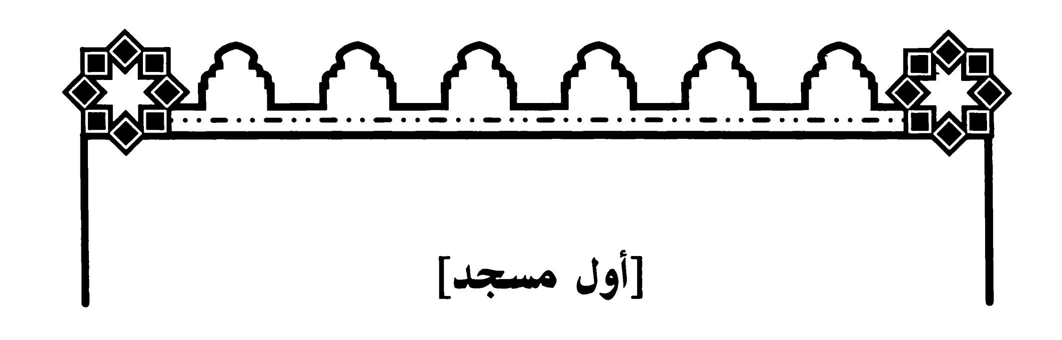
وأنه ﷺ صلَّى إليه وقال: «**هذه القبلة**»(٢).



---

(١) قوله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها». صحيح مسلم رقم (٨٥٤).

(٢) ورد قوله ﷺ: «هذه القبلة» في أكثر من حديث، منها في صحيح مسلم (١٣٣٠). وقد ذكر الألباني أنه منكر بذكر المقام، وهو ما ورد عند النسائي من حديث أسامة بن زيد: «دخل رسول الله ﷺ الكعبة فسبَّح في نواحيها وكبَّر ولم يصلِّ، ثم خرج فصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: «هذه القبلة» رقم (٢٩٠٩)، وكذا هو في سنن البيهقي (٣٨٩٢).



[أول مسجد]

٢٢٠ ـ سؤال: أيُّ المساجدِ وُضِعَ[١] **أوَّل؟**

الجواب: قيل: أوَّلُ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ الكعبة، لقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وروى الإمامُ أحمد عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ **أن أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ الكعبة، ثم المسجدُ الأقصى.** قيل: يا رسولُ الله، كم بينهما؟ قال: «**أربعونَ سنة**»[٢].

وأفضلُ المساجدِ الأربعةِ هذانِ المسجدان، ومسجدُ المدينة، ومسجدُ قباء.

حكى البغويُّ في التفسير أنها أفضلُ المساجد، وبها فسَّرَ بعضهم قولَهُ تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦].

وفي الترمذيِّ أنه ﷺ قال: «**صلاةٌ في مسجدِ قباءَ كعمرة**»[٣]. قال الترمذي: إنه حسن.

---

(١) في أ: وضع في الأرض.

(٢) وهذا في الصحيح وغيره عن أبي ذر قال: «يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضع في الأرض أوَّلَ؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أين ما أدركتك الصلاة بعدُ فصَلّه فإن الفضل فيه». صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، الباب (١٠) ٤/١١٧.

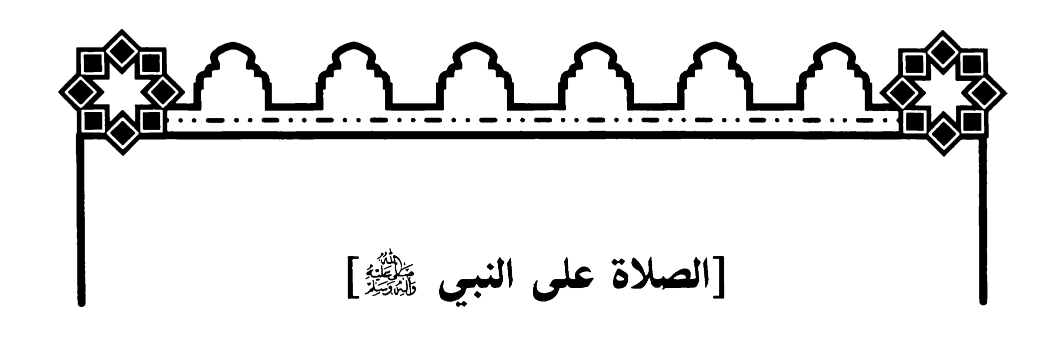
(٣) سبق تخريجه، ولم أجده في الترمذي.

ومسجدُ قباءَ هو المسجدُ الذي ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨] كما وردَ في القرآنِ العظيم[١].

وفي السنةِ الأولى من الهجرةِ بنى النبيُّ ﷺ مسجدَ المدينة، ومسجدَ قباء.



(١) بل هو مسجد رسول الله ﷺ، كما رواه الترمذي وغيره (٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح.



[الصلاة على النبي ﷺ]

٢٢١ ـ سؤال: ما الحكمةُ في أن الدعاءَ لا يُرْفَعُ إلا بالصلاةِ على النبيِّ ﷺ وما السرُّ في ذلك؟

الجواب: قيل: لأن ذلك من بابِ الوسيلة، ومن أدبِ الداعي[١] تقديمُ الوسيلةِ قبل الطلب، والنبيُّ ﷺ هو وسيلتنا إلى الله تعالى، كما كان وسيلةَ أبينا إلى الله تعالى في استجابةِ دعوتهِ والتوبةِ عليه حين توسَّلَ إلى الله تعالى بمحمدٍ ﷺ.

وإنما استُجيبَ للداعي دعوتهُ بالصلاةِ على النبيِّ ﷺ، لأن معنى قولِ القائل: «**اللهمَّ صلِّ على محمد**»: اللهم استجبْ لمحمدٍ دعوتَهُ في أمَّتهِ كما استُجيبَ لإبراهيمَ دعوته، وهو معنى «**كما صليتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم**».

ومن المعلوم أن الدعاءَ للنبيِّ ﷺ بالوسيلةِ لا يُرَدّ، فكذلك ما كان مقروناً به من الدعاءَ.

وأيضاً: لما صلَّى الداعي على النبيِّ ﷺ كافأهُ الله تعالى بأن استجابَ[٢] دعوته، لأن الجزاءَ من جنسِ العمل.

❋ ❋ ❋

---

(١) في ب: الدعاء.

(٢) في ب: باستجابة.

٢٢٢ ـ سؤالٌ: أوردَهُ أبو بكر بن العربي[١] في قولهِ ﷺ: «إذا سمعتمُ المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلُّوا عليّ، فإنه من صلَّى عليَّ مرَّةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ لا تنبغي إلا لعبدٍ واحد، وأرجو أن يكونَ أنا هو، فمن سألَ لي الوسيلةَ حلَّتْ له الشفاعة»[٢].

وتقريرُ السؤالِ أن يقول: قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ومعلومٌ أن الصلاةَ على النبيِّ ﷺ حسنة، فله عشرُ أمثالها، فما فائدةُ الحديث؟

[**الجواب**]: قال: قلنا: أعظمُ فائدة، وذلك أن القرآنَ اقتضى أن من جاءَ بالحسنةِ تُضاعفَ له عشراً، والصلاةُ على النبيِّ ﷺ حسنة، اقتضىٰ القرآنُ أن يُعطيَ بها عشرَ درجاتٍ في الجنَّة، واقتضى الحديثُ الإخبارَ أنه سبحانه وتعالى يصلي على من صلى على رسولهِ عشراً، وذكرُ اللّهِ العبدَ أعظمُ من الجنَّة، فضاعَفَه.

وتحقيقُ ذلك أن الله تعالى لم يجعلْ جزاءَ ذكرهِ إلا ذكرَه، كذلك جعلَ جزاءَ ذكرِ نبيِّهِ ذكرَهُ لمن ذكره[٣].

وإنما تكونُ الصلاةُ على النبيِّ ﷺ طاعةً إذا قُصِدَ بها التحيَّةُ والدعاءُ والقربة، فأما إذا اتخذها عادة، كالبيَّاعِ الذي يقولها على معاشه، فإنه لا يُثابُ عليها، لأنه يقولُها للتعجُّبِ من حسنِ بضاعتهِ تنفيقاً لها[٤]. وقد حكى الحليميُّ في «المنهاج» أنه يكفرُ بذلك.

وخرَّجَ أبو داودَ في سننهِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن صلاتكم معروضةٌ**

---

(١) الحافظ القاضي الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، صاحب العواصم وغيره. ت٥٤٣هـ.

(٢) سبق تخريجه في الرقم (٢١٧).

(٣) في ج: ذكر نبيه لمن ذكره، وفي أ: كذلك جزاء ذكر نبيه لمن ذكره.

(٤) في ب: تنفيعاً بها.

عليَّ». قالوا: وكيف تُعرضُ عليكَ وقد أَرِمْت، يعني بَلِيت؟ قال: «**إن الله تعالى حرَّمَ أجسادَ الأنبياءِ على الأرض**»[١].

قال ابن العربي: لم يثبت.

قال الشيخ تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني[٢]: لكن ثبتَ بالإجماعِ أن الأرضَ لا تعدو على أجسادِ الأنبياء، وزادَ بعضهم: والعلماءِ والشهداءِ والمؤذِّنين.

قال: وروى ابن وهب بسندهِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**من صلَّى عليَّ عشراً فكأنما أعتقَ رقبة**»[٣].

قال: قلت: **ومن أعتقَ رقبةً أعتقَ الله بكلِّ عضوٍ منها عضواً منه**[٤]، **حتى الفرج بالفرج، كما ثبت في الحديث**[٥].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن الصلاةَ عليه أمحقُ للذنوبِ من الماءِ البارِدِ للنار.

والصلاةُ عليه ﷺ أفضلُ من عتقِ الرقاب.

فإن قلت: وإنما كان كذلك من عتقِ الرقاب[٦]، والله أعلم، لأن عتقَ الرقابِ في مقابلةِ العتقِ من النارِ ودخولِ الجنَّة، والسلامُ[٧] على النبيِّ ﷺ

---

(١) أوله: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة...». سنن أبي داود (١٠٤٧، ١٥٣١) ورواه غيره، وصححه في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٢) في النسخ «عمر بن الفكاه»! وهو تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني، المتوفى سنة ٧٣٤هـ.

(٣) لم أقف عليه؟

(٤) في ب، ج: عضو منه عضواً منها.

(٥) ورد الحديث في «معرفة السنن والآثار» رقم (٣٩٢٠): «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار». ويزيد بعضهم في الحديث: «حتى الفرج بالفرج»، وعند مسلم (١٥٠٩): «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار، حتى فرجه بفرجه».

(٦) من قوله: «فإن قلت» حتى هنا، سقط من ب.

(٧) في ج: والصلاة.

في مقابلةِ سلامِ الله تعالى، وسلامُ الله تعالى أفضلُ من ألفِ حسنة، فناهيك بها من مِنَّة.

قال: وروينا في الترمذي قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما من أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام»**[1].

قال: قلت: يؤخذُ من هذا الحديثِ أن النبيَّ ﷺ حيٌّ على الدوام، وذلك أنه محالٌ عادةً أن يخلوَ الوجودُ كلُّه من واحدٍ يسلِّمُ على النبيِّ ﷺ في ليلٍ أو نهار.

فائدة: قلت: قولهُ عليه الصلاةُ والسلام: **«إلا ردَّ الله عليَّ روحي»** لا يلتئمُ مع كونهِ عليه السلامُ حيّاً على الدوام، بل يلزمُ أن تتعدَّدَ حياتهُ ووفاتهُ في أقلَّ من ساعة، إذ الوجودُ لا يخلو من مسلمٍ يسلِّمُ عليه كما تقدَّم.

فالجواب: أنَّ المرادَ بالروحِ هنا النطقُ مجازاً، فكأنه عليه السلامُ قال: إلا ردَّ الله عليَّ نطقي.

وهو حيٌّ على الدوام كما تقدَّم، لكن لا يلزمُ من حياتهِ نطقه، فالله سبحانه وتعالى يردُّ عليه النطَقَ عند سلامِ كلِّ مسلم.

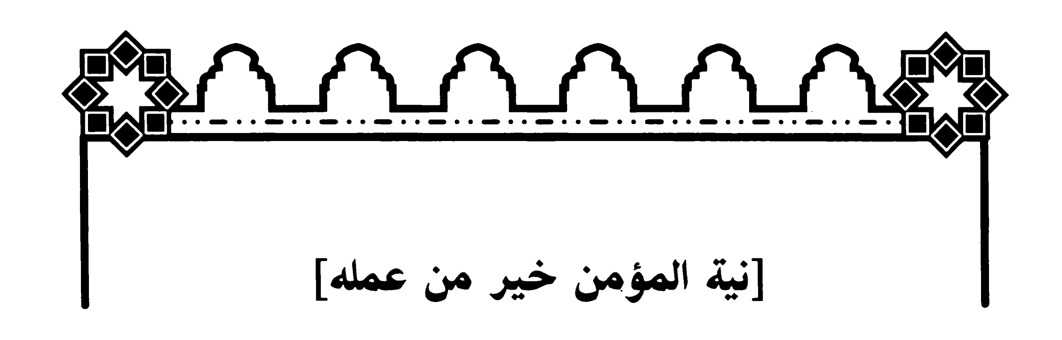
وعلاقةُ المجازِ أن النطقَ من لازمهِ وجودُ الروح، كما أن الروحَ من لازمهِ وجودُ الروحِ بالفعلِ وبالقوَّة. فعبَّرَ عليه السلام عن أحدِ المتلازمينِ بالآخر.

ومما يحقِّقُ ذلك أن عودَ الروح لا يكونُ إلا مرَّتين، عملاً بقولهِ تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

ويحتملُ أن يُرادَ بالروحِ هاهنا السرورُ مجازاً، فإن هذا اللفظَ قد يُطلقُ ويُرادُ به السرورُ والانتعاش. والله أعلم.



(١) لم أره في الترمذي، وهو عند أبي داود وغيره (٢٠٤١)، وحسّنه في صحيح الجامع الصغير (٥٦٧٩).



[نية المؤمن خير من عمله]

٢٢٣ ـ سؤال: ما معنى قولهِ ﷺ: «نيّةُ المؤمنِ خيرٌ من عمله»[(١)]؟

الجواب: قيل: أجابَ الشيخُ عزُّ الدين بن عبد السلام رحمه الله **بجوابين:**

أحدهما: أن هذا وردَ على سبب، وهو أن النبيَّ ﷺ وعدَ بثوابٍ على حفرِ بئر، فنوى عثمانُ أن يحفرها، فسبقَ إليها كافرٌ فحفرها، فقال النبيُّ ﷺ: «**نيّةُ المؤمنِ**» يعني عثمان «**خيرٌ من عمله**» يعني الكافر.

وفي هذا الجوابِ ضعف، لأن «أفعلَ» التفضيلِ يقتضي المشاركة، وعملُ الكافرِ لا خيرَ فيه ألبتة، إلا أن يُقال: سمّاهُ خيراً باعتبارهِ في نفسه، وإن لم يُثَبْ عليه، بدليلِ أنه لو أسلم أُثيبَ عليه من غيرِ تضعيف، كما وردَ في مسندِ البزّار **أنه إذ أسلمَ يُثابُ على كلِّ طاعةٍ حسنةً واحدةً من غير تضعيف**[(٢)].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/٢٥٥ وقال: حديث غريب، والطبراني في المعجم الكبير ٦/١٨٥ رقم (٥٩٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٥٩) بلفظ: «نية المؤمن أبلغ من عمله». وضعفه له في ضعيف الجامع (٥٩٧٦)، كما ضعفه البيهقي في الموضع نفسه.

(٢) ورد عند النسائي حديث أبي سعيد الخدري المرفوع: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عزَّ وجلَّ عنها». سنن النسائي ٦/٥٣٠ (١١٧٢٩).

لكن في صحيح البخاري أنه ﷺ قال لشخصٍ أسلم: «**أسلمت على ما أسلفتَ من خير**»[1].

الثاني: أن النيَّةَ المجرَّدةَ من المؤمنِ خيرٌ من عملهِ المجرَّدِ عن النيَّة.

وذكرَ بعضهم أن العملَ بالنيَّةِ تحتهُ فردان: فعلٌ ونيَّة، فالقصدُ[2] وقعَ لأحدِ الفردينِ على الآخرِ لأن في كلٍّ منهما أجر، وأجرُ النيَّةِ أكثرُ من أجرِ الفعلِ الواقعِ بالنيَّة.

وقال بعضهم: هذا الحديثُ سيقَ لبيانِ أن عملَ السرِّ أفضلُ من عملِ العلانية، لأن النيَّةَ من أعمالِ الباطن، والأفعالُ من أعمالِ الظاهر، وهذا ليس على إطلاقه الباطنة، وذلك كفرائضِ الصلوات، وإقامةِ الجماعات، وتفرقةِ الزكوات، وأشباهِ ذلك.

وقال بعضهم: إن نيَّةَ المؤمنِ تبلغُ إلى حيث لا يبلغُ العمل، لأن نيَّتَهُ أن يعبدَ الله تعالى ولو عاشَ ألفَ سنة، وعملهُ لا يبلغُ ذلك.

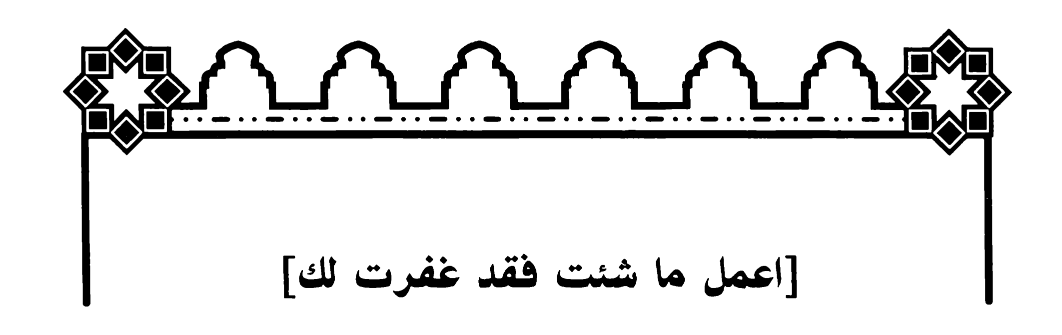
وهذا الحديثُ رواهُ الطبراني في المعجم، وقيل: في إسنادهِ ضعف[3].



(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ١١٩/٢.

(٢) في أ: فالفعل، وفي ج: فالفضل.

(٣) يعني حديث: «نية المؤمن...».



[اعمل ما شئت فقد غفرت لك]

٢٢٤ ـ سؤال: في حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أذنبَ عبدٌ ذنباً ثم قال: اللهمَّ اغفرْ لي. فقال الله تعالى: علمَ عبدي أن له ربّاً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به، اعملْ ما شئتَ فقد غفرتُ لك»(١).

ظاهرُ قولهِ(٢): «اعمل ما شئتَ» إنما هو الإذنُ في المعصية، والله تعالى لا يأمرُ بالفحشاء، فما الجوابُ عن ذلك؟

الجواب: قيل: قال ابنُ عبد البرّ(٣): معناهُ أنكَ عرفتَ الطريق، فإذا وقعَ منك مثلُ ذلك فتُبْ واستغفرْ أغفرْ لك. وهذا لا يُخرجُ الصيغة ـ وهي قولُهُ: **«اعملْ ما شئت»** ـ عن صورةِ الإذنِ في المعصية.

وقال الشيخُ عزُّ الدين الكتّاني رحمه الله: معنى **«اعملْ ما شئتَ»** على جهةِ الخطأ، وفي هذا نظر، لأن الخطأ لا إثمَ فيه.

---

(١) يأتي بألفاظ متقاربة، وقد أورده المؤلف باختصار. رواه الشيخان وغيرهما. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ١٩٩/٨، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة ٩٩/٨.

(٢) من الجملة الأخيرة من الحديث حتى هنا، سقط من ب.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، صاحب دين ونزاهة، مع تبحُّر في الفقه والعربية والأخبار. ت٤٦٣هـ. العبر ٣١٦/٢.

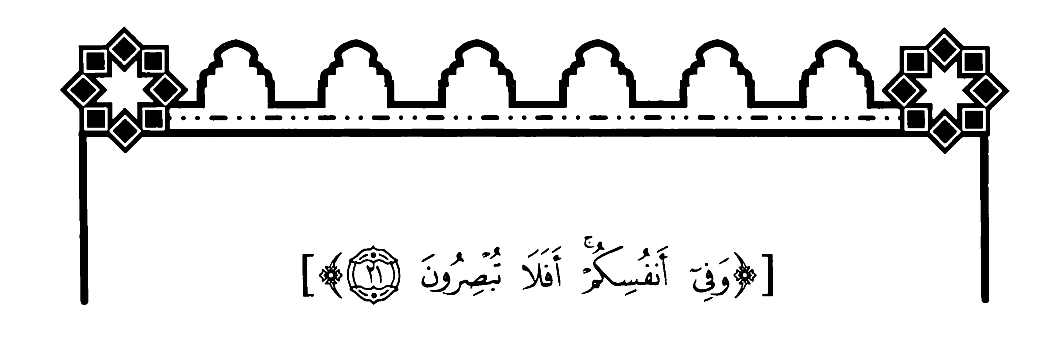
والأحسنُ في الجوابِ أن يُقال: إن معنى قولهِ تعالى: «**اعملْ ما شئتَ**»: إنْ عملتَ ما شئتَ من المعاصي، وأنت تعلمُ أني أغفرُ الذنب، ثم استغفرتني؛ غفرتُ لك.

ويكونُ قوله: «**اعمل**» أمراً معناهُ الخبرَ، وبه يزولُ الإشكال.

وأحسنُ منه أن يُتركَ الأمرُ على ظاهره، ويكونُ معنى قولهِ تعالى: «**اعملْ ما شئت**»: استغفرْ لما شئتَ من ذنوبك فقد غفرتُ لكَ ما استغفرتَ له، فاستغفرني من ذنوبكَ السالفةِ أغفرها لك.

وهذا أقربُ من مجازِ الحذف، لأنه قد تقدَّمَ في اللفظِ ما يدلُّ عليه، وهو علمُ العبدِ بأن له ربّاً يغفرُ الذنب، واستغفارهُ لذنبه.





٢٢٥ ـ سؤال: في قولهِ تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

[**الجواب**]: المعنى: أفلا تعتبرونَ وتنظرونَ إلى ما في أنفسكم من بديعِ الحكمة، وإتقانِ الصنعة، ودقائقِ اللطائف، وصنوفِ العجائب، فتستدلُّونَ بها على خالقها، وعلى كمالِ قدرته.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على الأعضاءِ الظاهرة. وأما النظرُ إلى المعاني الباطنةِ فقد جمعَ الله تعالى في بدنِ الإنسانِ الأشباهَ المتضادَّة، وهي الحرارةُ والبرودة، واليبوسةُ والرطوبة، وهذا من عجيبِ القدرةِ التي لا يقدرُ عليها غيره. قال الشاعر:

الماءُ والنارُ في ذاتٍ قد اجتمعا   والماءُ والنارُ كيفَ الحالُ ضدَّانِ

قال أهلُ البصائرِ النافذة: جعلَ الله تعالى في الإنسانِ سرَّ نسخةِ[١] الوجودِ كلِّها، وسمَّوْهُ «العالم الصغير». وقد جمعها الشيخ عبد العزيز الديريني في أبيات، وهي:

وفيكَ[٢] سرُّ نسخةِ الوجودِ   فانظرْ فأنتَ أقربُ الشهودِ
فالحزنُ في النفوسِ والأفراحُ   مثالُها الظلمةُ والإصباحُ

---

(١) في أ: جعل الله تعالى في الإنسان سر نسجه.
(٢) في ب: وفكَ.

ومـثَّـلـوا الـمـعـرفـةَ الـمـحـقَّـقـة كـالـشمسِ في حـالـةِ صحوٍ مشرقهْ
والـعـلـمُ يـبـدو مـثـلَ نـورِ الـبـدرِ والـفـهـمُ كـالـنـجـومِ حـيـن تـسـري
والـغـيـمُ والـسـحـابُ مـثـلُ الـجـهـلِ والـغـفـلاتِ لاحـتـجـابِ الـعـقـلِ
وربـمـا يُـخـشـىٰ مـن الـكـسـوفِ في الشمسِ مثلُ البدرِ في الخسوفِ
وشـبَّـهـوا الـركـونَ لـلآمـالِ بـالـشـامـخِ الـرأسِ مـن الـجـبـالِ
وشـبَّـهـوا الأسـرارَ فـي الـبـواطـنِ كـأنـهـا جـواهـرُ الـمـعـادنِ[1]
وشـبَّـهـوا الـعـروقَ فـي الأعـضـاءِ مـثـلَ الـعـيـون فـي انـبـعـاثِ الـمـاءِ
وشـبَّـهـوا الـجـهـرَ مـع الإسـرارِ كـالـبـرِّ فـي الآفـاقِ والـبـحـارِ
ثـم اخـتـلافُ الـبـخـلِ والـسـخـاءِ كـحـالَـي الـشـدَّةِ والـرخـاءِ
ثـم الـضـيـا فـي الـلـيـن والـحـرارهْ والـدمُ كـالـربـيـعِ فـي الـنـضـارهْ
والـحـرُّ والـيـبـسُ لـذي الـشـبـابِ كـالـصـيـفِ والـصـفـراءِ بـالـتـهـابِ
والـبـرد والـيـبـس لـذي الـخـريـف كـبـلـغـم الـمـكـتـهـل الـضـعـيـف
والـبـردُ والـيـبـسُ لـذي الـشـتـاء مـثـلُ اخـتـلافِ الـشـيـخِ بـالـسـوداءِ
والـريـقُ والـدمـعُ الـغـزيـرُ الـجـاري كـالـعـذبِ والـمـلـحِ مـن الـبـحـارِ
ودمـعـةُ الأحـزانِ تـجـري مـالـحـهْ ودمـعـةُ الأفـراحِ تـبـدو صـالـحـهْ
تـشـابـهَ الـبـرزخُ لـلـبـحـريـنِ حـلـوٌ ومـلـحٌ جَـرَيـا مـن عـيـنِ
والشعرُ من موضعهِ المخصوصِ كالأرضِ في النباتِ بالتخصيصِ
والـنـارُ فـي الـطـحـالِ مـثـلُ الـمـعـده والـكـبـدُ الـلـطـيـفـةُ الـمـنـفـردهْ
كـالـنـارِ فـي لـهـيـبـهـا فـإنْ عَـرَضْ في حرِّها نقصٌ فأسبابُ مرضْ
وشـبَّـهـوا الأنـفـاسَ بـالـريـاحِ ويـعـجـزُ الـفـهـمُ عـن الأرواحِ
فـانـظـرْ وفـكِّـرْ فـي جـمـيـعِ الـعـالَـمِ وردِّدِ الـفـكـرةَ فـي الـمـعـالِـمِ
وكـلُّ مـا سـوى الـقـديـرِ[2] الـعـالِـمِ فـهـو الـمـسـمَّـى جـمـلـةً بـالـعـالَـمِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في ج.

(٢) في أ، ج: التقدير.

فـإنَّ مَـن يـنـظـرُ فـي الـبِـنـاءِ يـراهُ مـحـتـاجـاً إلـى بـنّـاءِ
فـالـفـكـرُ فـي عـجـائـبِ الـصـنـائـعِ[1] يـعـقـبـهُ عـلـمُ وجـودِ الـصـانـعِ
الـواجـبُ الـوجـودِ[2] وَهْـوَ الـلّـه ومـا لـنـا مـدبِّـرٌ إلا هُـوْ
الـظـاهـرُ الـمـعـروفُ بـالـدلـيـلِ الـبـاطـنُ الـعـالـي عـن الـتـمـثـيـلِ
الأوَّلُ الـقـديـمُ لا بـدايـهْ لـكـونـهِ فـمـا لـه نـهـايـهْ
إذ كـلُّ حـادثٍ فـلا يـسـتـغـنـي عـن صـانـعٍ مـنـزَّهٍ عـن وَهْـنِ
الآخِـرُ الـبـاقـي بـلا نـهـايـهْ وكـلُّ مـنـتـهٍ لـه بـدايـهْ
والـواجـبُ الـذي اسـتـحـالَ ضـدُّهُ فـلا يـجـوزُ نـفـيـهُ وردُّهُ
والـمـسـتـحـيـلُ لا يـجـوزُ عـقـلا وجـودهُ فـلا يـكـونُ أصـلا
والـجـائـزُ الـمـمـكـنُ بـالـتـصـويـرِ وجـودهُ والـنـفـيُ بـالـتـقـديـرِ
وعـدمُ الـقـديـمِ مـسـتـحـيـلُ إذ الـوجـوب وصـفـهُ الـمـعـقـولُ
فـالـتـزمِ الـتـنـزيـهَ لـلـخـلّاقِ واسـتـعـمـلِ الـتـنـزيـهَ فـي الأخـلاقِ
واتـركْ خـصـالَ الـشـرِّ كـي لا تـشـتـبـهْ بـالـمـعـتـديـنَ والـقـبـاحِ وانـتـبـهْ
كـكِـبْـرِ إبـلـيـسَ ومَـكـرِ الـثـعـلـبِ وحـدَّةِ الـلـيـثِ وخـبـثِ الـعـقـربِ
والـحـرصِ فـي الـكـلـبِ وجـهـلِ الـنـمـرِ وشَـرَهِ الـخـنـزيـرِ حـيـن يـجـري
والـغـدرِ فـي الـذئـبِ وظـلـمِ الـحـيَّـهْ وحُـمُـقِ الـضـبـاعِ فـي الـبـريَّـهْ[3]
فـمـن نـفـى الـمـذمـومَ بـالـريـاضـهْ أظـهـرَ مـن أسـرارهِ ريـاضـهْ
حـتـى يـصـيـرَ مـوطـنـاً لـلـفـرسِ ولاجـتـنـاءِ ثـمـراتِ الأنـسِ
فـنـزِّهِ الـقـصـدَ[4] عـن انـتـقـاصِ كـالـعـجـبِ والـريـاءِ بـالإخـلاصِ
ونـزِّهِ الـعـهـدَ عـن الـخـيـانـهْ بـصـحَّـةِ الـوفـاءِ والأمـانـهْ
وطـهِّـرِ الـبـاطـنَ ثـم الـظـاهـرْ واعـمـلْ بـمـا يُـرضـي الإلـهَ الـقـادرْ

---

(١) في ج: الصانع.
(٢) في ب: الموجود.
(٣) في ب: أو حمق الضباع في العريه. ولم يرد هذا البيت وسابقه في أ.
(٤) في أ: النفس.

فهذه الأبياتُ قد اشتملتْ على بعضِ ما في الإنسانِ من جميع المخلوقات، فما من مخلوقٍ إلا وفي الإنسانِ خصلةٌ منه، إمّا صوريةٌ أو معنوية.

قال أهلُ النظر: ينبغي للإنسانِ أن يكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاقِ الطيرِ والبهائم: سخاوةُ الديك، وأمانةُ الحمامة، وصمتُ البازيّ، وحذرُ الغراب، وحزنُ الطاووس، وبصيرةُ الهدهد، وأنفةُ الفهد، وصدقُ الفرس، وصبرُ الجمل، وودُّ الكلب. والله أعلم.





[أجر الصلاة على الجنازة]

٢٢٦ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «مَنْ صلَّى على جنازةٍ فله قيراطٌ من أجر، ومن شهدها حتى تدفنَ فله قيراطان: أصغرهما كأُحد»[١].

لأيِّ معنىً عبَّرَ بالقيراط؟ ولأيِّ شيءٍ أبهمَ القيراط؟ ولأيِّ جملةٍ[٢] نسبَ القيراط؟ ولمَ شبَّهَ أصغرهما بأُحد؟ ولمَ قال: «فله قيراط» ولم يقلْ: «فله عشرةُ[٣] قراريط» على مقتضى القاعدةِ في أن الحسنةَ بعشرِ أمثالها؟

الجواب:

١ ـ قيل: يُحتملُ ـ والله أعلم ـ أنه إنما عبَّرَ بالقيراطِ لأنه أوَّلُ المقاديرِ الذي يختبرُ بها ويُوزن، وهو أوَّلُ الأعداد، ومراتبُ الأعدادِ أربعة: آحاد، وعشرات، ومئين، وألوف. فعبَّرَ بالقيراطِ لأنه أوَّلُ المراتب.

ثم بيَّنَ ﷺ أنَّ هذا القيراطَ ليس معادِلاً للقيراطِ الذي أَلِفوهُ في موازينِ الدنيا، بل هو قيراطٌ عظيم، ليس في موازين الدنيا ما يحمله، وإنما يمكنُ وزنهُ في موازنِ يومِ القيامة.

---

(١) أورده المؤلف بلفظ أقرب ما يكون إلى الترمذي في سننه (١٠٤٠)، وهو عند مسلم بلفظ: «من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط، فإن تبعها فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قال: أصغرهما مثل أُحد». صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٥١/٣.

(٢) في هامش أ: لعلها حكمة.

(٣) في النسخ: عشر.

٢ ـ وبيَّنَ أن أصغرَ القيراطينِ كأُحدٍ لأنه أكبرُ جبلٍ عندهم، وإلا ففي الدنيا جبالٌ أكبرُ من أحد.

ويُقال: إن في وادي سرنديبَ جبلانِ شامخانِ ملتقيانِ من فوق، وبين هذا وهذا مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ من الأرض.

وقيل: أكبرُ جبلٍ في الدنيا أُحد، لأنه يبلغُ إلى الأرضِ السابعةِ(١) السفلى، فلهذا ذكرَهُ النبيُّ ﷺ.

٣ ـ والقيراطُ الآخرُ(٢) أُبهِمَ لعظمه، لأن عطاءَ الله واسعٌ فلا يُحَدّ، والله يضاعفُ لمن يشاء.

٤ ـ وإنما عبَّرَ بالقيراطِ ولم يعبِّرْ بالعشرةَ، لأن الحسنةَ الواحدةَ قد ترجحُ على حسناتٍ كثيرة، وهذا كما قيل: عُمرُ حسنةٌ من حسناتِ أبي بكر.

وقال ﷺ: **«من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة»**(٣) ولم يقلْ «عشرة(٤) بيوت» تنبيهاً على أن هذا البيتَ يفوقُ بيوتاً كثيرةً من بيوتِ الدنيا، بل المسجدُ يفوقُ سائرَ بيوتِ الدنيا(٥)، فكذلك هذا البيتُ الذي يُبنىٰ له في الجنَّةِ يفوقُ سائرَ بيوتِ الجنَّة. ولهذا ذكرَهُ(٦) لتعظيمه.

وقال تعالى في أمَّهاتِ المؤمنين رضي الله عنهنّ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١]. ولم يعبِّرْ بعشرةٍ وعشرة، لأن المرَّتينِ تقتضي ذلك وزيادة.

---

(١) «السابعة» لم ترد في ب.
(٢) في ب: الأجر.
(٣) هذا لفظ البيهقي وأحمد. المسند ١/٧٠ (٥٠٦)، السنن الكبرى ٦/١٦٧ (١١٧١٢). وهو عند مسلم (٥٣٣) بلفظ: «من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله».
(٤) في النسخ: عشر.
(٥) سقطت العبارة السابقة من ب.
(٦) في أ: نكره!

٥ ـ وأما إبهامُ الأجرِ، فلم يبيَّنْ في الحديثِ الأجرُ المنسوبُ إليه هذا القيراط، فيُحتملُ أن يكونَ ذلك الأجرُ يفوقُ أجرَ الصائم[١]، وأن هذا قيراطٌ منه.

ويحتملُ أن يكونَ أجرَ الجهاد، أو أجرَ الحجّ، لكنَّ ذلك غيرُ مراد، لأن هذه أنواعٌ من غيرِ الجنسِ والمقادير، إنما تُنسبَ وتُضافُ إلى أجناسها وما يناسبها.

وقد حُكيَ عن بعضِ المالكيَّةِ أن القيراطَ هاهنا مضافٌ إلى مقدارِ الأجرِ الحاصلِ لمن قامَ بسائرِ أعمالِ الميت، والقولُ به متعيِّن.

وعلى هذا فلو فرضنا إنساناً قامَ بتجهيزِ الميِّتِ من حينِ ماتَ إلى مواراتِهِ في التراب، حصلَ له الأجرُ المرتَّبُ على تجهيزِ الميِّتِ كلِّه.

فلو صلَّى معه إنسانٌ على الميِّتِ حصلَ له قيراط، منسوبٌ إلى جملةِ ما حصلَ لمن أتى بفرضِ الكفايةِ كلِّه.

وليس القيراطُ منسوباً إلى أربعةٍ وعشرين قيراطاً، بل إلى الأعمالِ التي تتعلَّقُ بالميِّت، من تغميضه، وتقبيلهِ إلى القبلة، وشدِّ لحيتهِ بعصابة، ونزعِ ثيابهِ التي ماتَ فيها، ووضعهِ على سرير، وتغسيله، وتكفينه[٢]، وحمله، والمشي معه، والصلاةِ عليه، وحضورِ دفنه، وحفرِ القبر، ووضعهِ فيه، وسدِّهِ عليه، وإهالةِ التراب.

فهذه خمسةَ عشر، فمن أتى بالصلاةِ فله قيراطٌ من خمسةَ عشرَ قيراطاً. والخمسةَ عشرَ هي جملةُ الأجر، ومن حضرَ الدفنَ فله قيراطُ آخر[٣].

وهذه القراريطُ بعضُها أفضلُ من بعض، لأن بعضَ هذه الأعمالِ أفضلُ من بعض.

---

(١) في ب: الصيام.

(٢) في ب: وتلقينه.

(٣) في ب: أجر.

فالصلاةُ عليه أفضلُ من حضورِ دفنه، لأن الصلاةَ عليه فرض، وحضورُ الدفنِ سنَّة، ولهذا قال ﷺ: «**أصغرهما**»، فيُحتملُ أن يُرادَ به قيراطُ شهودِ الدفن، لما تقدَّم، ولموافقةِ القواعدِ أن ثوابَ الواجبِ يزيدُ على ثوابِ النذبِ بسبعينَ درجة.

وإنما أبهمَهُ ﷺ ليحرصَ الإنسانُ على الإتيانِ بالقيراطين، لأنه لو بيَّنَ ما يترتَّبُ عليه أصغرُ القيراطين لربما تكاسلَ عنه الناسُ ورغبوا في فعلِ ما يترتَّبُ عليه القيراطُ الأكبر.

ويُحتملُ أن يكونَ القيراطُ الأكبرُ مرتَّباً على شهودِ الدفن.

ولا يبعُد أن يزيدَ ثوابُ المندوبِ على ثوابِ الواجب، كما أن الإبراءَ من الدَّيْنِ أفضلُ من الإنظار، مع أنه مستحَبّ، والإنظارُ واجب. وابتداءُ السلامِ أفضلُ من الردّ.

ولو صلَّى إنسانٌ على جنائزَ دُفعةً حصلَ له بكلِّ ميِّتٍ قيراط، لأنه شفَّعَ[1] ودعا لهم، ولأن الفعلَ الواحدَ إذا عمَّ نفعهُ تعدَّدَ الأجرُ بعددِ أفرادِ ما عمَّهُ النفع. قال الله تعالى: ﴿**أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ** ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: **٣٢**].

قال الزجّاجُ في تفسيره: إنما كان كذلك لأن من أحيا نفساً، أو أحسنَ إليها، أو علَّمها علماً، فقد أحسنَ إلى جنسِ بني آدم، وكأنه أدخلَ السرورَ على كلِّ واحدٍ منهم بإحسانهِ إلى أخيهم، فأُعطيَ بكلِّ نسمةٍ حسنة. ومن قتلَ نفساً فكأنه أساءَ إلى سائرِ الجنس، وإلى كلِّ فردٍ من أفراده، فأُعطيَ بكلِّ نسمةٍ سيِّئة.

فكما يكونُ الإحسانُ على المسرَّة، كذلك تكونُ العقوبةُ على الإساءة.

---

(١) في ب: تشفع.

وأيضاً: فقوله ﷺ: «**من صلى على جنازة**» نكرةٌ في سياقِ الشرط، فيعمُّ كلَّ جنازة[1]، فوجبَ أن تتضاعفَ القراريطُ بعددِ الأموات.

وأيضاً: قال ﷺ: «**من اقتنى كلباً إلا كلبَ ماشيةٍ أو كلبَ صيدٍ نقصَ من أجرهِ قيراط**»[2]. وفي رواية: «**قيراطان**»[3].

ولو اقتنى كلاباً نقصَ من أجرهِ بكلِّ كلبٍ قيراطان.

كذا نقلَهُ الجاحظُ في كتاب «الحيوان» فقال: ذهبَ جماعةٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ إلى دارِ أنصاريٍّ ليعودوهُ من مرض، فهرَّتْ في وجوههم كلابٌ من دارِ الأنصاري، فقالتِ الصحابة: ما يَدَعُ هؤلاءِ من أجرِ فلانٍ شيئاً، كلُّ كلبٍ ينقصُ من أجرهِ كلَّ يومٍ قيراطاً أو قيراطين[4].

وإذا كان الوزنُ يتضاعفُ بتضاعفِ الكلاب، فقيراطُ الصلاةِ أولى، لأن بابَ الكرمِ أوسع.



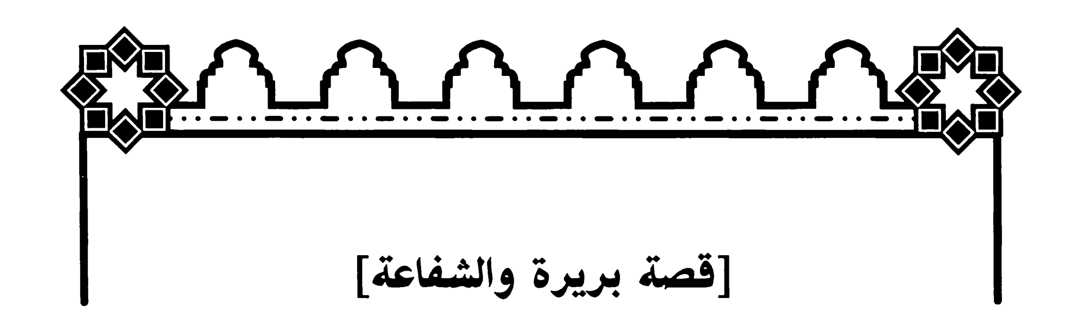
---

(١) من قوله: «نكرة» حتى هنا، سقط من ب.

(٢) ورد بألفاظ متقاربة عديدة ليس من بينها كلمة «أجر» كما ذكره المؤلف، فهو عند مسلم بلفظ: «من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو كلب صيد نقص من عمله كل يوم قيراط». صحيح مسلم (١٥٧٤).

(٣) لفظه عند البخاري: «من اقتنى كلباً إلا كلباً ضارياً لصيد أو كلب ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان». صحيح البخاري (٥١٦٤).

(٤) أورده بمعناه، وفيه: فقال بعضهم لبعض: ما يُبقي هؤلاء من عمل فلان شيئاً، كلُّ كلب منها ينقصُ قيراطاً في كل يوم. الحيوان ١/١٦٢.



[قصة بريرة والشفاعة]

٢٢٧ ـ سؤال دارتْ فيه الرؤوس، واستصعبتْهُ النفوس، في قصَّةِ بريرةَ رضيَ الله عنها، أنها لمّا أُعتقتْ خيَّرها رسولُ الله ﷺ فاختارتْ فراقه(١)، ثم لمّا أمرها رسولُ الله ﷺ بردِّهِ قالت: يا رسولَ الله، أتأمرُ أم تشفع؟ قال: «بل أشفع». قالت: لا حاجةَ لي منه(٢)!

استصعبَ الناسُ هذا، وقالوا: كيف يظنُّ بهذه الصحابيةِ أنها لم تقبلْ شفاعةَ النبيِّ ﷺ في زوجها مغيث؟ وكيف قالت: لا حاجةَ لي فيه، مع أنه ﷺ شفعَ عندها؟

[**الجواب**]: وقد أجيبَ عنه بأجوبة:

أ ـ منها: أنها علمتْ من نفسها أنها لا تقومُ بواجباتِ الزوجية، لأنها كانتْ تبغضه، فلو أجابتِ الشفاعةَ لوقعتْ في أمرٍ محرَّم.

---

(١) يعني فراق زوجها.

(٢) الحديث في الصحيح وغيره. صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ١٧١/٦ ـ ١٧٢.

وكانت بريرة عبدة مثل زوجها، قيل: إنها كانت نبطية، وقيل: قبطية. ولما أعتقتها عائشة رضي الله عنها صارت حرَّة وبقي زوجها عبداً، فخيَّرها النبي ﷺ بين أن تبقى عند زوجها أو تفارقه، فاختارت نفسها. وزوجها مغيث كان عبداً أسود لبني المغيرة، وله منها ولد، فكان يحبها حباً جمّاً، ويطوف وراءها في سكك المدينة ودموعه تسيل على لحيته، يترضّاها لتختاره قبل الفراق، أو ترجع إليه بعده، لكنها كانت كارهة له. ينظر كتابنا: الأربعون حديثاً في الرقة والبكاء ص٢١.

وهذا الجوابُ مردود، لأنه ﷺ كان إذا شفعَ وجبتْ إجابةُ شفاعته[1]، وكان إذا دعا امرأةً إلى نكاحِ خسيسٍ أو شريفٍ وجبَ عليها إجابته.

ولمّا خطبَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ لعتيقه زيد بن حارثة كرهتْ ذلك وكرِهَهُ أخوها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فسمعتْ وأطاعت.

وأحرارُ الأمَّةِ وعبيدها بمنزلةِ العبيدِ في حقِّ النبيِّ ﷺ في لزومِ الطاعة، وهو أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم وأموالهم. وإذا كان كذلك فبطلَ هذا الجواب.

ب ـ وأجابَ شيخنا وليُّ الدين الملويُّ[2] يقول: إن معنى قولها «أم تشفع»: أم تشيرُ عليّ.

وهذا أيضاً فيه نظر، لأنه إذا كان معنى الشفاعةِ الإشارةُ، فإشارتهُ ﷺ يجبُ قبولها، والخيرُ كلُّهُ في اتِّباعها.

جـ ـ وقال بعضهم: اختارتِ المقامَ في بيتِ النبيِّ ﷺ، فردَّتْ شفاعته لذلك[3].

وهذا كلُّهُ خبطُ عشواء، ورميةُ عمياء.

د ـ وإنما الجوابُ الصحيحُ في ذلك غيرُ ذلك، وهو موقوفٌ على معرفةِ الفرقِ بين الأمرِ والسؤالِ والشفاعة. وقد فرَّقَ الثمانيني[4] في شرحِ اللمع بينها فقال: الطلبُ إن كان من الأعلى للأدنى فهو أمر، وإن كان من

(١) في ب: كان إذا وجب شفاعته أجابته!

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الملوي، ولي الدين. فقيه مفسِّر نحوي صوفي، من صعيد مصر. ت٧٧٤هـ. هدية العارفين ١٦٦/٢.

(٣) في أ: فرد الشفاعة لذلك، وفي ب: وردت الشفاعة كذلك.

(٤) عمر بن ثابت الثمانيني، أبو القاسم، عالم بالعربية، ضرير، من سكان بغداد، نسبته إلى «الثمانين» إحدى قرى جزيرة ابن عمر. له شرح اللمع لابن جني، وغيره. ت٤٤٢هـ. الأعلام ٤٣/٥.

الأدنى للأعلى ـ كمن هو دونه ـ سُمِّيَ الطالبُ شافعاً، والمطلوبُ منه مشفوعاً إليه، والمطلوبُ له مشفوعاً، والشيءُ مشفوعاً فيه.

فكلُّ شافعٍ فهو داعٍ وسائلٌ وطالبٌ وراغب، وكلُّ مشفوعٍ إليه مدعوٌّ ومسؤولٌ ومرغوبٌ إليه. هذا كلامه.

فشرطَ في تسميتها شفاعةً أن يكونَ الشافعُ دون المشفوعِ إليه.

وحينئذٍ فقولُ بريرةَ رضيَ الله عنها: «أتأمرُ أم تشفع» لم تردْ حقيقةَ الشفاعة، لفقدانِ شرطها، بل المعنى: أتأمرُ أم تُخَيِّر؟

وقوله ﷺ: «**بل أشفع**»: بل أخيِّرك. ولم تفهمْ بريرةُ غير ذلك؟

وإطلاقُ الشفاعةِ على التخييرِ مجاز، لما بينهما من عدمِ الإيجابِ في الموضعين.

ويجوزُ أن تكونَ هذه الشفاعةُ عَرْضاً[1] لم يقصدْ فيها حقيقةُ الطلب، بل قُصِدَ بها اختيارُ ما عند الغير.

فالنبيُّ ﷺ عرضَ هذه المسألةَ لينظرَ هل لها رغبةٌ في زوجها فيأمرها بردِّه[2]؟ فلمّا قالت: لا حاجةَ لي فيه، ظهرَ له كراهتها له، فلم يأمرها بالردّ.

ونظيرُ ذلك: أمرُ العزم، وأمرُ الإكرام[3]، وأمرُ العرض.

أ ـ فأمرُ العزمِ يُقصَدُ به حقيقةُ الطلب والحتم.

ب ـ وأمرُ العرضِ بخلافِ ذلك. ومن أمرِ العرض: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال العلماء: ركَّبَ الله في هذه الجماداتِ فهماً وعرضَ عليها الأمانة،

---

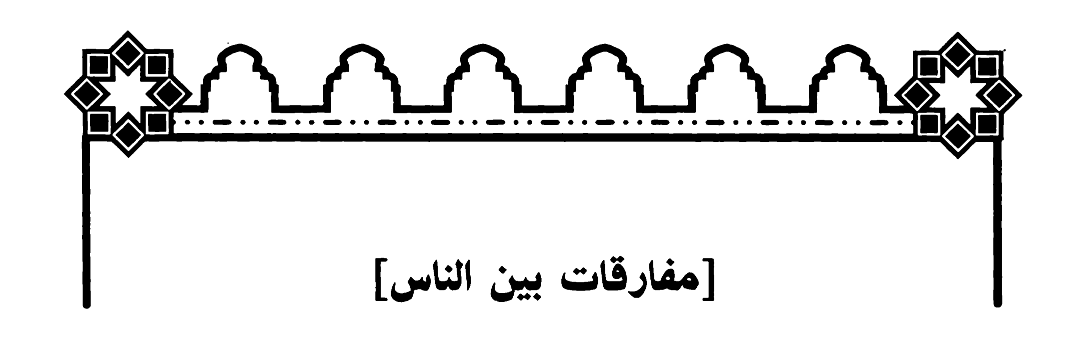
(١) في النسخ: عرض.
(٢) في أ: بالعود.
(٣) في ج: الإكراه.

وهي التكاليفُ الشرعية، وأعلمها ما للمطيعِ وما على المخالف، فامتنعتْ من حملها شفقةً ومخافةً لا معصيةً ومخالفةً. قالوا: وكان هذا أمرَ عرض، لأنه لو كان عزماً لما خالفت.

جـ ـ وأمرُ الإكرامِ كقولك: اجلسْ على البساط.

فهذا هو الجوابُ الصحيحُ والمتعيِّن، وليس فيه أن بريرةَ رضي الله عنها ردَّتْ شفاعتَهُ ﷺ، والحمدُ لله على ما بيَّنَ وألهم، وكشفَ من الغطاءِ ما أشكلَ وأظلم، والحمدُ له وحده.





[مفارقات بين الناس]

٢٢٨ ـ سؤال: في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية [الإسراء: ٥٥]. **إن قيل: لأي معنىً لم يخلقِ الله الخلقَ مستوينَ في الحسن والغنى والجمال؟**

[الجواب]: قيل: ليعرفَ الشريفُ ما عليه من النعمةِ وعظم المنَّة، لأن الأشياءَ إنما تُعرفُ بأضدادها، كما قال، فالضدُّ يظهرُ جنسه الضدّ.

فالفقر يبيِّنُ مقدارَ الغنى، والقبحُ يبيِّنُ مقدارَ الجمال، والسقمُ يبيِّنُ مقدارَ العافية.

وقد أوضحَ ذلك كلَّهُ ما رواهُ الإمامُ أحمد، عن أُبيِّ بن كعب، في قـــول الله عـــزَّ وجـــلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً في صورهم، ثم استنطقهم، فتكلَّموا، ثم أخذَ عليهم العهدَ والميثاق، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال: فإني أشهدُ عليكم السماواتِ السبعَ والأرضينَ السبع، وأشهدُ عليكم أباكم آدم ﷺ أن تقولوا يوم القيامةِ لم نعلمْ بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسلُ إليكم رسلي يذكِّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزلُ عليكم كتبي.

قالوا: شهدنا بأنك ربُّنا وإلهنا، لا ربَّ لنا غيرك، ولا إلٰه لنا غيرك[1].

فأقرُّوا بذلك، ورفعَ عليهم آدمَ ينظرُ إليهم، فرأى الغنيُّ والفقير، وحسنَ الصورةَ، ودون ذلك، فقال: يا ربّ، لولا سوَّيتَ بين عبادك؟ قال: إني أحببتُ أن أُشكر.

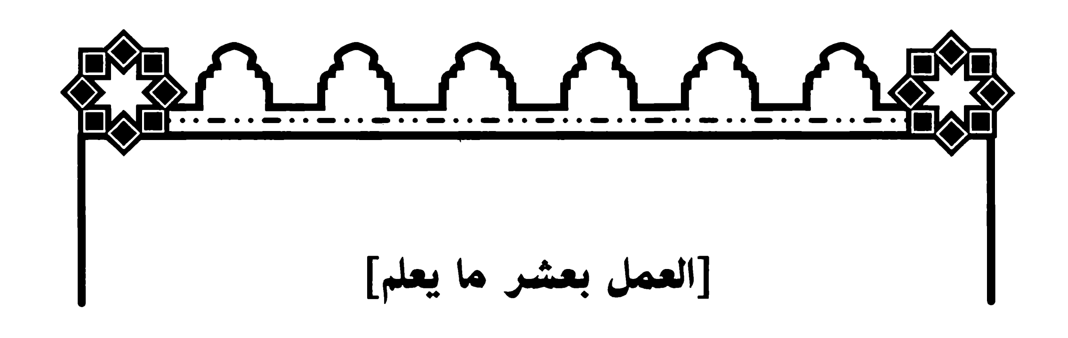
ورأى الأنبياءَ فيهم مثلَ السُّرجِ عليهم النور، وخُصُّوا بميثاقٍ آخرَ في الرسالةِ والنبوَّة، وهو قولهُ تباركَ وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. [وفي ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وفي ذلك قال: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١]، قال: فكان في علم الله يومئذ من يكذب به ومن يصدق به، فكان روحُ] عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عهدها وميثاقها في زمن آدم، فأرسله الله إلى مريم في صورةِ بشر، فتمثَّل لها بشراً سويّاً. قال أُبيّ: فدخل من فيها[2].



---

(١) في أ زيادة: ولا معبودَ لنا سواك.

(٢) هذا رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، وكذا عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ ابن منده، كما ذكره الإمام السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٦٠. وفي الأصل نقص واختلافات نسخ وسقط لم أوردها، بل نقلت جملة النص من المصدر المذكور، وما بين المعقوفتين منه.



[العمل بعشر ما يعلم]

٢٢٩ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ لأصحابه: «إنكم في زمانٍ علماؤهُ كثير، خطباؤهُ قليل، من تركَ فيه عشيرَ ما يعلم هوى، أو قال: هلك. وسيأتي على الناسِ زمانٌ يقلُّ علماؤه، ويكثرُ خطباؤه، من تمسَّكَ فيه بعشيرِ ما يعلمُ نجا»[١].

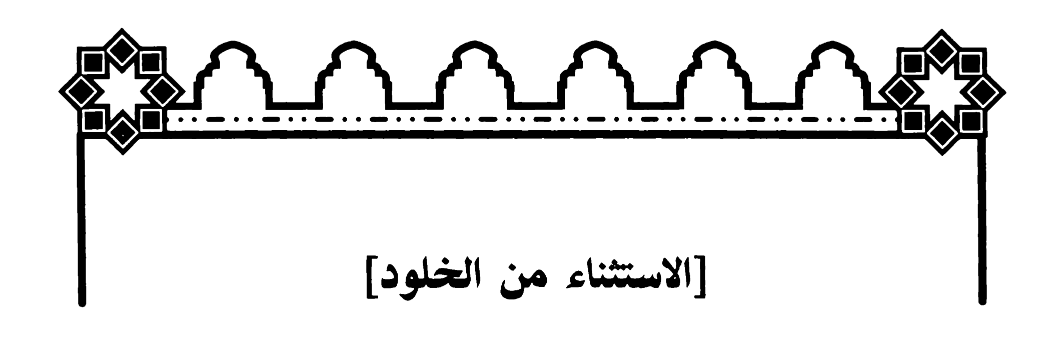
ما حكمةُ تقييدِ ذلك بالعشرِ في الموضعين؟

[الجواب]: قلت: أما في جانبِ الفعلِ بعشرِ ما يعلم، فلأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها، وهذا إنما يكونُ لمن عجزَ عن العملِ بما يعلم. أما إذا كان قادراً على العملِ بما علمَ فلا عذرَ له في تركِ العملِ بما علم.

والحديثُ رواهُ أحمد في المسندِ من حديثِ أبي ذرٍّ رضيَ الله عنه.



(١) رواه أحمد في المسند ٥/١٥٥ (٢١٤٠٩)، وضعف الأرناؤوط إسناده، وقال الحافظ الهيثمي في مجمعِ الزوائد ١/١٢٧: فيه رجل لم يسم. قلت: ويأت بألفاظ أخرى في روايات عدة. . .



[الاستثناء من الخلود]

٢٣٠ ـ سؤال: في قولهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧]. **وكذلك في أهل الجنَّة**(١).

[**الجواب**]: في هذا الاستثناءِ وجوه:

أحدها: أن «إلا» بمعنى «ما»، والتقدير: خالدينَ فيها ما دامتِ السماواتُ والأرض، وما شاءَ ربُّك.

وقيل: «إلا» بمعنى «قد»، والتقدير: قد شاءَ ربُّك. ذكرَهُ البيهقيُّ في كتاب «البعث والنشور».

وقيل: الاستثناءُ على بابه، وهو راجعٌ إلى مدَّةِ إقامتهم في البرزخ، أو على وقوفهم في المحشر، أو على خروجِ أهلِ الجنَّةِ منها إلى حظيرةِ القدسِ لزيارةِ الربِّ عزَّ وجلَّ في كلِّ يومِ جمعة. حكاهُ الطوفي.

وقيل: إن حولَ الجنَّةِ أماكنَ متَّسعةً ومستنزهاتٍ يخرجُ إليها أهلُ الجنَّة.

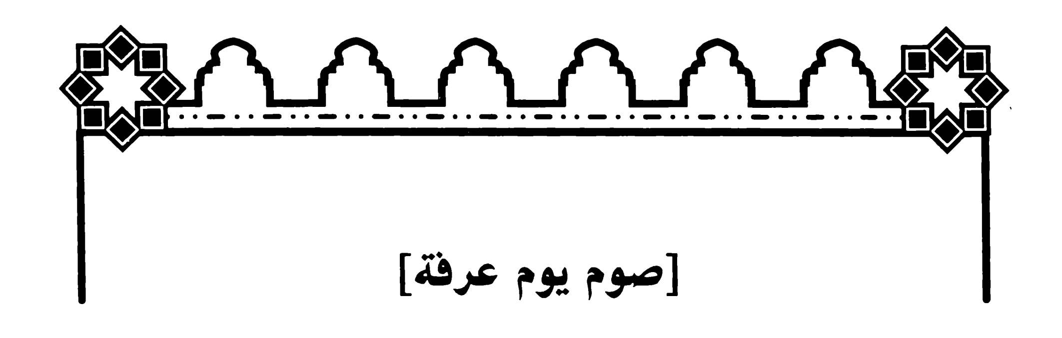
---

(١) قوله تعالى في الآية (١٠٨) من السورة المذكورة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

وأما أهلُ النارِ فيخرجُ منها الموحِّدون، فيكونُ المعنى: إلا مَنْ شاءَ ربُّكَ أخرجَهُ من الموحِّدين.

وقال النيسابوري: رُويَ أن إبليسَ يخرجُ من النارِ بعد كلِّ مائةِ ألفِ سنة، ويخرجُ آدمُ من الجنَّة، ويُقالُ لإبليس: هذا آدمُ اسجدْ له. فيأبىٰ، فيُرَدُّ إلى النار. والله أعلم.





[صوم يوم عرفة]

٢٣١ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «صومُ عرفةَ أحتسبُ على الله أن يكفِّرَ السنةَ التي قبلَهُ والسنةَ التي بعده»[١].

ما الحكمةُ في اختصاصِ التكفيرِ بسنتين؟

[الجواب]: قلت: ظهرَ لي ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى لمّا كان عطاؤهُ كثيراً عامّاً، أرادَ أن يعمَّ بالعطاءِ في هذا اليومِ جميعَ الخلق، ولمّا أن جمعَ الله تعالى للحاجِّ[٢] في يوم عرفةَ بين نُسكين، وهما الحجُّ والعمرة، وكلٌّ من الحجِّ والعمرةِ كفّارةُ سنة، كما قال ﷺ: «**العمرةُ إلى العمرةُ كفَّارةٌ لما بينهما**»[٣]، أعطى الله تعالى من لم يحضرْ عرفةَ كفّارةَ سنتينِ إذا صامَ يومَ عرفة، ليحصلَ له بذلك، نظيرُ ما حصلَ للحاجِّ من العبادتينِ في هذا اليوم، لأنه لمّا تلبَّسَ بصومهِ أُشْبِهَ المُحْرِمَ في تلبُّسهِ بالإحرام.

(١) سبق تخريجه في الرقم (٢١٧).

(٢) في أ: الناس، وفي جـ: للناس.

(٣) في النسخ: «الحج والعمرة كفارة لما بينهما» وهو خطأ. والمثبت رواه الستة إلا أبا داود، ومالك في الموطأ. صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها ١٩٨/٢.

وروى ابن عباس قول رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». رواه النسائي ١١٥/٥ وصححه في صحيح الجامع (٢٩٠٠).

ولهذا استحبَّ بعضهم لكلِّ أحدٍ أن يتشبَّهَ بالمُحرمِ في عشرِ ذي الحجَّة، فلا يحلقُ شعره، ولا يُزيلُ ظُفره.

واستحبَّ بعضهم التعريفَ في يومِ عرفة، وهو الاجتماعُ بعد الظهرِ لأيِّ[1] بلدٍ كان، للذكرِ والدعاء، تشبُّهاً بأهلِ عرفة، كما نقلَهُ النوويُّ في شرحِ المهذَّب.

والمعنى الأوَّلُ نظيرُ ما قالَهُ الشافعيُّ رضيَ الله عنه في أن أهلَ المدينةِ يصلُّونَ التراويحَ ستّاً وثلاثينَ ركعةً دون غيرهم من أهلِ الدنيا، لأن الله تعالى جعلَ لأهلِ مكةَ الطوافَ بين كلِّ ترويحتين، فسُنَّ لأهلِ المدينةِ ترويحةٌ في مقابلةِ الطوافِ لأولئك، ليحصلَ التعادلُ بين الحرمينِ الشريفين. هذا ما ظهرَ لي، والله أعلم.



(١) في ب: أي، وفي ج: بأي.



[صيام شهور وأيام]

٢٣٢ ـ سؤال: في قولِهِ ﷺ: «من صامَ رمضانَ وشوّالَ والأربعاءَ والخميسَ دخلَ الجنَّة»(١).

ما الحكمةُ في اختصاصِ شوّالَ والأربعاءِ والخميس؟

الجواب: قلت: ظهرَ لي ـ والله أعلم ـ أنه لما كانتِ الناسُ تكثرُ من الفطرِ في شوّال، ويُقبلونَ على الشهوات، ويفترونَ عن العبادات، استحبَّ صيامهُ لذلك.

ولذلك كان النبيُّ ﷺ يكثرُ الصومَ في شعبان، ويقول: «**إنه شهرٌ تُرفَعُ فيه الأعمال، وتكثرُ فيه الغفلة**»(٢)، كما رواهُ الإمام أحمد بن حنبل في المسند. وكذلك الحديثُ الذي قبله.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٧٨/٤ (١٦٧٦٠)، وذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط أن إسناده ضعيف. . وكذا ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٦٥٠). ورواه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) ٤٢١/١ رقم (٣٣٥).

(٢) قوله ﷺ لعائشة عن صومه الاثنين والخميس: «ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم». وعن صوم شعبان: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر يرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم». مسند أحمد ٢٠١/٥ رقم (٢١٨٠١) وحسّن الأرناؤوط إسناده.

وأما التخصيصُ بيومِ **الأربعاء، فلأن الله تعالى خلقَ فيه النور**، كما ثبتَ في مسلم[1].

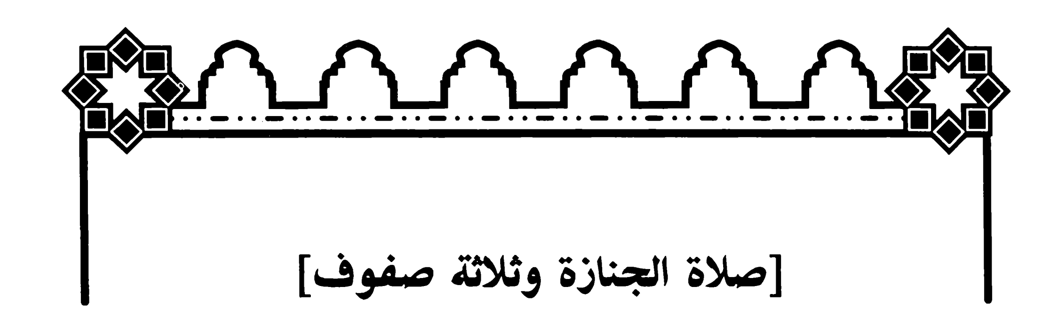
وأما يومُ **الخميس، فلأنه تُرْفَعُ فيه الأعمال**[2].



---

(١) أوله قول أبي هريرة رضي الله عنه: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عزَّ وجلَّ التربة يوم السبت... وخلق النور يوم الأربعاء...». صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب ابتداء الخلق (٢٧٨٩).

(٢) في حديث أحمد السابق.



[صلاة الجنازة وثلاثة صفوف]

٢٢٣ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «ما من مؤمنٍ يموتُ، فيصلِّي عليه أمَّةٌ من المسلمين، بلغوا أن يكونوا ثلاث صفوف، إلا غُفر له». رواهُ الإمامُ أحمد في المسند[١].

قال: وكان مالك بن هبيرة[٢] يتحرَّى إذا قلَّ أهلُ الجنازةِ أن يجعلهم ثلاثَ صفوف[٣].

ما الحكمة في الثلاثةِ صفوف؟

[الجواب]: سمعتُ شيخنا وليَّ الدين الملويَّ يحكي عن بعضِ مشايخه، أن ذلك من بابِ التوسُّعِ في الرجاء، كأنهم يقولون: جئناكَ ثلاثةَ صفوفٍ شافعين، فلا تردَّنا[٤].

وهو مثل تكثيرِ الخُطا إلى المساجد.

قال الطبراني في معجمه: الأمَّةُ أربعونَ إلى المائة[٥].

---

(١) مسنده ٧٩/٤ (١٦٧٧٠)، وضعف إسناده الأرناؤوط. كما رواه أبو داود في سننه (٣١٦٦)، وقال الألباني: ضعيف لكن الموقوف حسن.

(٢) مالك بن هبيرة السكوني، أبو سعيد، له صحبة، عداده في أهل مصر، ولاّه معاوية حمص، ومات في أيام مروان بن الحكم. تهذيب الكمال ١٦٤/٢٧.

(٣) الخبر مع الحديث في مصدرين الحديث السابقين. وهكذا ورد «ثلاث» هنا وهناك؟

(٤) في أ: فلا ترد شفاعتنا.

(٥) فيه قول أبي المليح: الأمة أربعون فصاعداً. المعجم الكبير (١٠٦٠).

وقد فُسِّرَ حديثُ مسلم: «**ما من مسلمٍ يصلِّي عليه أربعونَ إلا شُفِّعوا فيه**»[1].

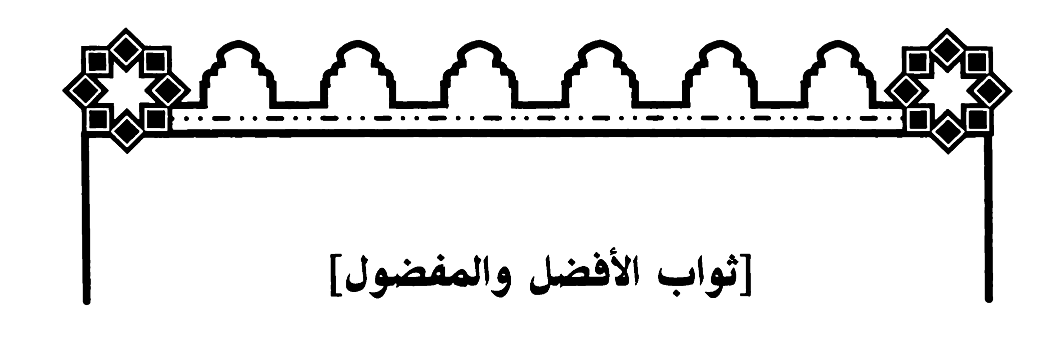
وماتَ ابنٌ لابنِ عباس، فبعثَ من ينظرُ: هل اجتمعَ أربعونَ من الناس؟ فأُخْبِرَ أنه اجتمعَ هذا العدد، فَخرجَ به وصلَّى[2].

قال النيسابوري: الحكمةُ في الأربعينَ أنه لم يجتمعْ قطُّ أربعونَ إلا ولِلَّهِ فيهم عبدٌ صالح.



(١) هكذا أورده لفظه، وهو مختصر من الأصل من حديث ابن عباس المرفوع: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه». صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن صلى عليه أربعون (٩٤٨).

(٢) هو مع الحديث في المصدر السابق.



[ثواب الأفضل والمفضول]

٢٣٤ ـ سؤال: إذا رتَّبَ الشارعُ ثواباً على عمل، هل يدلُّ على تفضيلهِ على غيرهِ مما أكَّدَ عليه الشارعُ ولم يرتِّبْ عليه ذلك الثواب، بل سكتَ عن ثوابه؟

الجواب: قد يرتِّبُ الشارعُ الثوابَ للترغيبِ في العملِ لئلا يُترك، ولا يكونُ ذلك أفضلَ مما أكَّدَهُ ولم يرتِّبْ عليه ثواباً معلوماً.

فمن ذلك قولهُ ﷺ: **«من صلى الضحى ثنتي عشرةَ ركعةً بنى الله له قصراً من ذهبٍ في الجنَّة»**. رواهُ ابنُ ماجه[١].

مع أن الراتبةَ التابعةَ للفرائضِ أفضلُ من الضحى.

ومن ذلك قولهُ ﷺ: **«من صلَّى ستَ ركعاتٍ بين المغربِ والعشاء، كتب الله له عبادةَ اثنتي عشرةَ سنة»**. رواهُ الترمذي وابن ماجه[٢].

---

(١) في الأصل: «بنى الله له بيتاً في الجنة من ذهب». والمثبت من المصدرين التاليين: سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى (١٣٧٩)، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى (٤٧٣) وقال: حديث غريب. وضعفه في ضعيف الجامع (٥٦٥٨).

(٢) هكذا ساقه المؤلف، ربما من حفظه، ولس هو من لفظ ابن ماجه ولا الترمذي، وهو عند ابن ماجه بلفظ: «من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن بسوء عُدلت له عبادةَ اثنتي عشرة سنة» (سننه رقم ١٣٧٤). وأوله عند الترمذي: «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بيينهن بسوء...» (سننه رقم ٤٣٥). قال الألباني: ضعيف جداً. ضعيف الجامع (٥٦٦١).

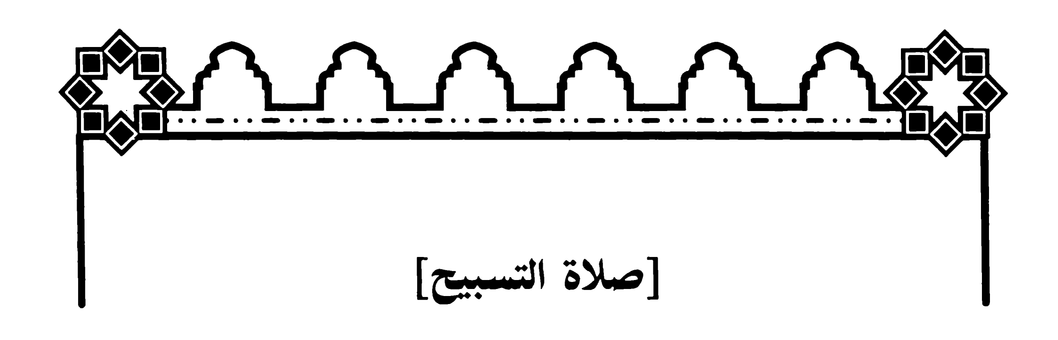
مع أن سنَّةَ المغربِ أفضلُ من ذلك. وإنما رتَّبَ الثوابَ على ذلك لكثرةِ الغفلة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**من قال لا إلٰه إلا الله واحداً أحداً صمداً لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكنْ له كفواً أحد، أحدَ عشرَ مرَّات، كُتِبَ له أربعونَ ألفَ حسنة**». رواهُ الإمام أحمد في المسند من حديثِ تميم الداري، ورواهُ أيضاً الترمذي[1].

مع أن قراءةَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أفضلُ من ذلك.



(١) سن الترمذي (٣٤٧٣)، مسند أحمد ١٠٣/٤ (١٦٩٩٣)، المعجم الكبير للطبراني (١٢٧٨). وضعفه في ضعيف الجامع (٥٧٢٧) وأوله عند الترمذي: «من قال أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً..».



[صلاة التسبيح]

٢٣٥ ـ سؤال: هل تستحبُّ صلاةُ التسبيح؟ وما صورتها؟

الجواب: قال باستحبابِ صلاةِ التسبيحِ الشيخُ أبو حامدٍ الغزاليّ في «الرونق»[(١)]، والبغوي في «التهذيب»، والنوويّ، والرافعيّ، وغيرهم.

قال الرافعي: إنه يطوِّلُ الاعتدالَ في صلاةِ التسبيح. ودليلُ الاستحبابِ قولهُ ﷺ لعمِّهِ العباس: «**يا عمّاه، ألا أمنحكَ، ألا أهبُ لكَ، ألا أعطيكَ أربعَ خصال، إن فعلتها غفرَ الله لكَ ذنبك، أوَّلَهُ وآخره، قديمَهُ وحديثه، صغيرَهُ وكبيره، عمدَهُ وخطأه، سرَّهُ وعلانيته؟ تصلي أربعَ ركعات، تقرأُ في الأولى بفاتحةِ الكتابِ وسورة، وتقولُ إذا فرغتَ من القراءةِ وأنتَ قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، خمسَ عشرةَ مرَّة، ثم تركعُ تقولها وأنتَ راكعٌ عشراً، ثم ترفعُ فتقولُها وأنتَ قائمٌ عشراً، ثم تسجدُ فتقولُها وأنتَ ساجدٌ عشراً، ثم تجلسُ فتقولُها وأنتَ جالسٌ عشراً، ثم تسجدُ الثانيةَ فتقولُها في سجودِكَ عشراً، ثم تجلسُ فتقولُها وأنتَ جالسٌ عشراً؛ فذلك خمسٌ وسبعونَ تسبيحةً في كلِّ ركعة. تقولُ في الركعةِ الثانيةِ كذلك.**

فإن استطعتَ أن تصلِّيَها في كلِّ يومٍ فافعل، فإنْ لم تستطعْ ففي كلِّ جمعةٍ مرَّة، فإن لم تستطعْ ففي كلِّ شهرٍ مرَّة، فإنْ لم تستطعْ ففي كلِّ سنةٍ

---

(١) كتاب الرونق مختصر في فقه الشافعية، اختلف في مؤلفه.

مرَّة، **فإنْ لم تستطعْ ففي عمرِكَ مرَّةً واحدة**». أخرجَهُ أبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه وغيرهم[١].

وزادَ الطبرانيُّ في معجمِهِ الأوسط، أنه ﷺ كان يدعو فيها بعد التشهُّدِ وقبل السلام فيقول:

«اللهمَّ إني أسألُكَ توفيقَ أهلِ الهدى، وأعملَ أهلِ اليقين، ومناصحةَ أهلِ التوبة، وعزمَ أهلِ الصبر، وجِدَّ أهلِ الحِسْبة[٢]، وطلبَ أهلِ الرغبة، وتعبُّدَ أهلِ الورع، وعرفانَ أهلِ العلم حتى أخافك.

«اللهمَّ إني أسألُكَ مخافةً تحجزني عن معاصيك، حتى أعملَ بطاعتِكَ عملاً أستحقُّ به رضاك[٣]، وحتى أناصحكَ في التوبةِ خوفاً منك، وحتى أُخلصَ لكَ النصيحةَ حباً لك[٤]، وحتى أتوكَّلَ عليكَ في الأمورِ حُسْنَ ظنٍّ بك. سبحانَ خالقِ النور»[٥].

قال الترمذي عن بعضهم: فإنْ سها سجَدَ للسهوِ ولم يُعدِ التسبيح، لأنها ثلاثمائةِ تسبيحة[٦].

---

(١) سنن أبي داود (١٢٩٧)، سنن ابن ماجه (١٣٨٧) وأوله عندهما: «يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك...». المعجم الكبير للطبراني (١١٦٢٢) وأوله عنده: «يا عماه ألا أعلمك ألا أمنحك...»، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٣٧). وروي من جواب ابن المبارك رحمه الله في المستدرك (١١٩٧)، وسنن الترمذي (٤٨١)، وعند الأخير من رواية أبي رافع رفعه، بينما الرواة الأول عن ابن عباس رفعه.

قلت: وتوجد اختلافات بين نسختي ب وج من جهة، و(أ) من جهة أخرى، ولم أوردها، كما لم أقارنها بكتب السنن الأخرى، وبينها اختلاف ألفاظ أيضاً، فليؤخذ الحديث من مصدره.

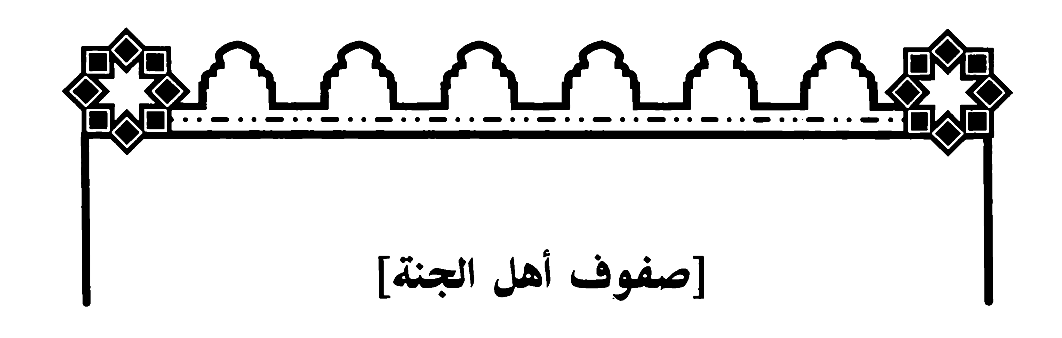
(٢) في النسخ: الخشية.

(٣) في ب، ج: رجاءك.

(٤) في النسخ: وخوفاً منك حتى أخلص لك النصيحة. ولم ترد الكلمتان الأخيرتان فيها. والمثبت من مصدره.

(٥) في مصدره: «خالق النار». المعجم الأوسط رقم (٢٣٣٩). قال الحافظ الهيثمي: فيه عبد القدوس بن حبيب، وهو متروك. مجمع الزوائد ٢/٢٨٢.

(٦) هو من قول عبد الله بن المبارك رحمه الله، كما ذكره في سنن الترمذي رقم (٤٨١).



[صفوف أهل الجنة]

٢٣٦ ـ سؤال: ما الحكمةُ في قولهِ ﷺ: «أهلُ الجنَّةِ ثمانونَ ومائةُ صفّ، منها ثمانونَ من هذه الأُمَّة»[(١)]. وهلّا كانوا أكثرَ من الثمانين؟

الجواب: قيل: لأن أمَّةَ محمدٍ ﷺ هم الوارثون، كما سمّاهمُ الله تعالى بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠].

ولمّا كانتِ الجنَّةُ دارَ أبيهم آدمَ عليه السلام، فالأفضلُ[(٢)] الأقربُ إليه من أولادهِ يحجبُ الأبعد، وأقربُ الناسِ إلى آدمَ محمدٌ ﷺ، لكونهِ أشرفَ بنيه، ولقولهِ ﷺ: «**كنتُ نبياً وآدمُ بين الروحِ والجسد**»[(٣)].

ولهذا يُكنىٰ آدمُ بأشرفِ بنيهِ وأقربهم إليه، فكانتْ كنيتهُ أبا محمد.

وأخذتْ أمَّةُ محمدٍ ﷺ ثلثي الجنَّةِ بالميراث، وبقيَ الثلثُ تبرُّعٌ[(٤)]

---

(١) هكذا أورده المؤلف، وهم «عشرون ومئة صف» كما في مصادر حديثية عديدة. ولفظه من الترمذي: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم». رواه الترمذي وحسّنه (٢٥٤٦)، كما صححه الألباني له ولغيره. صحيح الجامع الصغير (٢٥٢٦).

(٢) في جـ: فالأصل.

(٣) نصه كما في أكثر من مصدر: عن ميسرة الفخر قال: قلت لرسول الله ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «وآدمُ بين الروح والجسد». المستدرك ٦٦٥/٢ رقم (٤٢٠٩) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. ورواه آخرون.

(٤) هكذا شكلت الكلمة في أ.

على سائرِ الأمم، لأن المورَّثَ[1] يتبرَّعُ بالثلث.

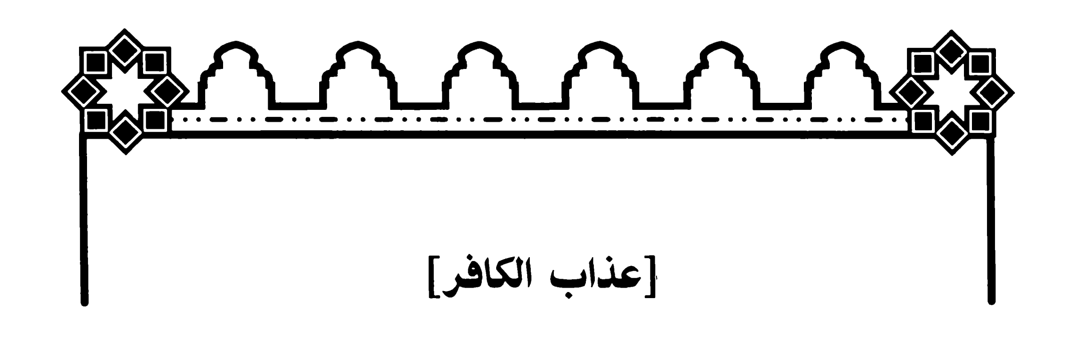
والخبرُ الأوَّلُ رواهُ ابن ماجه[2]. وظاهرهُ أنهم يأخذونَ الثلثينَ زيادةً على ما أعدَّ للنبيِّ ﷺ، فعلى هذا يأخذُ ﷺ هو وأمَّتهُ من الجنَّةِ أكثرَ من الثلثين. جعلنا الله من أمَّته، وألحقنا به بمنِّه وكرمه.



---

(١) في ج: الوريث.

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٨٩) وهو بلفظ الترمذي نفسه.



[عذاب الكافر]

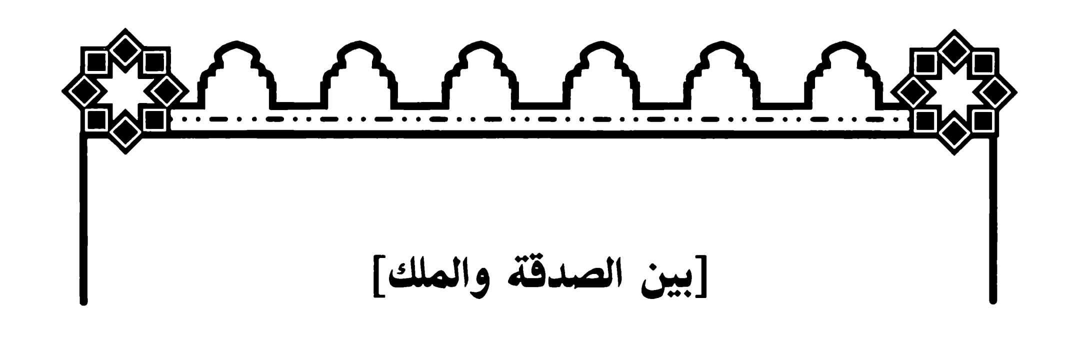
٢٣٧ ـ سؤال: روى الإمامُ أحمد من حديثِ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «يسلَّطُ على الكافرِ في قبرِهِ تسعةٌ وتسعونَ تنِّيناً تنهشهُ، لو نفخَ تنِّينٌ منها على الأرضِ لما بقيتْ خضراء»[(١)].

الجواب: قيل: لأن الكافرَ لمّا كفرَ بأسماءِ الله تعالى، وهي تسعةٌ وتسعونَ اسماً، كما قال ﷺ: «**إن للَّهِ تسعةً وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخلَ الجنَّة**»[(٢)] استحقَّ أن يُسلَّطَ عليه تسعةٌ وتسعونَ تنيناً بعددها.



(١) لفظه عند أحمد «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة، فلو أن تنيناً منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء». المسند (١١٣٠٢) وضعف الأرناؤوط إسناده، وهناك طرق أخرى للحديث يذكر فيها لفظ «تنهشه». ومن رواته ابن حبان في صحيحه (٣١٢١) حيث قوى الأرناؤوط إسناده. وفي الرقم (٣١٢٢) ضعفه. وفي مصادر أخرى ضعف وحسن.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٨١٣١، ٧٦١٢) وصحح الأرناؤوط إسنادهما على شرط الشيخين. وضعف الألباني عدة روايات له ليس من بينها ما رواه الإمام أحمد. ينظر ضعيف الجامع (١٩٤٣ ـ ١٩٤٦).



[بين الصدقة والملك]

٢٣٨ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ لمّا وجدَ تمرةً مُلقاة: «لولا أني أخشى أن تكونَ من الصدقةِ لأكلتها»(١). ولم يقلْ: لولا أخشى أن تكونَ ملكاً للغيرِ لأكلتها.

الجواب: قيل: لأن تحريمَ ملكِ الغيرِ عام، وتحريمَ الصدقةِ عليه خاصّ، والخاصُّ مقدَّمٌ على العام.

ألا ترى أن المُحرمَ إذا وجدَ ميتةً وصيداً فإنه يأكلُ الميتةَ ولا يأكلُ الصيد، لأن تحريمَ الميتةِ عام، وتحريمَ الصيدِ خاصّ، والخاصُّ مقدَّمٌ على العام.

فإنْ قيل: فتركهُ التمرةَ كان واجباً أو مندوباً؟

قلنا: قال الغزاليُّ في الإحياء: كان تركهُ لها ورعاً لا واجباً.

فإنْ قيل: فعلى تقديرِ أن يكونَ من الصدقة، يحلُّ أكلها أم يحرم؟

قلنا: يحلُّ أكلها وإن كانتْ من الصدقة، لأنه إذا أخذها ملكها بالالتقاطِ وخرجتْ عن كونها صدقة.

---

(١) هذا لفظ البيهقي في سننه الكبرى ١٩٥/٦ (١١٨٧٧)، وأصله في الصحيح، منه رواية مسلم بلفظ: «والله إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة أو من الصدقة فألقيها». صحيح مسلم (١٠٧٠).

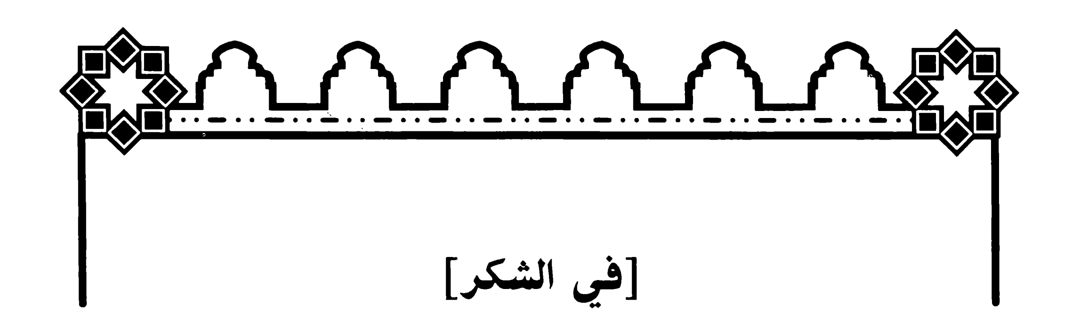
كما أنه ﷺ **أكلَ من اللحمِ الذي تُصُدِّقَ به على بريرة**[1].

وله ﷺ أن يشتريَ الصدقةَ ممن تصدَّقَ عليه بها ويأكلها، فكذلك إذا تملَّكَ بالالتقاطِ يجوزُ له أن يأكل. والله أعلم.



---

(١) أهدت بريرة لعائشة لحماً، فقال رسول الله ﷺ: «لو صنعتم لنا من هذا اللحم». قالت عائشة: تُصدق به على بريرة. فقال: «هو لها صدقة ولنا هدية». صحيح مسلم (١٥٠٤).



[في الشكر]

٢٣٩ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «من لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ الله»[١].

[الجواب]: قال الجاحظ: من كفرَ نعمَ الخلقِ كان لنعم الله تعالى أكفر، لأن الخلقَ يُعطي بعضهم بعضاً بالكلفةِ والمشقَّة وثقلِ العطيةِ على القلوب، والله يُعطي بلا كلفةٍ ولا مشقَّة. ولهذه العلَّةِ يُجمعُ بين الشكرِ له والشركِ لذوي النِّعمِ من خلقهِ. قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] لأنهما مَن ذوي النعمِ وأقربهم إليه.



(١) رواه الترمذي في سننه (١٩٥٥) وقال: حسن صحيح، وصححه له في صحيح الجامع (٦٥٤١).



[الخمسون صلاة]

٢٤٠ ـ سؤال: في الحكمةِ في إيجاب خمسينَ صلاةً على الأمَّةِ ليلةَ الإسراء[(١)]؟

[الجواب]: قال بعضُ العلماءِ المتقدِّمينَ والراسخين: لأن الساعاتِ الزمانيةَ في اليومِ والليلةِ أربعٌ وعشرونَ ساعة، والساعةُ نازلةٌ بمنزلةِ اليوم[(٢)]، والله تعالى أجرى[(٣)] على عبادِهِ الأرزاقَ بكرةً وعشيّاً، فهذه من الله جلَّ جلالهُ حكمةٌ مستمرَّة، يرزقُ عبادَهُ في هذين الطرفين، ويقتضي منهم فيهما أعمالاً، ويُجازيهم فيها أيضاً بأعمالهم في البرزخ، كما قال تعالى في حقِّ فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [غافر: ٤٦].

وورَدَ في حقِّ المؤمنِ أنه يُعرضُ عليه في البرزخ أيضاً مقعدهُ بالغداةِ والعشيّ، ويُجازيهم أيضاً في الجنَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ٦٢]. وهذا مستمرٌّ في الساعاتِ الزمانيَّةِ إلى أربعٍ وعشرينَ ساعة. فعلى سبيلِ هذه الحكمةِ كانت تكونُ صلاتان لكل ساعة، أولها وآخرها، ويتمُّ وترها صلاةُ وترِ[(٤)] الليلِ ركعة، ووترُ صلاةِ النهارِ ركعة، فهي خمسونَ صلاةً في كلِّ يومٍ وليلة.

---

(١) فيه قوله ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى...» إلخ. صحيح البخاري ١/١٣٥ (٣٤٢).

(٢) في أ: والساعات نازلة بمنزلة اليومين، وفي ب: والساعة بمنزلة اليوم.

(٣) في أ: بسط.

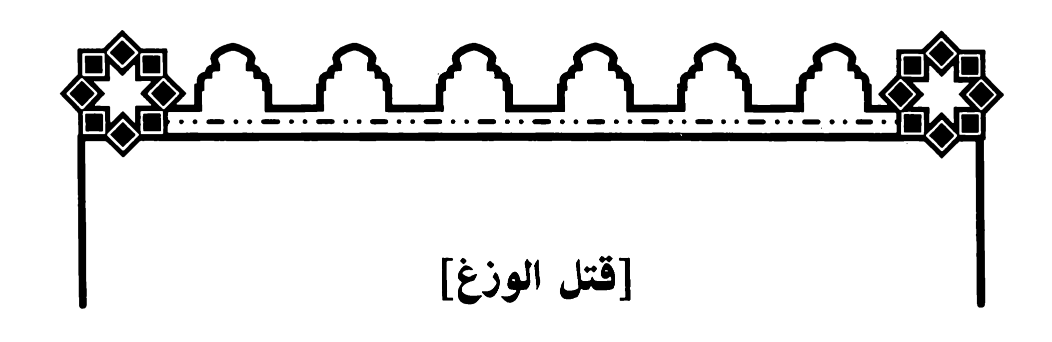
(٤) في أ: ووتر.

قلت: وبهذا تظهرُ الحكمةُ في أنَّ مقدارَ يومِ القيامةِ على الكافرِ[1] خمسونَ ألفَ سنة، لأنه لما منعَ الخمسينَ صلاةً عُوقبَ بكلِّ صلاةٍ ألفَ سنة، ولمّا أتىٰ بها المؤمنُ كان يومَ القيامةِ عليه[2] قدرَ صلاةٍ مكتوبة.



(١) «على الكافر» لم ترد في أ.

(٢) في أ: على.



[قتل الوزغ]

٢٤١ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ لعائشةَ حين رأى معها عصاً تقتلُ بها الوزغ: «إن تفعلي فإنه كان ينفخُ النارَ على إبراهيم»[(١)].

وجهُ السؤال: أن نارَ إبراهيمَ كانتْ عظيمةً لا يقدرُ أحدٌ على الدنوِّ منها، وإذا كان كذلك فنفخُ الوزغِ لا يصلُ إلى النارِ أصلاً، فكيف استحقَّ القتلَ بذلك، وإبراهيمُ لم يتأذَّ بسببهِ، ونفخهُ لم يصلْ إلى النار؟

[**الجواب**]: قيل في نفخاته[(٢)]: إنه بهذه الفعلةِ أظهرَ العداوة، وقال بلسانِ حاله: يا أيها الناس، اعلموا أني عدوٌّ وأستحقُّ بسببهِ القتل؛ لإقرارهِ على نفسهِ بالعداوة.

ونظيرُ ذلك قولهُ سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) ورد بألفاظ عديدة لم أقف من بينها على هذا اللفظ. من ذلك في الصحيح عن أم شريك رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام. صحيح البخاري (٣١٨٠). وفي مصادر أخرى عن سائبة مولاة لفاكه بن المغيرة أنها دخلت على عائشة فرأت في بيتها رمحاً موضوعة فقالت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا؟ قالت: نقتل به الأوزاغ، فإن نبي الله إبراهيم لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار عنه غير الوزغ، فإنه كان ينفخ عليه، فأمر رسول الله ﷺ بقتله. صحيح ابن حبان (٥٦٣١) وصحح الأرناؤوط إسناده على شرط مسلم.

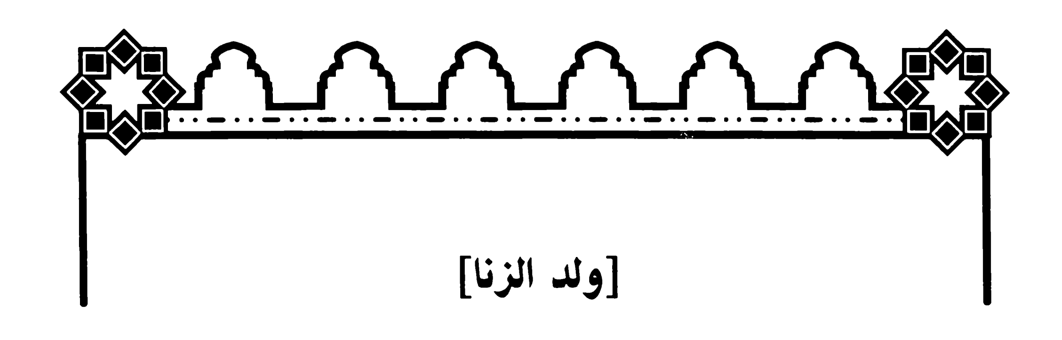
(٢) في ب: قيل في جوابه.

شبَّهَ الله تعالى ما يرومونهُ من إبطالِ دينِ الله تعالى وطفءِ[1] حُججه، كمن قامَ في الشمسِ ونفخَ فيها بفمهِ يريدُ أَن يُطفئها كما يُطفئُ المصباحَ بفمه. ومن المعلوم أن نفخَهُ لا يصلُ إلى الشمس، إلا أن فاعلَ ذلك ينادي على نفسهِ بإظهارِ العداوة.

وكثيراً ما يُشاهَدُ الكلبُ الصغيرُ الأجربُ الذي لا قوَّةَ له إذا رأى السبعَ هربَ وانزوى في مكانٍ وصارَ ينبحُ على السبع، كأنه يقول: اعلمْ يا سبعُ أنكَ عدوِّي وأنا عدوُّك.



(١) في ب: ظهر.



[ولد الزنا]

٢٤٢ ـ سؤال: في قولهِ ﷺ: «ولدُ الزنا شرُّ الثلاثة»[١].
كيف سمّاهُ شرَّ الثلاثة وهو لم يذنب؟

الجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه لمّا خُلِقَ من ماءينِ محرَّمينِ كان شرّاً من أبويه، لأنهما لم يُخْلَقا من ماءٍ محرَّم. والمرادُ الشرُّ اللَّدُنّي، لا أنه الذي فيه إثم.

والثاني: روى الإمامُ أحمدُ في مسنده عن عائشةَ رضيَ الله عنها، أنه ﷺ قال: **«ولدُ الزنا شرُّ الثلاثةِ إذا عملَ بعملِ أبويه»**[٢].

وعلى هذا يزولُ الإشكال. وإنما كان شرَّهما لأنه فعلَ الخبيث، وأصله خبيث.

قالتْ عائشةُ رضيَ الله عنها: **لما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة، قدمها وهي أوبأ أرضِ الله من الحمَّى، فأصابَ أصحابَهُ منها بلاءٌ وسقم، وصرفَ الله ذلك عن نبيِّهِ ﷺ.**

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٤٩٣٠، ١٩٧٧٤) وآخرون، وصححه له ولغيره في صحيح الجامع رقم (٧١٢٠).

(٢) لفظه فيه: «هو أشر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه» يَعني ولد الزنا. المسند (٢٤٨٢٨) قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.
كما ضعفه الألباني بلفظ المتن للطبراني والبيهقي من رواية ابن عباس، في ضعيف الجامع (٦١٢٩).

قالت: فكان أبو بكرٍ وعامرُ بنُ فهيرةَ وبلالٌ مولَيا أبي بكرٍ مع أبي بكرٍ في بيتٍ واحد، فأصابتهم الحمَّى. قالت: فدخلتُ عليهم أعودهم، وذلك قبل أن ينزلَ الحجاب، وبهم ما لا يعلمهُ إلا الله تعالى من شدَّةِ الوعك. فدنوتُ من أبي بكر، فقلتُ له: كيف تجدُكَ يا أبت؟ فقال:

كلُّ امرئٍ مصبَّحٌ في أهلهِ والموتُ أدنى من شراكِ نعلهِ

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. إلى آخره.

قالت عائشة: فذكرتُ ذلك للنبيِّ ﷺ ما سمعتُ منهم، فقلت: إنهم ليهذونَ وما يعقلون.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكةَ أو أشدّ، وباركْ لنا في صاعها ومُدِّها، وانقلْ حُمّاها إلى مهيعة**»[1]. وهي الجحفة، كما صُرِّحَ به في روايةٍ أخرى[2].

فقوله: «**وباركْ لنا في صاعها ومُدِّها**» يعني الطعامَ الذي يُكالُ بالصاعِ والمدّ، ولذلك قيل في حديثٍ آخر: «**كيلوا طعامكم يباركْ لكم فيه**»[3].

وشكا إليه قومٌ طعامهم فقال: «**أتهيلونَ أم تكيلون**»؟ فقالوا: بل نهيل. فقال: «**كيلوا ولا تهيلوا**»[4].

ومن رواهُ «**قوِّتوا طعامكم يباركْ لكم فيه**»[5] فمعناهُ عندهم تصغيرُ الأرغفة.

---

(١) ورد في مصادر حديثية عديدة، بألفاظ متقاربة، منها مسند الإمام أحمد ٢٢١/٦ رقم (٢٥٨٩٨) قال الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) هو عند البخاري ٦٦٧/٢ رقم (١٧٩٠) و ١٤٢٨/٣ رقم (٣٧١١).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٣١)، وصححه في صحيح الجامع (٤٦٠٠) ولفظه في الصحيح: «كيلوا طعامكم يبارك لكم». صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل (٢١٢٨).

(٤) ذكره ابن الأثير: «أن قوماً شكوا إليه سرعة فناء طعامهم فقال: أتكيلون أم تهيلون...». النهاية في غريب الحديث ٢٨٧/٥.

(٥) «قوتوا طعامكم يبارك الله فيه». في مسند الشاميين رقم (١٤٧٢). وقال الحافظ العجلوني: رواه الطبراني عن أبي الدرداء بسند ضعيف. كشف الخفاء ١٠٣/٢. وقال في موضع آخر: رواه البزار عن أبي الدرداء وسنده ضعيف ١٣٦/٢.

وهكذا رواه البزّارُ من طريقِ أبي الدرداء، وفسَّرَهُ بما قلناه.

ولا يعارضُ هذا الحديثُ ما ثبتَ في الصحيحينِ من حديثِ عائشة رضيَ الله عنها قالت: «**توفي رسولُ الله ﷺ وليس عندهُ شيءٌ يأكلهُ ذو كبدٍ إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طالَ عليّ، فكِلْتُهُ ففني**». أخرجاه، واللفظ لهما[(١)].

وللترمذيِّ وصحَّحهُ ولفظهُ عنها قالت: **توفي رسولُ الله ﷺ وعندنا شطرٌ من شعير، فأكلنا منه ما شاءَ الله، ثم قلتُ للجارية: كِليه، فكالته، فلم يلبثْ أن فني. قالت: لو تركناهُ لأكلنا منه أكثرَ من ذلك**[(٢)].

والرفُّ: خشبٌ يُرفعُ على الأرضِ في البيت، يؤتىٰ عليه ما يُرفع. قالهُ الحربي[(٣)].

وقال غيره: هو الغرفة.

والرفرفُ المذكورُ في القرآنِ[(٤)] قيل: رياضُ الجنَّة، وقيل: المرافق، وقيل: النمارقُ والطنافس، وقيل: ثوبٌ عريض.

وأما حديثُ عائشةَ ففيه من الفقه: أن البركةَ أكثرَ ما توجدُ وتكونُ في المجهولاتِ والمبهمات، دون ما حُصِرَ بالعدِّ أو الكيلِ أو الوزنِ أو الذَّرْعِ ليُعرفَ قدره، ولأنه أحصىٰ فيُحصىٰ عليه.

وأما الحديثُ الآخرُ الذي رواهُ البخاريُّ والترمذيُّ وابنُ حبّان البُستي في صحيحهم «**كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه**» فقال: المرادُ كيلُ ما يخرجُ للنفقةِ والعلفِ ولتدبيرِ المعيشةِ واعتباره، بشرطِ أن يبقى الباقي مجهولاً،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر ١٧٩/٧، صحيح مسلم، كتاب الزهد (٢٩٧٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، الباب (٣١) رقم (٢٤٦٧).

(٣) أبو يعقوب إسحاق بن الحسن الحربي، سمع أبا نعيم والقعنبي وطبقتهما، وكان ثقة صاحب حديث. ت٢٨٤هـ. العبر ٤٠٩/١.

(٤) قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٦].

لقولهِ: «كيلوا طعامكم» يعني المُخرجَ لتدبيرِ المعيشة، ولوظيفةِ اليومِ أو الجمعةِ أو الشهر، أو لعلفِ الدواب، ففي كيلِ ما يُخْرَجُ البركةُ في الباقي.

وحسنُ النظرِ والإخراجُ عن الحَزْرِ والجُزافِ سببٌ للتدبير[١]، وإخراجُ أكثرِ الحاجةِ ليس من تدبيرِ المعيشةِ التي هي أحدُ اليسارين.

فمن أخرجَ من المخزنِ غلَّةً لأولادهِ أو دوابِّهِ بلا كيلٍ وكالَ الباقي، أو من كيسهِ[٢] بلا وزنٍ ووزنَ الباقي؛ ذهبتْ بركةُ كيسهِ وبركةُ مخزنه، ولا يشبعون.

ومن كالَ القدرَ المخرجَ للنفقةِ والقوتِ وتركَ الباقي مجهولاً بُورك في طعامهِ وكيسهِ بأيِّ مكيالٍ كال[٣].

لكنْ بمدِّ النبيِّ ﷺ وبصاعهِ أبركُ[٤] وأدومُ للبركة، لقولهِ عليه الصلاةُ والسلام: «**وباركْ لنا في مُدِّنا وصاعنا، واجعلْ مع البركةِ بركتين**» كما رواهُ الإمامُ أحمد[٥].

ففي حديثِ عائشةَ دلالةٌ على أن البركاتِ إذا لم تحصلْ بكيل، أو وزن، أو ذرع، أو عدّ، أو إيكاء[٦]، أو صرّ، أو يُتعجَّبُ منها، أو يُحكىٰ أو يُشْهَقُ عندها أنها تدومُ ولا تفنى، وتتيسَّرُ ولا تتعسَّر. فلولا كيلُ عائشةَ وكيلُ جاريتها الشعيرَ الذي في الرفّ، لأكلوا منه أكثرَ من ذلك.

ولولا تحويطُ هاجرَ وتحريسها[٧] على زمزمَ حين أنبعها جبريلُ وعند نزولِ جرهم بها، لكانت زمزمُ عيناً معيناً.

---

(١) في أ: عن الجور والجزاف سبب للتبذير! وورد في ج «الحرز» بدل «الحزر». وحزر الشيء: قدَّره بالتخمين.

(٢) في أ، ج: «كسبه» هنا وفيما يأتي.

(٣) في أ: كان.

(٤) في ب: أبرك وأترك.

(٥) في الأصل «صاعها ومدها» والتصحيح من مصدره: مسند أحمد **٣/٩١ (١١٨٨٥)** رواه بإسنادين، وصححهما الأرناؤوط على شرط مسلم.

(٦) الإيكاء: الربط.

(٧) في أ: وتحريصها، وفي ج: وتحريضها.

ولولا ادِّخارُ بني إسرائيلَ من المائدةِ لم يخثرِ اللحم، أي لم يتغيَّر.

وفي الصحيحين عن أسماءَ بنتِ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«لا تُوكي فيُوكىٰ عليك»**[١].

وفي رواية: **«أنفقي أو انفحي أو انضحي ولا تُحصي فيُحصي عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»**[٢].

وانفحي بالحاء المهملة، وكذلك انضحي، وهما بمعنى أنفقي.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلا ومَلَكانِ ينزلان، فيقولُ أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقولُ الآخر: اللهمَّ أعطِ ممسكاً تلفاً»**[٣].

وروى البيهقيُ في «شعب الإيمانِ» بسندهِ إلى ابنِ سيرين، عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: أصابَ رجلاً حاجة، فخرجَ إلى البريَّة، فقالتِ امرأته: اللهم ارزقنا ما نعجنُ ونخبز. قال: فجاءَ الرجلُ والجفنةُ ملأى عجيناً، وفي التنُّور حبوبٌ وشواء[٤]، والرحا تطحن، فقال: من أين هذا، قالت: من رزقِ الله عزَّ وجلَّ. فكنسَ ما حول الرحا، فقال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة ٢/١١٨. ولم أره في مسلم.
أي: لا تمنعي فيمنعك الله. والوكاء: هو الحبل الذي يشدُّ به رأس القربة.

(٢) أورده بلفظ مقارب، لفظه في الصحيح: «انفحي أو انضحي أو أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك». صحيح مسلم (١٠٢٩). وورد في الأصل واو العطف بدل «أو».
ومعنى «لا توعي» أي: لا تمسكي. و«لا تحصي»: الإحصار مجاز عن التضييق، لأن العد مستلزم له.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ ٢/١٢٠، صحيح مسلم (١٠١٠).

(٤) في أ: حبوب الشوي، وفي ب: جنوب السوى، وفي جـ: جنوب الشوى، وفي الشعب جنوب وشواء.

رسولُ الله ﷺ: «**لو تركها لدارتْ**» أو قال: «**لطحنتْ إلى يومِ القيامة**»[(١)].

ورأى بعضهم في بيتهِ خابيةَ[(٢)] زيتٍ أو جرَّةَ تفور، فملأ منها أوعية، ثم خرجَ يحكي لبعضِ أهله، فغارتْ وغاضت، ولو تركها وسكتَ لغرفَ منها زماناً أو ما شاءَ الله.

وبنى بعضُ الصالحينَ بيدهِ مسجداً، وبنى بيتاً إلى جنبه لمن يخدمُ المسجد، فكان يجدُ كلَّ ليلةٍ إذا أصبحَ في كوَّةٍ في المسجدِ قطناً مندوفاً، فذكرَ ذلك لأمِّه، فانقطعَ بعد أن كان قد جمعَ منه جملة.

قال الإمامُ في تفسيره: سألتُ عمرةَ[(٣)] الدعابية، وكانت من كبارِ العارفات: ما الحكمةُ في أن الجُنبَ والحائضَ منهيانِ عن قراءةِ القرآنِ دون التسمية؟ فقالت: إن التسميةَ اسمُ الحبيب، والحبيبُ لا يمنعُ من ذكرِ الحبيب.

قال الإمام: ولمّا كانت «براءة» مشتملةً على الأمرِ بالقتال، لم يُكتبْ في أولها «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، وإنما السنَّةُ في القتالِ أن يُقال: «**بسم الله والله أكبر**»[(٤)]، ولا يُقال[(٥)]: «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، لأنه وقتَ القتالِ، والقتلُ لا يليقُ به ذكرُ الرحمٰنِ الرحيم.

ولذلك ذكرَ الأصحابُ أن السنَّةَ عند الذبحِ[(٦)] أن يقول: **بسم الله والله أكبر**[(٧)]، ولا يقول: الرحمٰن الرحيم.

---

(١) شعب الإيمان (١٣٣٩)، وذكر في الرقم التالي أنه أورده في دلائل النبوة أيضاً.

(٢) الخابية: الوعاء.

(٣) في ب: عمة.

(٤) عن أنس بن مالك قال: كنت رديف أبي طلحة وقد اشتدَّ القتال، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر، فتحت خيبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». المعجم الأوسط للطبراني (٢٦٢١).

(٥) من آخر البسملة حتى هنا سقط من ج.

(٦) في أ: القتل.

(٧) قاله الرسول ﷺ عندما ذبح كبشين أقرنين أملحين. سنن أبي داود (٢٧٩٥)، وضعفه الألباني، كما ورد في المستدرك أنه ﷺ ضحى بكبشين فذبحه هو بنفسه وقال: بسم الله والله أكبر... المستدرك ٤/٢٥٤ (٧٥٥٣).

وعلى قياسِ ما ذكروهُ في التسميةِ عند رمي السهمِ إلى الصيد، ويشهدُ له قولهُ ﷺ: «**إذا رميتَ بسهمكَ وذكرتَ اسمَ الله تعالىَ فكُلْ**»[1].

وكذلك التسميةُ عند الصيدِ بالشبكة، وإقامةِ الحدود، وقطعِ يدِ السارق، وتأديبِ الصبي، وقطعِ اليدِ المتآكلة؛ مما لا يناسبهُ اسمُ الرحمةَ.

وكذلك عند قتلِ ما أُمِرَ بقتله، كالفواسقِ الخمسة، ودفعِ الصائل[2]، وشبهِ ذلك.

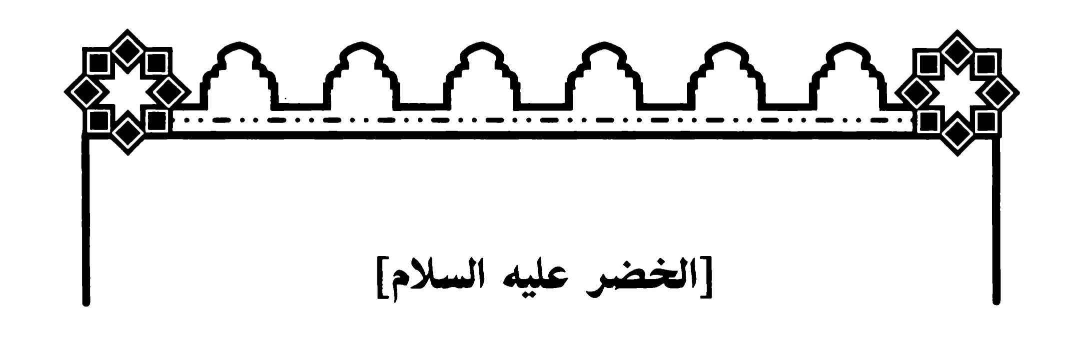
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] واسمُ الرحمٰنِ الرحيم فلا يحدثُ ذكرهما في قلبِ مستوفي الحدّ. والله أعلم.



---

(١) هكذا أورد المؤلف لفظه، ولم أجده به، ومعظم الروايات تقترب من لفظ الصحيح: «إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله، فإن وجدته قد قتل فكل». صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح (٦/١٩٢٩).

(٢) «ودفع الصائل» لم يرد في ج.



[الخضر عليه السلام]

٢٤٣ ـ سؤال: الخَضِرُ عليه السلامُ حيٌّ أم ميِّت؟

الجواب: سُئلَ إبراهيمُ الحربيُّ عن تعميرِ الخضرِ وأنه باقٍ يروي ويُروى عنه، فقال: من أحالَ على غائبٍ لا ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناسِ إلا الشيطان.

وسُئلَ البخاريُّ عن ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال ﷺ: «**أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأسِ مائةِ سنةٍ منها لا يبقى ممن هو على ظهرِ الأرضِ أحد**»(١).

الخضرُ والياس هل هما في الأحياء(٢) فقال: كيف يكون كذلك وقد قال ﷺ: «**لا يبقى على رأسِ مائةٍ ممن هو اليوم على وجه الأرض أحد**»(٣).

وفي رواية: «**على رأسِ المائةِ ممن هو على وجهِ الأرضِ نفسٌ تنطق**»(٤).

---

(١) أورده المؤلف ناقصاً مع اختلاف النسخ، وقد أثبت نصه من صحيح مسلم (٢٥٣٧).

(٢) هكذا وردت العبارة ناقصة، ولم يرد اسما الخضر وإلياس في ب، ج.

(٣) أورده هكذا بلفظ مقارب، وينظر الحديث السابق وتخريجه.

(٤) لعله أورده بمعناه، ويعني به حديث: «ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة». صحيح مسلم (٢٥٣٨).

وقال ابن الجوزي في «التبصرة»: وقال أبو علي في «المصابيح»: قال محمد بن عبد الوهاب: لا يجوزُ أن يكونَ الخضرُ باقياً، لأنه لا نبيَّ بعد نبيِّناً.

قال أبو علي: وهذا لا يُعتبرُ به، لأنه لم يكنْ نبيّاً بعد نبيِّنا، بل قبله، ثم أُحييَ حيث يريدُ الله من غيرِ تأديةِ رسالة، فهو في ذلك كالمسيح، عليهما السلام.

وفي الترمذي: قد يُدعى أنه إنما سُمِّي خضراً لأنه جلسَ على فروةٍ من الأرض، فاهتزَّتْ تحته خضراء[1].

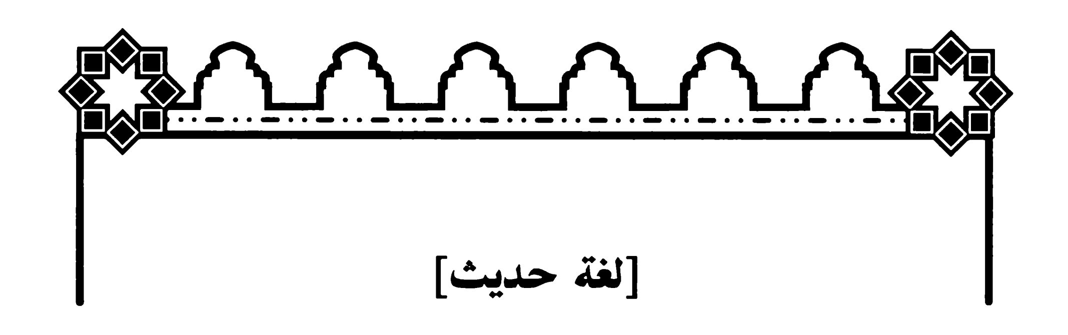
والفروة: القطعةُ من الأرض، وليستْ بفروةِ الخروف.

وقال أبو علي في «المصابيح»: واليهودُ تقول: إن الخضرَ هو فنحاص بن هارون، وذلك غيرُ صحيح، لأنه لا يليقُ بالخبر، ولا وجدناهم أيضاً على ثقةٍ من تسميتهم بالخضر. ويجوزُ أن يكون لله عباد، كلٌّ منهم يسمَّى الخضر. هذا كلامُ أبي علي.

وذكرَ ابنُ زولاق في تاريخ مصر: هو ابنُ فرعونَ لصلبه، آمنَ بموسى. والله أعلم.



(١) سنن الترمذي (٣١٥١). وهو في البخاري أيضاً (٣٢٢١).



[لغة حديث]

٢٤٤ ـ سؤال: في الصحيحين أنه ﷺ كان إذا استيقظَ من الليلِ قال: «اللهمَّ لكَ الحمدُ أنت فاطرُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحق، وقولُكَ الحق، ووعدُكَ الحق، ولقاؤكَ الحق، والجنَّةُ حق، والنارُ حق، والساعةُ حق، والنبيونَ حق»[1].

إن قيل: لَمَ ذكَّرَ الأربعةَ الأخيرة، وعرَّفَ الأربعةَ الأُوَل؟

الجواب: من وجهين:

أحدهما: أن «الحقَّ» الأوَّلَ اسمُ الله تعالى، والثاني صفةٌ له، لأن القولَ كلامه، وكلامهُ صفةٌ له، والوعدُ نوعٌ من الحقوق، فهو صفةٌ أيضاً. والأربعة[2] فَعلاتُ اللّهِ تعالى، لأنه الذي يُحييهم ويُميتهم ويجمعهم.

---

(١) هكذا، ولم أجده بهذا اللفظ في الصحيحين، وهو في البخاري بالأرقام (١١٢٠، ٧٣٨٥، ٧٤٩٩)، وفي مسلم (٧٦٩). ولفظه في الرقم الثاني من الأول: «اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض، لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخّرت وأسررت وأعلنت أنت إلهي لا إله لي غيرك».

(٢) في ب، جـ: والثالثة.

فالحقُّ لله تعالى ولصفاتهِ ثابتٌ بطريقِ البداءةِ والأصالة.

وأما الأربعةُ الأخيرةُ فإنها مخلوقة، وحقيقتها ثابتةٌ بغيرها، وهو خلقُ الله لها وإخبارهُ عن ثبوتها، فلذلك نُكِّرت، لأن غيرها أيضاً حق.

والمعنى أن الله تعالى هو المعروفُ بالحقيقة، وحقيقةُ غيرهِ عُرفتْ به.

الثاني: أن الألفَ واللامَ إذا دخلتْ على الخبرِ أفادتِ الحصر، كقولهِ ﷺ: «**تحريمها التكبير**»[١] أي: لا غيره.

وكقولهم: أنتَ العالمُ لا غيرك.

فقولهُ ﷺ: «**أنت الحق**» لا غيرك، على المماثلة.

وهو نظيرُ قولهِ ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل**»[٢].

قيل: المرادُ: هالك. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقيل: المرادُ ما سوى الله تعالى فالاشتغالُ به هالك، لأن من طلبَ بعبادتهِ غيرَ الله عزَّ وجلَّ فعملهُ مضمحلٌّ وباطل. قال الشاعر:

لئن كان هذا الدمعُ يجري صبابة　　على غيرِ ليلى فهو دمعٌ مضيَّع[٣]

قال ابنُ المبارك: الناسُ في عبادتهم أصناف: عبادةُ العبيد، وعبادةُ الأحرار، وعبادةُ التجّار[٤].

ولو قيل: والجنَّةُ حق، لم يستقم، لأن الحصرَ بالمبالغة ليس منحصراً فيها.

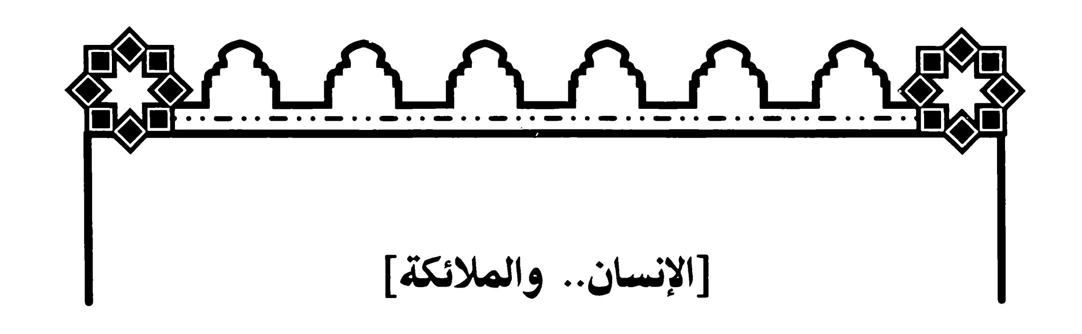
---

(١) قوله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير». سنن الترمذي، أبواب الطهارة، ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور (٣) وقال: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الشعر (٢٢٥٦)، صحيح البخاري (٦٤٨٩) واللفظ للأول.

(٣) الضوء اللامع ٣٢/٨.

(٤) وقفت على معناه من قول الإمام زين العابدين رحمه الله، كما في صفة الصفوة ٩٥/٢. وأروده دون نسبة الإمام ابن القيم في عدة الصابرين ٥٢/١.



[الإنسان.. والملائكة]

٢٤٥ ـ سؤال: قولهُ تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]؟

الجواب: قيل: أرادَ: عن اليمينِ قعيد، وعن الشمالِ قعيد. حذفَ الأوَّلَ لدلالةِ الثاني، كقولهم: قطعَ الله يدَ ورجلَ من قالها.

وقعيد بمعنى قاعد.

وقيل: المرادُ قعيدان، واستغنى بقعيد عنهما، لأن «فعيل» يستوي فيه الدلالةُ على الواحدِ والاثنينِ والجماعة، كما قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦].

واختُلفَ في عددِ الملائكةِ التي على كلِّ إنسان:

فقيل: عشرون ملكاً. نقلَهُ الفاكهاني في شرح الرسالةِ[1] عن المهدوي.

وروي أن عثمانَ بن عفانَ سألَ النبيَّ ﷺ: كم ملكاً على الإنسان؟ فذكرَ عشرين ملكاً، قال: **«مَلَكٌ عن يمينِكَ على حسناتك، وهو أمينٌ على الذي على يسارك، فإذا عملتَ حسنةً كُتبتْ عشراً، وإذا عملتَ سيِّئة قال الذي على الشمالِ للذي على اليمين: أكتب؟ فقال: لا، لعله يستغفرُ أو**

---

(١) العالم النحوي عمر بن علي الفاكهاني. ت٧٣٤هـ. له شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني سماه «التحرير والتحبير».

يتوب، فإذا لم يتبْ قال: نعم اكتب، أراحنا الله منه، فبئسَ القرين، ما أقلَّ مراقبتَهُ للهِ وأقلَّ استحياءه، لقولِ الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

ومَلَكانِ بين يديكَ ومن خلفكَ، لقولِ الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

ومَلَكٌ قابضٌ بناصيتك، فإذا تواضعتَ لله عزَّ وجلَّ رفعك، وإذا تجبَّرْتَ على الله عزَّ وجلَّ قصمك(١).

ومَلَكانِ على شفتيك، ليس يحفظانِ عليكَ إلا الصلاةَ على النبيِّ ﷺ.

ومَلَكٌ قائمٌ على فيك، لا يَدَعُ الحيَّةَ أن تدخلُ فيك.

وملكانِ على عينيك.

فهؤلاءِ عشرةُ أملاكٍ على كلِّ آدمي، فتنزلُ ملائكةُ الليلِ على ملائكةِ النهار، فهؤلاءِ وهؤلاءِ عشرونَ ملكاً على كلِّ آدمي.

وإبليسُ بالنهارِ وولدهُ بالليل»(٢).

قال الفاكهاني: إن قلت: الملائكةُ التي ترفعُ عملَ العبدِ في اليومِ هم الذين يأتونَ غداً أم غيرهم؟

قلت: الظاهرُ أنهم هم، وأن ملكي الإنسانِ لا يتغيَّرانِ عليه ما دامَ حيّاً، ويوضِّحهُ قولُ الملكينِ في الحديثِ المذكور: «أراحنا الله منه فبئسَ القرين». والقرين: المصاحب، كما قالَهُ ابن السكيت(٣).

---

(١) في ب، ج ورد بصيغة الماضي: بناصيته... تواضع... رفعه...

(٢) أورده في التذكرة في الأحاديث المشتهرة ١/٢٢٣ وأنه رواه الطبراني في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾.
وآخره في أ: على كل آدمي يحفظونه ويحفظون أقواله وأفعاله، ويأتي إبليس إليه بالنهار، وولده بالليل.

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت، إمام في اللغة والأدب، من ندماء المتوكل العباسي، ثم قتله. ت٢٤٤هـ. الأعلام ٨/١٩٥.

وهذا الدعاءُ إنما يكونُ عند طولِ الصحبة، وإلا فصحبةُ اليومِ والساعةِ لا يُسألُ الراحةُ منها. انتهى.

وقولهُ تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه **أوجهٌ** حسنة:

الأول: أنَّ مِنْ معنى الباء على معنى يحفظونَهُ بأمرِ الله.

والثاني: أن المرادَ يحفظونَهُ من أمرِ اللّهِ بأمرِ الله[1]، على معنى يحفظونَهُ من قضاءِ الله بقضاءِ الله، وهو أمرهُ لهما بالحفظ. وهذا كما قال عمرُ رضي الله عنه: نفرُّ من قدرِ الله إلى قدرِ الله[2].

والثالث: أن الوقفَ على قولهِ تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يتعلَّقُ بمحذوف، تقدير[3] ذلك: الحفظُ من أمرِ الله، أي من قضائه. قال الشاعرُ[4]:

أمامَ وخلفَ المرءِ من لطفِ ربِّه   كوالئُ تنفي عنه ما هو يحذرُ

الكوالئ: الحوافظ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وقولُ المَلك: «أراحنا الله منه» هو دعاءٌ لأنفسهما[5] بالتحويلِ عن مشاهدةِ المعصية، لأنهم يتأذَّونَ بذلك.

ويحتملُ أن يكونَ هذا في حقِّ الكافرِ الذي لا يتوبُ ولا يستغفر، فإن المؤمنَ عادتهُ وغالبُ أمرِهِ الاستغفار، لا سيما عند وقوعِ المعصية.

ويحتملُ تعميمُ ذلك في سائرِ العصاةِ من الموحِّدينَ والكافرين، ويكونُ دعاءً عليه بالموت، وهو جائز.

قال الكرابيسي ـ صاحبُ الشافعي ـ في كتاب «أدب القضاء»: لو دعا

---

(١) «بأمر الله» لم يرد في ج.

(٢) ورد في صحيح البخاري، باب ما يذكر في الطاعون (٥٣٩٧).

(٣) في ب، ج: التقدير.

(٤) في ب: قال الشاعر في معنى الآية.

(٥) في أ، ج: لنفسهما.

على غيرِهِ بالموتِ لم يعزَّر، لأنه دعا له بالخلاصِ من غمِّ الدنيا.

قال: وقد قال أبو الدرداء: وقد قيل: ما تحبُّ لمن تحبُّ؟ قال: أحبُّ أن يموت. قال: فإن لم يمت؟ قال: يقلَّ مالهُ وولده[1].

ونقلَ الواقدي عن ابن مسعود أنه قال: والله ما من أحدٍ إلا والموتُ خيرٌ له، لأنه إن كان مؤمناً فالله تعالى قال: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] وإن كان كافراً فالله يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨][2].

واختلفوا في موضعِ جلوسِ الملكينِ من الإنسان:

فقال الضحاك: مجلسهما تحت الشعرِ على الحنك.

قال البغوي[3]: ومثلهُ عن الحسن. وكان يُعجبهُ أن ينظِّفَ عَنْفَقَته[4].

وروى أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» أنه ﷺ قال: «**نقُّوا أفواهكم بالخِلالِ[5] فإنها مجلسُ[6] الملكينِ الكريمينِ الحافظين، وإن مدادهما الرِّيقُ وقلمهما اللسان، وليس عليهما شيءٌ أضرَّ من بقايا الطعامِ بين الأسنان**»[7].

قال أبو طالبٍ المكيُّ في تفسيره: يُروىٰ أن الملكَ على نابِ الإنسانِ الذي يأكلُ به، وقلمُ الملكِ لسانُ الإنسان، ومدادهُ ريقُ الإنسان.

---

(١) الزهد للإمام أحمد بن حنبل ٢/٦٠.

(٢) قد ورد هذا عن ابن مسعود وغيره. ينظر الدر المنثور ٢/١٨٣.
وآخره في أ: لأنه إن كان مؤمناً فهو يحب لقاء الله، ومن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، وإن كان فاسقاً فهو في إثم وحرص على الحياة والدنيا موسع عليه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾.

(٣) في أ: كما قاله البغوي.

(٤) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٥) الخلال: العود الذي يتخلَّل به.

(٦) في مصدره: مسكن.

(٧) أورده بلفظ مقارب. ذكر أخبار أصبهان ١/١٨٣ ـ ١٨٤. وورد في المعجم الكبير للطبراني ٤/١٧٧ جمل مقاربة لما في الحديث، لكن في إسناده الرقاشي وهو ضعيف، كما قاله في مجمع الزوائد ١/٢٤٠.

قال: وهذا تمثيلٌ في القُرب، والله أعلمُ بكيفيَّةِ ذلك.

وأما الذي تكتبُ فيه الحَفَظةُ فدواوينُ من رَقّ، كما قال تعالى: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾ [الطور: ٢ ـ ٣] على أحدِ الأقوالِ فيه.

وقال تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء: ١٣].

قال البغوي: وفي الآثار أن الله تعالى يأمرُ الملكَ بطيِّ الصحيفةِ إذا تمَّ عمرُ المرء، فلا تُنشرُ إلى يومِ القيامة.

والظاهرُ أن هذه الكتابةَ التي تكتبها الملائكةُ ليستْ بهذه الأحرف. ويدلُّ عليه أن الغزاليَّ ذكرَ عن اللوحِ المحفوظِ أن المكتوبَ فيه ليس حروفاً[(١)].

قال: وإنما ثبوتُ المعلوماتِ فيه كثبوتها في الفعل[(٢)]. والله أعلم.

واختلفوا فيما تكتبهُ الملائكةُ على ابنِ آدم:

فنقلَ البغويُّ عن مجاهد[(٣)]، وأبو طالب عن الحسنِ وقتادة[(٤)]، أنهما يكتبانِ كلَّ شيء، حتى أنينهُ في مرضه. وأيَّدَ هذا القولَ بقولهِ تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرعد: ٣٩][(٥)].

قيلَ في التفسير: إن الملائكةَ إذا صعدتْ بعملِ العبدِ محا الله عنه

---

(١) في أ: أن المكتوب عليه ليس هو حروف.

(٢) في أ: العقل.

(٣) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج. قال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير. ت١٠٣هـ. العبر ١/٩٤.

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري. مفسّر حافظ ضرير أكمه. مات بواسط في الطاعون سنة ١١هـ. الأعلام ٥/١٨٩.

(٥) ينظر الدر المنثور ٦/١٢٠.

المباحات[1]، وأثبتَ منه الحسناتِ والسيِّئات؛ لما روتْ أمُّ حبيبةَ أن النبيَّ ﷺ قال: «**كلُّ كلامِ ابنِ آدمَ عليه لا له، إلا أمرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن منكر، أو ذكرُ الله**»[2].

قال أبو طالبٍ وابنُ عطيَّةَ وغيرهم: ورُويَ أن رجلاً قال لبعيره: حَلْ[3] فقال صاحبُ الحسنات: ما هي بحسنةٍ فاكتبها، وقال صاحبُ السيِّئات: ما هي بسيِّئةٍ فاكتبها. فأوحىٰ الله تعالى إلى صاحبِ الشمال: ما تركَ صاحبُ اليمينِ فاكتبه.

وقال عمرو بن الحارث الحمصي[4]: بلغني أن الرجلَ إذا عملَ سيِّئةً قال صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشمال: اكتب، فيقول: لا، بل اكتبْ أنت. فيمتنعان، فينادي منادٍ: يا صاحبَ الشمالِ اكتبْ ما تركَ صاحبُ اليمين.

قال البغوي: وقال عكرمة: لا يكتبانِ إلا ما يؤجرُ عليه ويؤزر[5].

روى البغويُّ بسندهِ إلى أبي أمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كاتبُ الحسناتِ على يمينِ الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السيِّئات، فإذا عملَ حسنةً كتبها مَلَكُ اليمينِ عشراً، وإذا عملَ سيِّئةً قال صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشمال: دَعْهُ سبعَ ساعاتٍ لعله يسبِّحُ أو يستغفر**»[6].

قال أبو طالب: ورُويَ أنه إذا كان الليلُ قال صاحبُ اليمينِ لصاحب

---

(١) في ب، ج: الماحيات.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٢) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٣٩٧٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥)، وضعفه في ضعيف الجامع (٤٢٨٣).

(٣) في ج: كُلْ.

(٤) هكذا.. ولعله عمرو بن الحارث المصري، عالم الديار المصرية ومفتيها. كان أحفظ أهل زمانه وأخطبهم وأبلغهم. ت١٤٨هـ. سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٦.

(٥) في ج: ويوزن.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة والبيهقي في شعب الإيمان، كما أورده السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٦. وانظر رواية قريبة في شعب الإيمان (٧٠٤٩).

الشمال: تعالَ ألاقِكَ[1] وأطرَحْ أنا حسنةً وأنتَ عشراً، حتى يصعدَ صاحبُ السيِّئاتِ ولا سيِّئةَ معه.

فائدة: ممّا يؤثر: الويلُ لمن غلبتْ آحادهُ أعشاره.

والآحادُ السيِّئات، والأعشارُ الحسنات. والمعنى: أنَّ من عملَ حسنةً واحدةً وعشرَ سيِّئاتٍ لم تغلبْ آحادهُ أعشاره، لأن الحسنةَ الواحدةَ تكفِّرُ عشرَ سيِّئات، ومن عملَ حسنةً واحدةً وإحدى عشرةَ[2] سيِّئةً فقد غلبتْ آحادهُ أعشاره، فالويلُ له إنْ لم يعفُ الله تعالى عنه. والله أعلم.

قال الواحديُّ في التفسير: روى أنس أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن الله وكَّلَ بعبدهِ ملكينِ يكتبان عمله، فإذا ماتَ قالا: يا ربِّ، قد قبضتَ عبدك فلاناً، فإلى أين نذهب؟ قال: سمائي مملوءَة من ملائكتي يعبدونني، وأرضي مملوءةٌ من خلقي يطيعونني، اذهبا إلى قبرِ عبدي فسبِّحاني وكبِّراني وهلِّلاني، واكتبا ذلك في صحيفةِ عبدي إلى يومِ القيامة**»[3].

وهذا يدلُّ على أن الحفظةَ اثنان.

وفي قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] يدلُّ على أن الحفظةَ أربعة، اثنانِ بالليل، واثنانِ بالنهار، على ما ذكرَهُ المفسِّرون، حيث قالوا: سمَّى الله تعالى صلاةَ الصبحِ مشهودةً لأنها يشهدها ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهار[4].

---

(١) في أ: تعال أولاقيك، وفي ب: تعالى ألاقيك، وفي ج: تعال ألاقيك.

(٢) في النسخ: أحد عشر.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل ١٠٢/٧ في ترجمة الهيثم بن جماز، وذكر أن أحاديثه أفراد غرائب عن ثابت وفيها ما ليس بمحفوظ. وفي لسان الميزان ٢٠٤/٦ ما يفيد أنه ضعيف أو متروك. وقد رواه الديلمي في الفردوس (٧١١٤). وهو في اللآلئ المصنوعة ٣٥٩/٢، وفي الموضوعات ٤٠٣/٢ الذي ذكر فيه ابن الجوزي أنه لا يصح...

(٤) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: «تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار». رواه الترمذي في سننه (٣١٣٥) وقال: حسن صحيح.

ويدل عليه قوله ﷺ: **«إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»**(١).

فهم أربعة، إذا صعدَ اثنانِ حفظَهُ اثنانِ، لا يفترون.

فائدة: روى أبو طالب المكي في تفسيرهِ عن ابن عباس في سورة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ أن «نون» هي الدواةُ المعروفة، و«القلم» هو القلمُ المعروف.

قال: خلقَ الله الدواةَ والقلم، فقال: اكتب. فقال القلم: وما أكتب؟ فقال: اكتبْ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، من عملِ برٍّ أو فجور، أو رزقٍ مقسومٍ حلالٍ أو حرام. قال: ثم ألزمَ كلَّ شيءٍ من ذلك شأنه، دخولَهُ في الدنيا، ومقامهُ فيها كم، وخروجهُ منها كيف.

ثم جعلَ على العبادِ حفظة، وجعلَ للكتّابِ خُزَّاناً ينسخونَ كلَّ يوم من الخزّانِ عملَ ذلك اليومِ قبل أن يعملهُ العبد، فيعملُ العبدُ في ذلك اليومِ على ما نسختْهُ الحفظةُ مِن عند الخُزّان، لا يزيدُ ولا ينقص.

قال ابن عباس: فإذا فنيَ الرزق، وانقطع الأمر، وانقضىٰ الأجل، أتتِ الحفظةُ الخزنةُ فيطلبونَ عملَ ذلك اليوم، فيقولُ لهم الخزنة: ما نجدُ لصاحبكم عندنا شيئاً. فيرجعُ الحفظةُ فيجدونَهُ قد مات.

ثم قال ابنُ عباس: ألستمْ قوماً عُرْباً، تسمعونَ الحفظةَ يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩]. وهل يكونُ الاستنساخُ إلا من أصل(٢)؟ انتهى.

وذكرَ نحوهُ في سورةِ الجاثيةِ عنه.

وفيه دليلٌ وتصريحٌ بأن الحفظةَ تعلمُ ما يقعُ من العبدِ ويفعلهُ قبل أن يفعلَهُ في ذلك اليوم. ويدلُّ على صحَّةِ ذلك قولهُ تعالى: ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١

---

(١) هكذا أورده المؤلف، لعله من حفظه، وهو أقرب إلى لفظ أحمد: «إن لله ملائكة يتعاقبون: ملائكة الليل وملائكة النهار». المسند (٧٤٨٣) وصححه الأرناؤوط. وفي صحيح البخاري (٥٣٠): «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...».

(٢) في أ: أصل مفتعل، وفي هامشها: لعله: منتقل.

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١١ ـ ١٢] أي في المستقبل، إذ لم يقلْ: يعلمونَ ما فعلتم، بل أتى بالمضارعِ الدالِّ على المستقبل.

فإنْ قيل: إذا علمتِ الحفظةُ من الخزنةِ الذي عندهم عملَ العبدِ بإعلام الله تعالى لهم في ليلةِ القدر، أو بعلمهم إيّاهُ من اللوحِ المحفوظ، فما فائدةُ ملازمتهم العبدَ وكتابتهم ذلك ثانياً بعد أن علموه؟

فالجواب: أنَّ علمَ الحفظةِ من الخزنةِ علمُ يقين، وعلمهم بمشاهدةِ فعلِ العبدِ عينُ يقين، أو على ما هو علمَ منه كحقِّ اليقين، وعلمهم من الخزنةِ خبرٌ لا مشاهدةَ فيه.

ورُويَ عن سفيانَ بن عيينة[1] أنه تكلَّمَ يوماً على قولهِ ﷺ فيما يرويهِ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ، أنه تعالى قال للملكين: «**إذا همَّ عبدي بحسنةٍ ولم يعملها فاكتبوها حسنة، وإذا عملها فاكتبوها عشراً، وإذا همَّ بسيِّئةٍ ولم يعملها فلا تكتبوها**»[2].

فاعترضَ أبو نُواس وقال: المَلَكانِ يعلمانِ الغيب؟ فقال سفيان: لا، ولكن إذا همَّ العبدُ بحسنةٍ فاحَ من فيه رائحةُ المسك، فيعلمونَ ذلك، فيكتبونها حسنة، وإذا همَّ بسيِّئةٍ فاحَ منه ريحُ النتن.

وهذا السؤالُ من أصلهِ لا يرد، فإنه إذا ثبتَ أن الملائكةَ تستملي من الخزنة، فقد علموا ما يقعُ من العبدِ من العملِ في فعلٍ وعزمٍ وهمٍّ وغيره، فلا سؤال.

❋ ❋ ❋

(١) شيخ الحجاز وأحد الأعلام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي الحافظ نزيل مكة المكرمة. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. ت١٩٨هـ. العبر ١/٢٥٤.

(٢) هكذا أورده المؤلف ربما من حفظه، وهو أقرب إلى لفظ صحيح ابن حبان (٣٨٠)، ولفظه عند مسلم: «قال الله عزَّ وجلَّ: إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة». صحيح مسلم (١٢٨).

٢٤٦ ـ سؤال: في الحديث: أنه ﷺ سمعَ رجلاً قال في اعتدالِ الصلاة: «ربَّنا لكَ الحمدُ حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه». فلمّا سلَّمَ قال: «**من المتكلم آنفاً**» قال رجلٌ: أنا. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لقد رأيتُ بضعةً وثلاثينَ مَلَكاً يبتدرونَ أيُّهم يكتبها أوَّل**»[1].

وهذا يدلُّ على أن من الأعمالِ ما يكتبهُ غيرُ الحفظةِ مع الحفظة.

قيل: وإنما ابتدرها بضعةٌ وثلاثونَ ملكاً لأن ذلك عددُ حروفِ هذه الكلمات.

وروى البغويُّ بسندهِ أنه ﷺ قال: «**رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورة، فقال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى يا محمَّد؟ قلت: أنتَ أعلم، مرَّتينِ أو ثلاثاً، قال: فوضعَ كفَّهُ بين كتفيَّ فوجدتُ بردها بين ثدييّ، فعلمتُ ما في السماواتِ والأرض. ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥]. **ثم قال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلىٰ يا محمَّد؟ قلت: في الكفَّارات. قال: ما هنَّ؟ قلت: المشيُ على الأقدامِ إلى الجماعات، والجلوسُ في المساجدِ خلف الصلوات، وإسباغُ الوضوءِ على المكاره. قال: من يفعلْ ذلك يعشْ بخيرٍ ويمتْ بخير، ويخرجْ من خطيئتهِ كيومَ ولدتْهُ أمُّه.**

ومن الدرجات: إطعامُ الطعام، وبذلُ السلام، وأنْ يقومَ بالليلِ والناسُ نيام، قال: قلْ: اللهمَّ إني أسألُكَ الطيِّبات، وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمني وتتوبَ عليّ، وإذا أردْتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتون».

---

(١) هكذا أورده المؤلف، وفيه روايات وطرق لم أرَ من بينها «ثلاثين ملكاً». وفي صحيح مسلم عن أنس أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النَّفَس فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما قضى رسول الله ﷺ قال: «أيكم المتكلم بالكلمات»؟ فأرمَّ القوم، فقال: «أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأساً» فقال رجل: جئت وقد حفزني النفس وقلتها. فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها». صحيح مسلم (٦٠٠). وفي الأدب المفرد (٦٩١): ثلاثة عشر ملكاً.

قال ﷺ: **«تعلَّموهنَّ وعلِّموهنّ، فوالذين نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ إنهنَّ لحقٌ»**[1].

فهذا أيضاً يدلُّ على أن الملأ الأعلى يختصمونَ ويستبقونَ إلى كتابةِ هذه الأعمال.

وذكرَ جماعةٌ فيهم الإمام فخرُ الدينِ الرازيُّ في قولهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أن المرادَ بالكلمِ الطيِّب «لا إله إلا الله، محمد رسولُ الله». قالوا: تصعدُ إلى الله تعالى بنفسها، وغيرُها من العملِ ترفعهُ الملائكة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال صاحبُ الرسالة[2]: إن دعوةَ اليتيمِ تصعدُ إلى الله بنفسها، أي من غيرِ ملائكة.

وذكرَ بعضهم في دعوةِ المظلومِ كذلك، واستدلَّ بقولهِ ﷺ: **«فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**[3].

قال الحسن: إن الملائكةَ يجتنبونَ الناسَ في حالين: عند غائطهم، وعند جماعهم.

وذكرَ بعضهم ـ وأظنُّه القرطبي ـ: أن مَلَكَ اليسارِ يفارقُ الإنسانَ في حالِ الصلاة، قال: لأنه ليس فيها شيءٌ يكتبهُ مَلَكُ اليسار، واستدلُّوا بقولهِ ﷺ: **«إذا كان أحدكم في الصلاةِ فلا يبصقْ قِبَلَ وجهه، فإنه يناجي الله سبحانه وتعالى، ولا عن يمينه، فإن عن يمينه مَلَكاً، وليبصقْ عن يساره»**[4].

---

(١) سبق تخريج قسم منه في الفقرة (١٣٤)، وهو بروايته الكاملة كما أشير إليها هناك، وقد أورده المؤلف بلفظ مقارب.

(٢) هو الطوفي، كما مرَّ من قبل.

(٣) قوله ﷺ: «اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة» (٢٤٤٨).

(٤) أورده بلفظ مقارب، ولفظه في الصحيح: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها». صحيح البخاري (٤٠٦).

ففي قوله: «**فإن عن يمينهِ ملكاً**» دليلٌ على أنه ليس على اليسار ملكٌ في الصلاة، لأمرهِ بالبصاقِ إليه.

وفي الحديث: «**لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة**»[١].

وفيه: «**لا تصحبُ الملائكةُ رفقةً فيها جرس**»[٢].

قال النووي: قال العلماء: المرادُ ملائكةُ الرحمة، الذين يتغشَّونَ بني آدمَ ويسلِّمونَ عليهم.

قال: وأما الحفظةُ فملازمونَ الإنسان، ويدخلونَ معه هذه الأماكن[٣].

فمن كان عنده كلبٌ أو صورةٌ حُرِمَ تسليمَ ملائكةِ الرحمة، لأن من سلموا عليه غُفِرَ له.

وكما يُحْرَمُ بركةَ سلامهم يُحرمُ بركةَ مرافقتهم ومجالستهم.

وبالله التوفيق.

قال جامعهُ أحمد بن العماد الأقفهسي: وكان سببُ جمعي هذا، أني سمعتُ عن جماعةٍ تخليطاً كثيراً في ذلك، لعدم هدايتهم ومعرفتهم بذلك[٤].

ولله الحمدُ على ذلك، وصلَّى الله على نبيِّهِ وخيرتهِ من خلقه، وعلى آلهِ وأزواجهِ وذرِّيته، والآلِ والصحابةِ أجمعين.

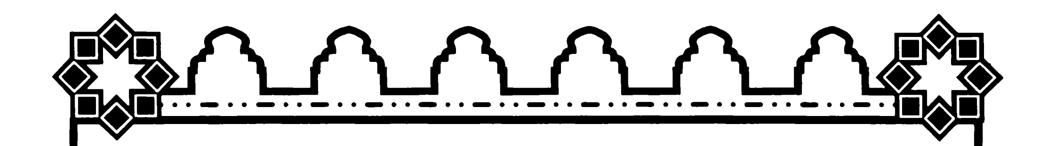


(١) سبق تخريجه في الرقم (٢١٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٧٠٥) وحسن إسناده الأرناؤوط. ولفظه عند مسلم: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس». صحيحه (٢١١٣).

(٣) أورده المؤلف بإيجاز. ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨٤/١٢.

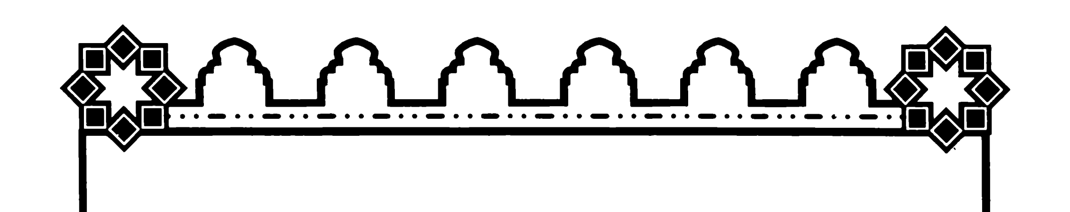
(٤) لم ترد هذه الفقرة في ب.



الفهارس[1]

* فهرس الآيات القرآنية.
* فهرس الأحاديث الشريفة.
* فهرس الآثار والأخبار.
* فهرس الأشعار.
* فهرس الأعلام.
* فهرس الأديان والفِرق والقبائل وما إليها.
* فهرس الأماكن.
* فهرس المراجع.
* فهرس الموضوعات.

(١) الأعداد الواردة في هذه الفهارس تخص الأرقام المتسلسلة ولا علاقة لها بأرقام الصفحات، ما عدا فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الرقم المتسلسل
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾	٤١	المائدة	١٦٦
﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	٥٤	المائدة	٤
﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾	٦٤	المائدة	٢١٧
﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	٨٣	المائدة	١٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾	٩٥	المائدة	٢١٧
﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ﴾	١١٦	المائدة	٧٣
﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٧	الأنعام	٣٨
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾	٤٤	الأنعام	٢٠
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	٧٥	الأنعام	٢٤٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾	٨٢	الأنعام	٣٨
﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾	١٦٠	الأنعام	٢٢٢
﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ﴾	١٢	الأعراف	٢١
﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾	١٤	الأعراف	٢٨
﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾	٣١	الأعراف	١٦٣
﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾	٢٣	الأعراف	٦١
﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾	٢٩	الأعراف	٢١
﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٣٢	الأعراف	١٠
﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾	٥٠	الأعراف	١٦٧
﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ﴾	١٠١	الأعراف	٢٢٨
﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ﴾	١٠٢	الأعراف	٢٢٨
﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾	١٤٢	الأعراف	٢١٠
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾	١٧٢	الأعراف	٢٢٨
﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾	١٧٥	الأعراف	٦٩
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾	١٨٠	الأعراف	المقدمة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ﴾	٢٠١	الأعراف	٢١
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ﴾	٢٠٤	الأعراف	١٨٧

الآية	رقمها	السورة	الرقم المتسلسل
﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾	٣	التوبة	٢١٠
﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾	١٤	التوبة	١٩٢
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾	٣٢	التوبة	٢٤١
﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾	٣٦	التوبة	٢١٠
﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٧٣	التوبة	٩٦
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾	١٠٣	التوبة	٩، ١٦٦
﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾	١٠٨	التوبة	٢٢٠
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾	١١١	التوبة	١٥٤، ٢١٧
﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾	١١٢	التوبة	١٥٤، ١٩٧، ٢١٧
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	يونس	١٥
﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾	٩٠	يونس	١٢٤
﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾	٩١	يونس	١٢٤
﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا﴾	٩٤	يونس	٢١٥
﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٣	هود	٣٧
﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾	٤٥	هود	٧٩
﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾	٤٨	هود	٧٢
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾	١٠٦ ـ ١٠٧	هود	٢٣٠
﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	٣	يوسف	٨٤
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	١٨	يوسف	٨٢، ١١٨
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾	٢٤	يوسف	٨٧
﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾	٣١	يوسف	١٤
﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾	٤١	يوسف	١٠١
﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾	٤٢	يوسف	٩٠
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	٥٣	يوسف	٢١٧
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾	٥٥	يوسف	٨٨
﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	٥٥	يوسف	٨٩
﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾	٨٤	يوسف	٨٢

الآية	رقمها	السورة	الرقم المتسلسل
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . .﴾	٢٣ ـ ٢٤	الكهف	٢٣
﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾	٦٢	الكهف	١٠٢
﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	٦٧	الكهف	١٠١، ١٠٣
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾	٦٩	الكهف	١٠١
﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾	٧١	الكهف	١٠٣
﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾	٧٤	الكهف	١٠٣
﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٧٧	الكهف	١٠٣
﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	٧٨	الكهف	١٠٣
﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾	٨٥ ـ ٨٦	الكهف	٢١٩
﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾	٨٦	الكهف	٤٨
﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾	٦	مريم	١١١
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾	١٦	مريم	١٠٤
﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾	٢٣	مريم	٧٣
﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾	٢٥	مريم	١٠٥
﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾	٣١	مريم	١٠٩
﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	٥٨	مريم	١٣٨
﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	٦٢	مريم	٢٤٠
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾	١٧	طه	٩٧
﴿هِيَ عَصَايَ﴾	١٨	طه	٩٥
﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾	٢١	طه	٣٠
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾	٤٤	طه	٩٦
﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾	٤٨	طه	٣٨
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾	٨٢	طه	٣٧
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾	١٢١	طه	٩٨
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾	٣٤	الأنبياء	٢٤٣
﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾	٤٢	الأنبياء	٢٤٥
﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾	٦٩	الأنبياء	٣٣

الآية	رقمها	السورة	الرقم المتسلسل
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	الزمر	١٧٣
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	٤٢	الزمر	٢١٧
﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	الزمر	٣٧، ٣٨
﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾	٧١	الزمر	٢١٧
﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾	٧٣	الزمر	٢١٧
﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾	٧٥	الزمر	١٣
﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾	١١	غافر	٢٢٢
﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾	١٦	غافر	١٥٥، ٢١٧
﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾	٣٩	غافر	٩
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾	٤٦	غافر	٢٤٠
﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٦ ـ ٧	فصلت	١٠٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	٣٠	فصلت	٣٨
﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٣٠	فصلت	٤٦
﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾	٧	الشورى	١٥٥، ٢١٧
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	١١	الشورى	المقدمة، ٢١٧
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾	١٣	الشورى	٧٤
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	الشورى	١٤٤
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	٢١	الجاثية	٣٩
﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾	٢٨	الجاثية	١٥٥، ٢١٧
﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	الجاثية	٢٤٥
﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾	٦	محمد	١٨٩
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾	٢	الفتح	٢١٠
﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾	١٦	الفتح	١٩٢
﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾	٢٩	الفتح	١٦٣
﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾	١٧	ق	٢٤٥
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾	١٨	ق	٢٤٥
﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾	٣٠	ق	٣٣

الآية	رقمها	السورة	الرقم المتسلسل
﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾	٤١	ق	١٥٥، ٢١٧
﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾	٢١	الذاريات	٢٢٥
﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾	٢ ـ ٣	الطور	٢٤٥
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾	١	النجم	٦
﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾	٤٨	القمر	١٥٥، ٢١٧
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾	٢٩	الرحمٰن	المقدمة
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾	٣١	الرحمٰن	٣٩
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	الرحمٰن	١٧٣
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾	٧١	الواقعة	٥٣
﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾	٩٣ ـ ٩٥	الواقعة	٢١٥
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾	٣	الحديد	المقدمة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾	٤	الصف	١٥٨
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٠	الجمعة	١٨٧
﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ﴾	١	التحريم	١١٩
﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ﴾	٢	التحريم	١١٩
﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ﴾	٥	التحريم	٢١٧
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾	٥	الملك	٢١٩
﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾	١٣	القلم	١٢٩
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾	٤٢	القلم	١٥٥، ٢١٧
﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾	٤٨	القلم	١٢٣
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾	١٩	الحاقة	١٥٥
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾	٢٨	نوح	٧٢
﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾	١٦	الجن	١٠
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	المدثر	١
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾	٣١	المدثر	١١٦
﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	المدثر	١٩٦





فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث	الرقم المتسلسل

(أ)

طرف الحديث	الرقم المتسلسل

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ض ـ ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

طرف الحديث	الرقم المتسلسل





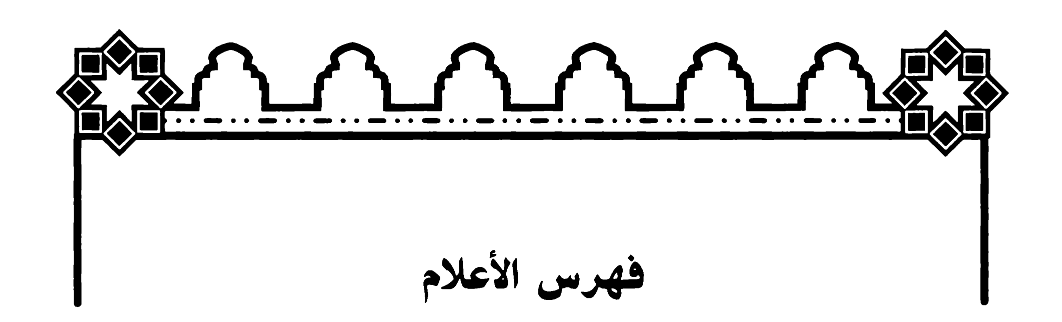
فهرس الآثار والأخبار





فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	الرقم المتسلسل
ولا عيب	الكتائبِ	١٣٩
مرت	كليبِ	١٣٩
أهل	لقيتِ	٤
فوالله	ينوحُ	٢١٧
أغرُّ	يشهدُ	٤
ستبدي	تزوَّدِ	٤
لولا	العودِ	٢١
وفيك	الشهودِ	٢٢٥
أمام	يحذرُ	٢٤٥
تواضع	رفيعُ	٢١
لئـن	مضيَّعُ	٢٤٤
. . .	باطلُ	٢٤٤
كل امرئ	نعلهِ	٢٤٢
وإن	جرمُ	٤
ولو كانت	لظالمِ	١٦٨
. . .	يؤتين	٢١٧
الماء	ضدانِ	٢٢٥
لـــه	تراه	٤



فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

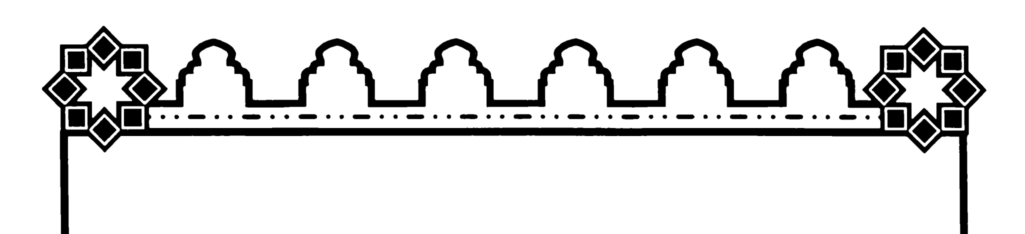
(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

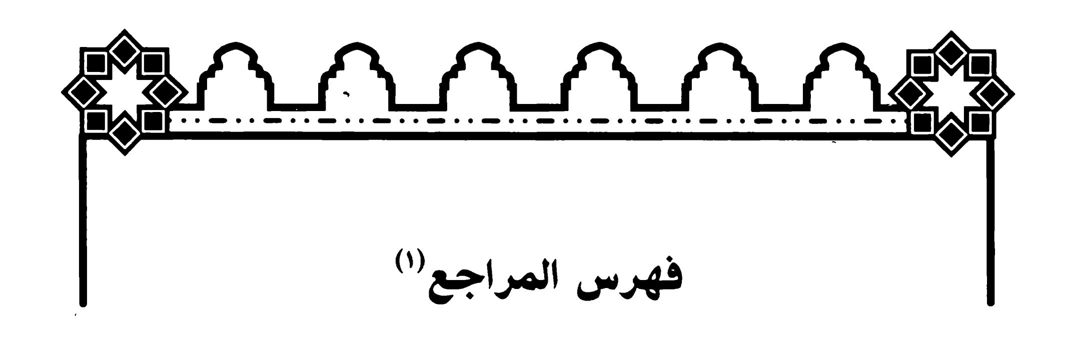




فهرس الأديان والفِرق والقبائل وما إليها



فهرس الأماكن



فهرس المراجع[1]

- **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**/ محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى. ـ بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**/ ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي؛ حققه وخرَّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.

  وط٢، ٩٣ ـ ١٤١٤هـ [التراث].
- **إحياء علوم الدين**/ محمد بن محمد الغزالي. ـ ط محققة. ـ بيروت: دار الهادي، ١٤١٢هـ.

  وطبعة بيروت: دار المعرفة [التراث].
- **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**/ أبو الشيخ محمد بن عبد الله الأصبهاني؛ دراسة وتحقيق صالح بن محمد الونيان. ـ الرياض: دار المسلم، ١٤١٨هـ.
- **الأدب المفرد**/ محمد بن إسماعيل البخاري؛ تحقيق محب الدين الخطيب. ـ ط٢. ـ القاهرة: قصي محب الدين الخطيب، ١٣٧٩هـ.
- **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى**/ الملا علي القاري؛ تحقيق محمد لطفي الصباغ. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩١هـ [التراث].

---

(١) المراجع التي وضع في آخرها لفظ [التراث] هكذا بين معقوفتين، هي الأقراص المدمجة التي أصدرها مركز التراث للبرمجيات في الأردن.

- **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**/ محمد بن السيد درويش الحوت البيروتي؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤١٨**هـ [التراث].
- **الأعلام**/ خير الدين الزركلي. ـ ط٨. ـ بيروت: دار العلم للملايين، **١٤٠٩**هـ.
- **الألقاب**/ الشيرازي [التراث].
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**/ إسماعيل البغدادي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **البداية والنهاية**/ ابن كثير الدمشقي؛ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. ـ القاهرة: هجر للطباعة والنشر، **١٧ ـ ١٤٢٠**هـ.
- **بستان الواعظين ورياض السامعين**/ ابن الجوزي [التراث].
- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**/ عبد الرحمٰن بن الجوزي؛ تحقيق علي حسين البواب. ـ الرياض: مكتبة المعارف، **١٤٠٧**هـ.
- **التذكرة في الأحاديث المشتهرة**/ الزركشي؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤٠٦**هـ [التراث].
- **التذكرة في الوعظ**/ ابن الجوزي؛ تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح. ـ بيروت: دار المعرفة، **١٤٠٦**هـ.
- **ترتيب القاموس المحيط**/ الطاهر أحمد الزاوي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٣٩٩**هـ.
- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**/ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري؛ تحقيق مصطفى محمد عمارة. ـ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، **١٤٠١**هـ.
- **تفسير أبي السعود**. ـ بيروت: دار إحياء التراث [التراث].
- **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**/ أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي؛ تحقيق محمود مطرجي. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].
- **تفسير السمعاني**/ تحقيق ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم. ـ الرياض: دار الوطن، **١٤١٨**هـ [التراث].
- **تفسير القرآن العظيم**/ ابن كثير. ـ بيروت: دار الفكر، د.ت.
- **تفسير القرطبي**. ـ القاهرة: دار الشعب [التراث].

- **التفسير الكبير**/ فخر الدين الرازي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤٢١**هـ [التراث].
- **تلبيس إبليس**/ ابن الجوزي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، **١٤٠٥**هـ [التراث].
- **تنزيه الشريعة**/ الكناني؛ تحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٣٩٩**هـ [التراث].
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**/ يوسف بن عبد الرحمٰن المزي، تحقيق بشار عواد معروف. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، **١٤١٣**هـ.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**/ عبد الرؤوف المناوي. ـ ط٣ ـ الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، **١٤٠٨**هـ.
- **الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية**/ عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي؛ تحقيب عبد الفتاح محمد الحلو. ـ الرياض: دار العلوم، **١٣٩٨ ـ ١٤٠٨**هـ.
- **الجوع**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤١٧**هـ.
- **حلية الأولياء**/ أبو نعيم الأصبهاني. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- **الحيوان**/ الجاحظ؛ شرح وتحقيق يحيى الشامي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، **١٤١٨**هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**/ جلال الدين السيوطي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤١١**هـ.
- وط بيروت: دار الفكر، **١٤١٣**هـ [التراث].
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**/ ابن حجر العسقلاني [التراث].
- **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**/ شرح يوسف عيد. ـ بيروت: دار الجيل، **١٤١٢**هـ.
- **رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾**/ المنسوب لابن طولون (وليس له)؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤١٧**هـ.
- **الرقة والبكاء**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤١٦**هـ.
- **الرقة والبكاء**/ ابن قدامة المقدسي؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ دمشق: دار القلم، **١٤١٥**هـ.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**/ محمود الآلوسي؛ قرأه وصححه محمد حسين العرب. ـ بيروت: دار الفكر، **١٤١٤**هـ.
- وط بيروت: دار إحياء التراث [التراث].
- **الزهد**/ أحمد بن حنبل؛ تحقيق محمد جلال شرف. ـ بيروت: دار النهضة العربية، **١٤٠١**هـ.
- **الزهد والرقائق**/ عبد الله بن المبارك؛ تحقيب حبيب الرحمٰن الأعظمي. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي.
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي.
- **سنن ابن ماجه**/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ـ القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- **سنن أبي داود**/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ـ [بيروت]: دار الفكر [التراث].
- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**/ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. ـ القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- **سنن الدارقطني**/ تحقيق عبد الله هاشم يماني. ـ بيروت: دار المعرفة، **١٣٨٦**هـ [التراث].
- **سنن الدارمي**/ تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، **١٤٠٧**هـ [التراث].
- **السنن الكبرى**/ البيهقي. ـ بيروت: دار المعرفة، د.ت.

وبتحقيق محمد عبد القادر عطا. ـ مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، **١٤١٤**هـ [التراث].
- **سنن النسائي**/ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ـ حلب: مكتب المطبوعات، **١٤٠٦**هـ [التراث].
- **سير أعلام النبلاء**/ الذهبي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، **١٤٠١ ـ ١٤٠٩**هـ.
- **شعب الإيمان**/ البيهقي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤١٠**هـ.

- **الصبر والثواب عليه**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨هـ.
- **صحيح ابن حبان** = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
- **صحيح ابن خزيمة**/ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. ـ ط٢. ـ شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، ١٤٠١هـ.
- **صحيح البخاري**. ـ إستانبول: المكتبة الإسلامية، ١٤٠١هـ.

والمتن الموجود مع «فتح الباري».

وبتحقيق مصطفى ديب البغا. ـ ط٣. ـ بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ [التراث].
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٣ ـ. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- **صحيح مسلم**. ـ بيروت: دار المعرفة (المصورة من ط١٣٤٩هـ).

وط بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.

وبتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ـ بيروت: دار إحياء التراث [التراث].
- **صحيح مسلم بشرح النووي**. ـ الرياض: دار الإفتاء (مصورة من ط إستانبول: المطبعة العامرة).
- **صفة الصفوة**/ ابن الجوزي؛ تحقيق محمود فاخوري؛ تخريج محمد رواس قلعجي. ـ ط٣. ـ حلب: دار الوعي ١٤٠٥هـ.
- **صفة النار**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧هـ.
- **الضعفاء**/ العقيلي؛ تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ [التراث].
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- **الطبقات الكبرى**/ محمد بن سعد. ـ بيروت: دار صادر: دار الفكر، د.ت.
- **العبر في خبر من غبر**/ الذهبي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق زكريا علي يوسف. ـ بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].

- **العقوبات**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.
- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**/ ابن الجوزي؛ تحقيق إرشاد الحق الأثري. ـ ط٢. ـ فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، ١٤٠١هـ.
- **عمل اليوم والليلة**/ ابن السني؛ تحقيق بشر محمد عيون. ـ دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٧هـ.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**/ النيسابوري (بهامش تفسير الطبري ـ المطبعة الأميرية، ١٣٢٧هـ).
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**/ ابن حجر العسقلاني. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- **الفردوس بمأثور الخطاب**/ الديلمي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
وبالمعلومات السابقة [التراث].
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**/ الشوكاني؛ تحقيق عبد الرحمٰن يحيى المعلمي. ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي [التراث].
- **قصرا لأمل**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**/ ابن عدي؛ تحقيق سهيل زكار؛ قرأها ودققها يحيى مختار غزاوي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ. وبالمعلومات السابقة [التراث].
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**/ العجلوني. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
وبتحقيق أحمد القلاش. ـ ط٤. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ [التراث].
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**/ حاجي خليفة. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **اللآلئ المصنوعة**/ السيوطي؛ تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ [التراث].
- **لسان العرب**/ ابن منظور. ـ بيروت: دار صادر [التراث].

- **لسان الميزان**/ ابن حجر العسقلاني. ـ حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف النظامية، **٢٩ ـ ١٣٣١**هـ.
وط٣. . .، **١٤٠٦**هـ [التراث].
- **المجالسة وجواهر العلم**/ أحمد بن مروان الدينوري؛ تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤١٩**هـ.
- . . . **المجروحين**/ ابن حبان؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد. ـ حلب: دار الوعي، **١٣٩٦**هـ [التراث].
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثمي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، **١٣٨٧**هـ.
- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**/ الراغب الأصفهاني. ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.
- . . . **المحتضرين**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤١٧**هـ.
- **المستدرك على الصحيحين**/ الحاكم النيسابوري. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
وبتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤١١**هـ [التراث].
- **المسند**/ أحمد بن حنبل. بهامشه منتخب كنز العمال. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.
وط القاهرة: مؤسسة قرطبة [التراث].
- **مسند أبي يعلى الموصلي**/ تحقيق حسين سليم أسد. ـ دمشق: دار المأمون للتراث، **١٤٠٤**هـ.
- **مسند الحارث (زوائد الهيثمي)**/ تحقيق حسين أحمد الباكري. ـ المدينة المنورة: مركز خدمة السنة، **١٤١٣**هـ [التراث].
- **مسند الشاميين**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي السلفي. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، **١٤٠٥**هـ [التراث].
- **المصنف**/ ابن أبي شيبة؛ تحقيق كمال يوسف الحوت. ـ الرياض: مكتبة الرشد، **١٤٠٩**هـ [التراث].
- **المصنف**/ عبد الرزاق الصنعاني؛ تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، **١٤٠٣**هـ [التراث].

- **المعجم الأوسط**/ الطبراني؛ تحقيق محمود الطحان. ـ الرياض: مكتبة المعارف، **١٤٠٥ ـ ١٤١٦**هـ.
- **المعجم الكبير**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت.
وط**٢**. ـ الموصل: مكتبة العلوم والحكم، **١٤٠٤**هـ [التراث].
- **معرفة السنن والآثار**/ البيهقي؛ تحقيق سيد كسروي حسن. ـ بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].
- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**/ محمد الشربيني الخطيب. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **الموسوعة العربية العالمية**. ـ الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، **١٤١٦**هـ.
- **الموضوعات**/ ابن الجوزي؛ تحقيق توفيق حمدان. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤١٥**هـ [التراث].
- **الموضوعات**/ الصغَّاني؛ تحقيق نجم عبد الرحمٰن خلف. ـ ط**٢**. ـ دمشق: دار المأمون للتراث، **١٤٠٥**هـ [التراث].
- **الموطأ**/ مالك بن أنس؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ـ مصر: دار إحياء التراث [التراث].
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ ابن الأثير؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي. ـ بيروت: دار الفكر، **١٣٩٩**هـ [التراث].
- **نوادر الأصول**/ الحكيم الترمذي؛ تحقيق عبد الرحمٰن عميرة. ـ بيروت: دار الجيل، **١٤١٢**هـ [التراث].
- **نوادر الشوارد**/ محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤٢٠**هـ.





فهرس الموضوعات

